

كتاب

تاريخ شيخنا

المستقى

روضة الأفكار والأفهام

لمرقد حال الإمام ونعماد غزوات زوى الإسلام

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضل دار كرامته
ومشائخه والسلمين آمين

الجزء الأول

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

مكتبة ومطبعة دار الحديث في القاهرة

١٢
أقر

عنيه ويحدثه ، فإذا ذكر الله خنس وجاء بناؤه على الفعل الذي يتكرر منه فإنه ذكر الله الخنس ، وإذا غفل عاد ، وقوله (من الجنة والناس) يعني أن الوسواس نوعا إنس وجن ، فإن الوسوسة الإلقاء الحق ، لكن إلقاء الإنس بواء طلة الأذن ، والج لا يحتاج إليها ونظير اشتراكهما في الوسوسة اشتراكهما في الوحي الشيطاني في قوله (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم وما يفترون) والله أعلم .

هذا آخر ما وجدنا من كلام الشيخ محمد عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه وكرمه آمين .

والحمد لله أولا وآخرا وظاهرا وباطنا ، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

—

تم الجزء الأول ، وبليه : الجزء الثاني

وأوله : كتاب الغزوات البيانية والفتوحات الربانية

فهرس

الجزء الأول من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة الموضوع

مقدمة الكتاب .

الفصل الأول في بيان ما جرى في تلك الأزمان من الشرك وغيره في نجد والحساء وغيرهما .

فوائد : الأولى في بيان ما يجب على كل مسلم فعله .

الفائدة الثانية في بيان ما قاله ابن تيمية في كتابه في بيان الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم .

الفائدة الثالثة في بيان أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة .

الرابعة في بيان غربة الإسلام التي وعدت بوقوعها خير الأنام .

الفصل الثاني في نسب الشيخ ، ومبدأ أمره وما جرى عليه في قيامه بتلك الدعوة .

خاتمة في وفاة الشيخ ، والرسالة التي كتبها لعبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي .

فصل في بيان الرسالة التي ألفها الشيخ لعامة المسلمين .

بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل .

بيان أن العلماء من قديم الزمان كانوا ينكرون ما حدث في هذه الأمة من تعظيم القبور وبناء المشاهد والمساجد عليها الخ .

- ٨٧ بيان مائة الله الشيخ تقي الدين من أنه لا يسأل إلا الله تعالى بأسمائه وصفاته .
- ٩١ ماقاله ابن القيم في قوله عليه الصلاة والسلام : لا تتخذوا قبري عيداء الخ
- ٩٥ الفصل الثالث في بيان بعض الرسائل التي أرسلها إلى بعض البلدان .
- ١٣٨ الرسالة التي كتبها الشيخ إلى سليمان بن سحيم .
- ١٤٥ رسالته إلى أهل الرياض .
- ١٥١ إلى فاضل آل مزيد رئيس بادية الشام .
- ١٧٥ الفصل الرابع في المسائل التي سئل فيها فأجاب عنها .
- ٢٢٢ الفصل الخامس في كلامه عن آيات متفرقة من القرآن .
- ٢٦٣ المسائل التي في قصة موسى والخضر عليهما السلام .

كلمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مهمل الصعاب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله والأصحاب
وبعد : فإني لما رأيت تواريح نجد قليلة الوجود، عزمت بحول الله
تعالى على أن أنشرها لأبناء وطني راجيا من الله المعونة والتوفيق .
وقد اخترت أن تطبع في :

« شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،
لعلهم بعنايتهم بالتصحيح والإتقان آخذين بقوله صلى الله عليه وسلم :
« رحم الله امرأ صنع صنعة فأتقنها » .

ولا يفوتني أن أذكر جملة من مطبوعاتنا التي طبعت في السنوات
١٣٦٥ - ١٣٦٨ ، وهي : -

- ١ - إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد .
- ٢ - القول السديد في مقاصد التوحيد .
- ٣ - الأصول الثلاثة وأدلتها ، وشروط الصلاة ، والأربع قواعد .
- ٤ - الدين وشروط الصلاة .
- ٥ - دعاء ختم القرآن العظيم .
- ٦ - استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس .
- ٧ - التطفلات الأدبية .

٨ — رسالة الأدعية التي تقال في الطواف والسعي . . . الخ

٩ — تحفة الناسك في أحكام المناسك .

١٠ — حاشية على الأربعين النووية، ومعها الماتن المذكور، وقد ألحق
بثمانية أحاديث من شرح ابن رجب .

والمصاحف بأنواعها، والكتب الدينية، والأدبية، والتاريخية، والدوام
الشعرية وغير ذلك .

شعارنا الصدق والأمانة والتضحية في سبيل نهوض الوطن . نرجو قلم
لنكسب كثيراً .

الناشر

عبد المحسن بن عثمان أبا بطين

صاحب المكتبة الأهلية

الرياض - نجد

يطلب من مكتبة إقرأ

MOHAMAD_ABDU_ALARABY@yahoo.com

00201283567571

www.facebook.com/maktabet.eqraa

كتاب

تاريخ بنحس

المسمى

روضة الأفعار والأفهام
لمرقاة حال الإمام ونعماء غزوات ذوى البدر

تأليف

الشيخ الإمام وعلم الهداة الأعلام

حسين بن غنام

رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه بفضل دار كرامته
ومشائخه والمسلمين آمين

الجزء الثاني

الطبعة الأولى

١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م

مكتبة مطبعة المصطفى النجاشي والاولاد



كتاب الغزوات الليانية والفتوحات الربانية

وذكر السبب الذي حمل على ذلك فنقول :

لم يزل الشيخ رحمه الله مقيماً في بلد العينة على الحالة الموصوفة والطريقة المعروفة، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ويعلم الناس دينهم ويميت ما قدر عليه من البدع، ويقيم الحدود، ويأمر الولي بإقامتها؛ وفي تلك الأيام جرت قضية استنكرتها قلوب أهل الزيغ والجهل والردى الذين لم يستنشقوا من عرف الشريعة ريح الهدى وهي : أن امرأة من أهل العينة زنت فأقرت على نفسها بالزنا وتكرر ذلك منها أربعاً ، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت إلى الإقرار مراراً فسأل عن عقلها فأخبر بتمامه وصحته فأمرها أياماً رجاء أن ترجع عن الإقرار إلى الإنكار، فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك فكانت أقرب أربع مرات في أيام متواليات . فأمر الشيخ رحمه الله الوالي برجمها لكونها قد أحصنت، وبذلك الإقرار قد صرحت وأعلنت. فأمر الشيخ عند ذلك أن تشد عليها ثيابها وترجم بالحجارة على الوجه المشروع؛ فخرج الوالي عثمان وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان المذكور، فلما مات أمر أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها. فما جرت هذه القضية كثر القيل والقال من أهل البدع والضلال، وطارت قلوبهم خوفاً وفزعاً، وانخلعت ألبابهم رهباً وجزعاً، وداخلهم من حصول تلك القضية السوية، والخصلة المرضية السنية، والفعلة المحمودة السنية ما لم يعاينوا قبله مثله حزن، ولم يعرج على أسماعهم في سابق الزمن، وذلك لما ألفوه من الضلال والشرك، وما عاشوا فيه من الفواحش والإفك، كيف وقد أتاهم ما لم يحتسبوا ودهمهم ما لم يرتقبوا وطاف بهم ما لم يسمهم منه أن يهربوا، ومجت الأسماع ونفرت تلك الطباع ما ليس لهم به دفاع مع كونه الحكم المشروع بالسنة والإجماع. فيالله العجب كيف تنكر القلوب والعقول سنة

يطلب من مكتبة إقرأ

MOHAMAD_ABDO_ALARABY@yahoo.com

00201283567571

www.facebook.com/maktabet.eqraa

الرسول ونطاوت ألسنة العلماء على من نصر الشريعة وحيت ، ولكن الحب يعنى ويصم
 لم يكن لهم عدول ولا إباء عن سنة الأسلاف والآباء ، وكذلك شأن النفوس إلى
 الإبطال قبل ، ولا يجدوا زعماً من نفسه إلى الحق إلا القليل . فنحمد الله المولى الجليل
 أن جعل الشيخ من هذا القبيل ، وبصر السنة كليل . ثم إن الشيخ لما أعيانهم رد
 ما قاله من تلك المسائل الجليلة عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة فشكوه إلى شيخهم
 الخاتم سليمان آل محمد رئيس بني خالد والحسا ، وكان قبجه الله مغرماً بالزنا مجاهراً به
 في ذلك ، وحكاياته في ذلك مشهورة ، وقصصه فيه غير محصورة ، فأغروه به
 وصاحوا عنده وقالوا إن هذا يريد أن يخرجكم من ملككم ، ويسمى في قطع ما أنتم
 عليه من الأمور ويحسم مادة الأمكاس والعشور . فلما خوتوه بزوال محبوبه وتفويت
 مطلبه كتب إلى عثمان المذكور يأمره بقتله أو إجلاله عن وطنه وألزم عليه في ذلك
 غاية الإلزام ، وشدد عليه في حصول القصد والمرام ، وصرح له في المكتوب بأنك
 إن لم تسلم المطلوب فما لك عندي مستباح ، وليس علينا في ذلك من جناح ، فأثر الدنيا
 على الدين وسلك منهج البطلين ، وأمر الشيخ بالخروج ولم يكن إلى قتله سلم ولا عروج ،
 فخرج الشيخ إلى بلد الدرعية والسدة المربعة المحروسة إن شاء الله من كل بلية ،
 فزار على عبدالله بن سويم تلك الليلة فأقام عنده ذلك اليوم . ثم بعده انتقل إلى تليذه
 الشيخ أحمد بن سويم . فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود أسكنه الله دار الخلود ،
 قام من قوره مسرعاً إليه ومعه إخوته ثنيان ومشاري ، فأتاه في بيت أحمد بن سويم
 فسلم عليه وبادره بالقبول والتقبل ، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل ، وأخبره أنه
 رحمه الله تعالى يمنع به نساءه وأولاده من جميع من عاداه وكاده ، إلا أنه طلب من الشيخ
 رحمه الله العهد والميثاق أن لا يرحل عن بلده إلى سائر الآفاق ، وهذا من عناية الله
 تعالى بهذا الرجل وتوفيقه وإهدائه إلى سبيل الخير وطريقه و (ذلك فضل الله يؤتيه
 من يشاء والله ذو الفضل العظيم) وكان الأمير محمد بن سعود في جاهليته بحسن السيرة
 والبر والوفاء وحسن المعاملة موصوفاً مشهوراً بذلك دون من هنالك . فعند ذلك
 أعتل الشيخ عقد المرام أن لا يخرج عنه إلى بلاد ، وبعد ذلك قام يدعو الناس إلى
 إصلاح الأجله ويحث على ذلك بحيله ورجله حسب الاستطاعة لا يفتقر عن ذلك ساعة ،

وكذلك قام معه وزرأؤه وأعوانه وأنصاره من أهل الدرعية وإخوانه . ومن مشاهيرهم
 ثنيان بن سعود ومشاري بن سعود وفرحان بن سعود والشيخ أحمد بن سويم
 والشيخ عيسى بن قاسم ومحمد الحزيمي وعبد الله بن دغثير وسليمان الوشيقري ومحمد
 ابن حسين وأخوه محمد وغيرهم ؛ فجردوا للدعوة أمضي سنان ، وأرخوا في ذل العنان
 من غير تراخ ولا توان ، وشهروا سيف العزم وبائر الهمة والحزم ، جزاهم الله خيراً .
 وكانت هذه الأمور المذكورة والأفعال المقررة المسطورة في حدود سنة سبع وخمسين
 بعد المائتين والآلاف من الهجرة النبوية . فلما استقر به القرار في محروسة تلك الديار
 وساعده على إعلان تلك الدعوة الملك القهار ومن ذكرناهم آنفاً من الأخيار حشرهم
 الله في زمرة الأبرار ، بقى رحمة الله عليه وأجزل ثوابه لديه قريباً من سنتين من
 غير شك ولا مین ينصح الناس ، ويكشف عن الحق حجب الانباس ، ويشيد السنة
 النبوية بأقوى أساس . وفي خلال هذه المدة أقبل إلى الدرعية للهجرة من أحسن الله
 قصدهم : منهم عبدالله بن محسن وإخوته زيد وسلطان المعامرة وعبد الله بن غنام
 وأخوه موسى ، وهاجر مع هؤلاء خلق كثير . وبعد أيام قليلة لم يجد عثمان من القدام
 على الشيخ وابن سعود من حيلة لما رأى من جماعته وشاهده ، وعلم أن الله رفع للدين
 مصاعده . فأقبل إليهم وقدم عليهم وحاول الشيخ في الرجوع إلى بلده فأحال الأمر
 على محمد بن سعود فأبى ولم يسعفه بالمقصود ، فرجع على عقبه ولم يفز بغاية طلبه .
 فأضمر العداوة والشر وجد في التدر والمكر . وفي أثناء تلك المدة أيضاً ناصح الشيخ
 والأمير محمد بن سعود دهام بن دواس رئيس البلدة المعروفة بالرياض ، فاجتهدوا في ذلك
 غاية الاجتهاد . فلم يكن له إلى قبول الحق ارتياض ، بل أعرض عنه نهاية الإعراض
 واعتاض الدنيا عن الآخرة وبشئ الاعتياض ، وحمله على ذلك البني والحسد اللذان قل
 أن يخلو منهما جسد وينجو منهما أحد ، وإلا فهو قد أقر بأن هذا هو الدين وأن
 ما يدعو إليه هو الحق المبين ، وقد صح النقل عنه والنطق بذلك منه ، ولكن حقت
 عليه كلمة العذاب وسبق له ذلك في أم الكتاب ، فأبطن عداوة هذا الدين ، وأظهر
 موالة البطلين ، وكان هذا الدين قد فشا في بلده ودخل فيه كثير منهم ، فإذا رأى
 من جماعته من يحب هذا الدين ويفشييه أخذ يصادره ويؤذيه ، وإذا رأى عدواً يقربه
 ويؤويه ، فجعل يتزايد في العداوة ويتظاهر بقمع الحق لما كتب له من الشقاوة ، ويعلمن

الرياض الشنيعة والفضائح الفظيعة ، إذ كانت من أخلاقه القديمة وأفعاله القبيحة الدائمة . وكان أبوه رئيساً في بلد منفوحة متغلباً عليها فقتل أناساً من جماعته من المزاريع ظلماً وعدواناً ، فبقي بعد ذلك زماناً ثم مات . وتولى بعده ابنه محمد ، فقام عليه ابن عمه زامل بن فارس هو وبعض أهل منفوحة قتلوه وأجلوا إخوانه ، ومن جملتهم دهم وإخوته عبد الله وتركى ومشلب وفهد ، فاستوطنوا الرياض وكان واليها إذ ذاك محمد بن موسى أبا زرعة . فلما قتل زيد المذكور على غير سبب مأثور ، وكان الذي قتله أحمد بنى عمه ، وكان معتوه العقل صعد إليه وهو نائم في عليه له فذبحه بسكين ربه . فلما قتله جاءه عبد لزيد يقال له خميس فقتله ورماه من رأس العلية ، فتغلب العبد المذكور على بلد الرياض ، وكان أولاد زيد إذ ذاك صغاراً وزعم أنه قابض لهم حتى رآهم لذلك . فأقام والياً عليها مدة يسيرة نحو ثلاث سنين ثم هرب خميس من الرياض خوفاً من أهلها لأمور جرت منه . فأقام في الحار مدة ثم أتى منفوحة فأقام مدة ، ثم عدا عليه رجل من أهلها كان قتل أباه زمن رياسته على الرياض فقتله ثم بقيت الرياض مدة يسيرة بلا رئيس . وكان دهم بن دواس مدة تغلب خميس على الرياض فنادى له . فلما بقيت الرياض بعد هروب خميس بلا رئيس ترأس فيها دهم بن فراس يشبهه أن ابن زيد أبا زرعة هو ابن أخت دهم ، فزعم أنه يكون نائباً عنه في ذلك حتى يكبر ويقبل ثم بعد ذلك يتخلى له عن الولاية ويتصل ، وهيأت الرجوع من الأسلاك والطباع وردع النفوس المجدولة على البغي والأطماع ، فخرى مع ابن أخته على عادته وسنته وعامله بما رسخ فيه من جور وسطوته ، فأجلاه عن البلاد وأخلفه ذلك الميعاد ، فبعد صدور هذه القضية واشتهاره بهذه الفعلة الردية كرهه أهل الرياض فجمعوا في عزله إذ لم يكن لهم حيلة إلى قتله ، فاجتمعوا عليه وأحاطوا بقصره وحصلوه فصاروا كأنهم عامة وغوغاء ليس لهم رئيس يرجعون إلى أمره ولا مصدر يصدر عن رأيهم فسكرته . فأرسل أخاه مشلباً ركباً فرسا إلى محمد بن سعود أمير الدرعية يطلب منه النجدة والنصرة على تلك الرعية ، ويتضرع أن يعينه على دفع تلك البلية . فقام له محمد بالنصرة أتم قيام ، وأرسل إليه من الجنود فنام ورئيسهم سعد بن سعود ، فبلغ دهم بمجيئهم الرام والمقصود ، فخرج من قصره مع تلك الجنود وقاتل أهل الرياض ثلاثة أو أربعة رجال ثم فروا بلا توان ولا إمهال ، فبعدها

قرم ملكة فيها ، وأقام رئيسها ووالها وأقام مشارى عنده شهورا ، ولم يتوقع ما صدر من الحبيث من الشرور ، فاستفحل أمره وتعظم جره ونكره وتزايد على الرعية شره وتوالى عليهم ضره وتظاهر بأمور ، وأعلن بفجور تحاكي الأفعال الخرودية والقضايا الفرعونية : فمنها أنه غضب يوما على امرأة فأمر بضربها أن يخطأ ويتكرر في شفتيها تردد الخطأ . ومنها أنه غضب يوما على رجل فقطع من فخذه قطعة وقال : لا بد أن يسفها مضغة مضغة فحاول الرجل المعضب بعد أن لم يجد له مهرباً أن يأكلها بعد أن تشوى فلم يسفها بذلك فأكلها نموذ بالله من البلوى . ومنها أنه غضب يوما على رجل مسجون ذكر له أنه فك بأسنانه الحديد ، فأمر بمقمة من حديد فضربت بها أسنانه فتساقطت في مرة بلا تردد . ومنها أنه غضب على رجل آخر فأمر بقطع لسانه فقطعه بعض أعوانه ، وله قضايا مثل هذه كثيرة ، ونظائر عحقة شهيرة ، فلم يزل في تلك الحال وأهل بلده يعانون منه التشكيل والوبال ، ثم لما من الله تعالى بظهور هذا الدين ولعت شوارق الحق المبين ونادى منادى المولى الكريم (إنك لعلى هدى مستقيم) دعى دهم إلى هذا الحق الواضح والبرهان الساطع اللائح ، فأبى ونفر وأعرض واستكبر بل صد الخلق عن الدخول فيه وحذر ، وأخذ يسعى لأهله بالمكاند ويترصدهم في عداوتهم المرصدة ويستليح كل معاند وجاحد . فأول ما تظاهر في هذا الدين بالعداوة والحراة وجمع لذلك أعوانه وأحزابه أخزاه الله تعالى وجعل النار مآبه أنه خان أهل منفوحة وهم إذ ذاك قد دخلوا في هذا الدين ، وللأمير محمد بن سعود من المتبعين ، وهو إذ ذاك مظهر لمحمد بن سعود الصداقة والاتفاق ، ولم يتبين منه قبل هذه الحيانة شقاق . وحاصل ما جرى منه ، وصفة ما صدر عنه أنه عدا عليهم صباحا ومعه بعض البوادي فرقان من آل ظفير وأهل منفوحة على غرة وغفلة ، لم يتبين من العداوة لهم شيء ، فكمن لهم في أحد دور البلد ليلا وأمر البوادي والحيل أن تغير على بعض الزروع والنخيل لكي يخرج أهل البلد فيعقبهم الكمين على البيوت . فلما أصبح الصباح وغارت الحيل والبادية على النخيل وفزع أهل البلد عليهم ، ولم يبق في البلاد أحد من المقاتلة ، خرج الكمين ودهم معهم فلم يخطئوا قصر الإمارة فصعدوه وقهروا البلد وأقاموا في ذلك ساعة . فلما علم بذلك من خرج رجع على عقبه وانزعج وهمو بالرحيل والنقلة بلا تثبيط ولا مهلة حتى إن الله أعقبهم بالنصر والفرج . فأنشراح

صدر كل موحد وابتهج . وسبب ذلك أن علي بن مزروع وطائفة معه من أهل الدين ثبت الله أقدامهم وأعانهم وأعظم إكرامهم صعدوا بعض البيوت المشرفة على قصر الإمارة ، وبقوا يرمونهم منه حتى قتلوا منهم أناساً . فلما أعييتهم الحيل وضائق عليهم السبل ، وتحققوا أنهم إن بقوا ساعة هلكوا ، بعد ما حزموا أنفسهم ولوها وملكوا ، رموا بأنفسهم من وراء الجدار إذ لم يكن لهم على معاينة الحمام اضطبار ، فهربوا وقد لبثوا ثياب الخزي والحياة والعار ، وتردوا برداء الردى والشنار ، وصاروا عقي من ثأوهم وأخفاهم عنده في تلك الدار . شناعة السمعة ، وجلول الدمار ، وقتل من أشرارهم ورؤسائهم وجارهم درع الصمعر وخضير الصمعر وزهمول الفضلي ، وغيرهم نحو الأحد عشر ، وأصيب دهم صوابين وقتل حصانه وقطعت أصابع رجله وهرب هو ومن معه بعض أنامله من شؤم فعله ، ويتجرع حرارة الجرح والصلف ، ويتحسى مرارة الندم والأسف . ثم لما تظاهر بعداوة الدين وعداوة بن سعود وتمزى بذلك وتميز ، وسوّل له الشيطان أنه للسياسة قد أحرز حاربه ابن سعود . فلما تيقن ذلك حمله الشيطان من التيه والطغيان على نذر جزور لتاج بن شمان إن قطع ابن سعود على الفوارة عادين على بلادى . فلما بلغ ابن سعود وإخوانه المسلمين ذلك تعاهدوا على أن أول عدوة يعدونها عليه تكون في قصره فوفوا بذلك الوعد ، وبذلوا لتحقيقه الجهد فأتوا إلى باب القلعة التي فيها قصره فشدّوا الباب بالنشار ، ودخلوا بيت ناصر بن معمر وتركى بن دواس ، فعقروا فيها إبلا كثيرة ورموه بالرصاص وهو في عليته ثم خرجوا سالمين والله الحمد ، ثم بعد ذلك يبسير عدا ابن دواس على العمارية فقتل عبد الله بن علي وعقروا إبلا . فلما بلغ ابن سعود ذلك جمع أهل الدرعية وأهل عرقة فرأى أنه يرصدهم ، ويكن لهم في فيضة لبن لأنها طريقهم الذي يرجعون منها ، وكان ابن دواس قد كهن فيها ورصد هو وإخوانه خوفاً على عدوته أن يسد عليهم الطريق ، ولم يشعر بذلك ابن سعود وجماعته حتى توافى الفريقان في الفيضة ، واقتتلوا ساعة ثم انهزم دهم وجماعته والمسلمون بأثرهم ، حتى طلعت عليهم عدوة ابن دواس التي صدرت من العمارية ، فلم يشعر المسلمون إلا وهم خلفهم فانكسروا ، ولم يقتل إلا رجلان أو ثلاثة منهم أكرمهم الله بالشهادة ورجع كل منهم وقصد بلاده . ثم بعدها بمدة يسيرة جرت واقعة مذكورة شهيرة تدعى وقعة الشياب لأنه قد قتل منها شيا

من آل ابن شمس من أهل الرياض . وصفتها أن عثمان بن معمر مع جماعته من أهل العيينة ومحمد بن سعود مع جماعته من أهل الدرعية ساروا جميعاً إلى أهل الرياض ، فلما قربوا من البلد أغار بعضهم على نواحيها وكن بعضهم . فخرج دهم مع أهل الرياض فالتقوا بمكان يسمى الوشام خارج السور . فلما خرج السكين عليهم انهزموا ولم يأل أحد على أحد ، بل كل منهم عريد وشرد ، وقتل منهم نحو العشرة من المشهورين : منهم أحمد بن علي بن ناصر وشايبان من آل شمس . ثم بعدها الوقعة المسماة بوقعة العبيد ، وذلك أن ابن سعود خرج في أهل الدرعية وقرأها خاصة ، وصار على أهل الرياض وعياً كمينه في جرف يقال له جرف عيبان ، ثم أغار على البلد فخرج ابن دواس ومن معه من المقاتلة خارج السور . فلما التقى الفريقان خرج السكين فرجع دهم ومن معه مكسوراً ، وقتل منهم نحو العشرة غالبهم عبيد ، ولهذا سميت بهم الوقعة بلا ترديد ، وتسمى أيضاً وقعة غيبة لأن القتلى بقوا فيها أياماً بلا دفن . وكفى بذلك مصيبة ، وبقي دهم بعدها متحسراً ، وفي أمره متندماً متحيراً إلا أنه للحرب في تهيو واستعداد ، وفي التأهب للدلافة وجمع الأمداد طلباً للمقاواة والأخذ بالثأر ليشقى الفؤاد . فأجمع أمره وضم رأيه وفكره أن يأتي إلى الدرعية ويغير ويجعل السكين فيما خفي من الحفير ، فجمع الحاضرة والبادية فأصبحت خيله على البلاد عادية ، فخرجوا إليه سرا ولم تأل المقاتلة غير القتال دفاعاً . بل باعوا النفوس دفعاً عن الحرم حتى كشفه الله تعالى فانهزم ، غير أن المسلمين لما ظهر عليهم السكين ولى غالبهم مدبرين وقتل خمسة من المسلمين ومن مشاهيرهم فيصل بن الأمير محمد بن سعود وأخوه سعود ابن الأمير محمد ، وكان الأمير محمد رحمة الله عليه حين خرج ورأى أن الغارة لم تنفذ ولم تخرج على نقش أحد أشار برأى مبارك ميمون ، وهو أنهم إلى بلادهم يرجعون ولا يناشبونهم القتال خوفاً من السكين بالرجال ، ولكن كان ذلك في الكتاب مسطوراً وكان أمر الله قدراً مقدوراً . وبعد هذه شمر الأمير محمد للحرب ساعده ولم تكن همته عن القتال قاعدة ، بل كانت إلى ذرى المعالي صاعدة ، وفي هذه الواقعة من الفوائد النافعة والمصالح الجامعة للمحمد والمسلمين مالا تحده ولا نعه تحريراً ، (وعسى أن تكرر هو شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) ، وكانت هذه الوقائع المسطرة والأفعال المقررة في حدود السنة التاسعة والحسين بعد المائة والألف . ثم دخلت سنة

الستين بعد المائة والألف ، وفيها وقعة تسمى وقعة داقة . وذلك أن أهل العينة وأهل حريملا وأهل الدرعية وقراها وأهل منفوحة خرجوا في ربيع الأول يريدون الرياض ومصادمة أهلها فيها ، فانفلت رجل من أهل حريملا يقال له أبو شيبة من آل داود فأئذرها ما وجاعته ، فلم يأتهم المسلمون إلا وهم مستعدون للقتال فصباحهم المسلمون في جوف البلد فلذا سميت وقعة داقة فانتلوا فيها قتالا شديداً وحملوا القتل عند باب القصر والتقى دهام بن دواس مع حمد بن محمد بن منيس وكان فاتكا وتقاتلا راجلين ، فضرب حمد بن محمد دهاما ضربات بالسيف في جسده ورأسه حتى أتى موسى ابن عيسى الحريص إلى حمد بن محمد من خلفه فقتله وصار سبياً لسلامة دهام بعد أن أشرف على الحماة ، ثم لم يكن جزاؤه له مع فعله فيه الجليل إلا العقوبة والتنكيل ، وذلك أن موسى بن عيسى بان له الإسلام وأراد الهجرة فذكر ذلك لدهام فأمره بقطع يده ورجله فقطعتا ونفاه إلى الدرعية فلم يرح إلا ثلاثة أيام فمات ، وقتل في ذلك اليوم من أهل الرياض محمد بن سوداء وسرحان البكاي وابن مسيفر وثمانية غيرهم . وأما الجراحات فكثيرة ، واستشهد من المسلمين حمد بن محمد وحمود بن حسين بن داود وسليمان الزير وحسن الشميري وغيرهم ، وكانت تلك الغزوة من غير رضا عثمان بن معمر ومشورته لما يهتمونه من النفاق وموالاته لأهل الباطل خفية إلا أن هذه الوقعة زادت رجسا إلى رجسه وخبث بها دغل نفسه ، ثم لما رجع كل إلى بلده وآب إلى مسكنه ومعهم دهام وأهل حريملا على العينة طلب عثمان بن معمر من أمير حريملا محمد بن مبارك العهد والميثاق على الإخاء والمصافاة والاتفاق ، وذلك لما أبطن من الشر كما كان شأن ذوي النفاق مع أن قلبه قد ملأ من الرعب والوجل وخالطه الخوف والدل والحيل ؛ ثم إن عثمان غشبه الندم وجلله الفشل حيث لم يكن مع الغزاة قد عزم وخشى وقوع الازدلال والإهانة وتصديق ما يرمى به من النفاق والحيانة ، فأرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد بن سعود يستشفع إليه بكل صديق وودود في قبول العذر والاعتذار والصفح عن التخلف الذي صار ، فقبلا منه جلي عذره رجاء منهما أن لا يعود إلى مكره ثم إنه قدم إليهم ووفد عليهم ومعه وجوه أهل حريملا والعينة وعاهد الشيخ ومحمد بن سعود على الجهاد والقيام بالنصرة والاستعداد ولو إلى أية بلاد فتوهوا فيه الصدق والوفاء وغاب عنهم ما كنى بقلبه واخفى ، فعندها رأسوه وكبروه ورفعوه على المسلمين

وأمره وصار ابن سعود له منقاداً ولأمره طالباً مرتاداً ولا يخالفه ولا يشاققه بل يتابعه ويوافق في السفر والبلاد والغزو والجهاد ، وكان من أعظم ما على عثمان به نعم وأوضح ما رمى به واتهم ، أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثمرها وأمره أن يركب إلى دهام مع جماعته ويسوسه ويرين له الاتفاق مع عثمان والقدوم إليه إلى العينة ويتفوه في المجالس والمحافل أنه لمنهج الإصلاح مائل ولتكثر سواد المسلمين فاعل والله أعلم أنه خائن خائن ، فحسن له تلك الأفعال وقدم إبراهيم مع دهام بلا إهمال فاجتمعوا عند عثمان في ذلك المكان وكان ذلك من غير مشورة للشيخ وابن سعود ولا غيرها من الأعيان فصار سبباً لما ناله من الذل والهوان فحين علم بذلك أهل البلد ورأوا دهاما إليه قصد شق عليهم ذلك وعابوه ، ولكنهم من الفتك به هابوه ، وذلك أنهم عرفوا مراده وقصدته وتحققوا ما بذل فيه طاقته وجهده لما يشاهدونه منه ويأثرون عنه من موالاته أهل الضلال والمبطلين وإبعاده عن حزب الموحدين ، فاجتمع أهل البلد جميعاً وساروا إليه سريعا ، فلما اجتمعوا عنده ورأى ما أصابهم من السكابة والشدة موه عليهم مطالبوه وقصدته ، وقال لهم ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ من تلك البلاد حتى يحضر عقد الصلح ويتم بمجيئه المرام والصلح ويدخل دهام في دائرة الإسلام ويحكم عليه العهد غاية الأحكام ، فاطمأنت نفوس القوم لأجل قوله ذلك اليوم ؛ ثم إنه أرسل إلى الشيخ تلك الليلة وأعملوا في قدومه الحيلة يحثه على الحجى والحضور ويستدعيه إلى ما دبره من الأمور ، وقد ألقى الله في روع الشيخ خيائته وتحقق أنه لم يوف أمانته بل حكى أن الشيخ جاءه التذير يحذره عن الحضور والسير ، وأبدى غاية الامتناع واعتذر عن الموافاة والاجتماع ، فلما أخبرهم الرسول بعدم القدوم والثول عرف المسلمون من أهل البلد ما أعمله عثمان من السكر واجتهد فحصروا ابن دواس في قصر عثمان وهموا به إذا خرج بلا استئذان فلما جن الظلام خرج دهام هاربا وبلده طالبا وللهوان والحزى كاسبا ، وكان صدور هذا الأمر منه والتفوه بالسكر عنه قبل أن يأتي إلى الشيخ والأمير محمد ويأخذ منهما العهد المجدد ، فلما تحقق عثمان من جماعته الغيظ والغضب خاف من وقوع الشقاق وارتقب وأخذ يصانعهم ويرضيهم بقوله ويعتذر إليهم بمصادر عن فعله لعلمهم إلى ما كانوا من محبته يرجعون ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ؛ ثم لما أبطل الله تعالى كيدهم وما أرادوا وعلموا أنهم تضحخوا بقدر

الحياة وما أفادوا، ووصل إبراهيم بن سليمان إلى ثمردا تدرع لباس الحراة وارتدى وتنصل عن الدين واعتدى وفارق منهج الحق والهدى وبادر المسلمين بالحرب وابتدا. ثم دخلت السنة الحادية والستون بعد المائة والألف وفيها جرت وقعة تسمى وقعة البنية وذلك أن عثمان بن معمر لما أعطى العهد وأمر كما ذكرنا سار بمن معه من أهل العينة وأهل حريملا ومجد بن سعود وأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма إلى الرياض فأتوها من شريقها يمضون في وادي الوتر حتى نزلوا بين العود والبنية، فلم يجر ذلك اليوم قتال إلا أن رجلا من المسلمين تراموا مع أهل البلد من بعيد، فقتل من أهل الرياض سليمان بن حبيب وأناس معه وأصيب منهم كثير ودخل قلوبهم من الرعب أمر كبير واستشهد من المسلمين عبدالله بن عبيكة وابن عليل، فلما كان آخر اليوم سار المسلمون إلى منفوحة وأقاموا بها ثلاثة أيام يتداولون الرأي ويبرمونه غاية الإبرام حتى انتظم الرأي واتفق واجتمع الفكر وانتسق على المسير إلى الرياض والمكابرة ومنازلتهم بالجدة والمصابة، فتعبا المسلمون للقتال وافترقوا فرقتين للحال فعمدت فرقة إلى صباح فدخلوه وقت الصباح فاستولوا على ما فيه من الأموال وذلك بعد شدة القتال وقتل من مشاهيرهم موسى بن عبد القادر والفرقة الأخرى ساروا إلى أهل حريملا وأهل عرقة فعمدوا إلى مقرن فدخلوها حتى وصلوا إلى الظهرية وكان جملة أهل البلد قد اجتمعوا فيها عند قصر دهم بن دواس فاقتتلوا مليا، ثم خرج من ذكرنا من المسلمين بعد ما اجتمع عليهم أهل البلد منهزمين وقتل من المسلمين خمسة وعشرون رجلا فخرجوا مسرعين، ثم إن دهما وقومه لما فرغوا من قتال تلك الطائفة أسرعوا في المسير إلى صباح وكان من ولها من المسلمين إذ ذاك في البيوت والتخيل متفرقين فدهمهم فيها دهم وأكرم الله بالشهادة من قرب له الحمام وجاءهم بمن معه بغتة وكان افتراقهم ذلك اليوم فلتة فقتل منهم عشرين وكان جملة من استشهد ذلك اليوم خمسة وأربعين، ثم لما ظهر المسلمون على البلاد اجتمعوا خارجها فهدموا جدران البنية، وهدموا تلك المربعة المبنية فلهمذا سميت بهذا الاسم ووسمت بهذا الوسم ثم رجع كل إلى بلاده ووطن أهله وأولاده، وفي السنة المسطورة جرت وقعة تسمى وقعة الحزيرة وسميت بذلك لكون القتال في مكان يقال له الحزيرة وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العينة وحريملا وعبد العزيز بن مجد بأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма، فساروا

جميعاً وأميرهم عثمان بن معمر حتى نزلوا بصباح. فلم يكن لأهله عن الخروج من براح، فخرجوا إليهم سراعا وراموا عن البلد دفاعا فاقتتلوا قتالا شديدا وقتل من أهل الرياض ستة تقريباً لا تحديدا، وقتل من أهل العينة نحو عشرة رجال ومن أهل الدرعية ومنفوحة ستة بلا إشكال، وقطعوا من الثما والمعلقة أربعة من النخيل محقة ثم رجعوا إلى بلدانهم وساروا إلى أوطانهم. وفي السنة المسطورة أيضا جرت وقعة عظيمة تسمى وقعة البطين لكون الواقعة والقتال صدر في مكان يقال له البطين وذلك أن عثمان بن معمر سار بأهل العينة وحريملا وعبد العزيز حرسه الله تعالى بأهل الدرعية وقراها وأهل ضрма والأمير على الجميع عثمان فساروا إلى ثمردا فنزلوا بها ليلا حتى انفلق الصبح وبدا وقد جعل المسلمون لهم خارج البلد كميناً يكون لهم إذا نشب القتال معينا، فلما أصبح الصباح واتضح النور ولاح خرج أهل البلد إليهم وأقبلوا للقتال عليهم وتناشبت الرجال وضاق مجال القتال خرج إذ ذاك عليهم السكين فولى الكفار مدبرين ومنح الله تعالى المسلمين أكتافهم وقتل أشرفهم وكانت القتلى نحو السبعين على سبيل التحقيق لا التخمين، ثم بعد ذلك التجئوا إلى قصر يسمى قصر الحرص فتحصنوا فيه وخلت البلاد من المقاتلة فأشار عبد العزيز وجماعة معه على عثمان بدخول البلد والمعالجة فأبى عثمان من ذلك وكانت منه مكيدة ومخاتلة، فعند ذلك استطال عليه عبد العزيز بالكلام ووبخه ولامه غاية اللام ثم إن عبد العزيز حفظه الله تعالى نهض مريدا دخول البلاد من غير توقف ولا استرداد وأمر بذلك جميع أتباعه فبادروا لامثال أمره وأتباعه ولكن كان الذي معه ذلك اليوم نزر يسير ومع عثمان الجمل الففير، ثم إن عثمان بن معمر بعد تلك المراجعة وصدور تلك المنازعة ارتحل راجعا إلى بلاده وبقي عبد العزيز متحيرا بين الدخول فيفوز بمراده أو بالحق بعثمان فيوافقه في ارتياده حتى اختار الله تعالى له ما اختار جدي لحوقه فلم يأت إلا آخر النهار وأعظم ما صرف رأى عبد العزيز عن دخول البلاد قلة من بقي معه من الأجناد فأشار عليه وجوه من بقي معه أن يلحق بعثمان فلحق به وتبعه إلا أن الأحوال متغيرة والقلوب بينهما متنافرة فلما أضاء صبح الليلة وأسفر جمع عبد العزيز حرسه الله تعالى جميع الغنيمة وأحضر ونادى بالرحيل في قومه وثور وأخذ سائرا على طريق الخبرة لما أجمع على المفارقة أمره وقال لا بد من إحضارها عند الشيخ وابن سعود حتى يقسمها على

المنهج المحمود فقدم بها عليهم وأحضرها لديهم . وفي تلك السنة أيضا غزا المسلمون
ثرمدا مرة ثانية ، ولم تكن همتهم عن الجهاد وانية والأمير عليهم عثمان ، ولم يخرج
من أهل البلد للقتال إنسان فدمر المسلمون المزارع إذ لم يحل دونها من مدافع ، ثم
انقلبوا مسرعين وإلى بلدهم راجعين . وفيها أيضا غزا المسلمون ثادق فلما وصلوا
إلى قرب تلك المرافق وكان وصولهم ليلا وعبثوا الجيش واستعد الكمين حتى ينشب
القتال ويستبين فلما خرج المقاتلة ظهر الكمين بالمعاجلة فأخذوا عند ذلك منهج
الفرار ولم يكن لهم على لقاء المسلمين من قرار ، وقتل منهم عند الانكسار محمد بن
سلامة وستة معه وأخذوا جميع الغنم المرتبة . ثم دخلت السنة الثانية والستون بعد
المائة والألف وفيها وقعة تسمى الجبونية سميت بذلك لأن القتال بها صار وهدم
مابها من جدار ، وذلك أن المسلمين ساروا إلى الرياض وأميرهم محمد بن سعود رحمه الله
تعالى ، فلم يصلوا إليها إلا وضوء الصبح قد انتشر وخرج أهل البلد إذ لم يأتهم ما يوجب
الحذر هذا وجيش المسلمين قد استعلى على تلك البروج ، فلم يكن لأهل البلد إليها من
عروج وأخذوا يترامون معهم بالرصاص ، ولكن ليس إلى المقاربة من سبيل
ولا مناص ، وقد قتل بينهم رجال في ذلك المجال فقتل من المسلمين ثلاثة عبد الله بن
شودب وعبد الله بن حمود وغنام بن دعيج وقتل من أهل الرياض سبعة منهم عبد الله
ابن سبيت ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم سار المسلمون إلى منفوحة ، وقد وقعت في
هذه السنة وقعت كثيرة لكنها صغار فلهذا لم يكن لنا إلى تعدادها اعتبار . ثم دخلت
السنة الثالثة والستون بعد المائة والألف وفيها مقتل عثمان بن معمر جزاء لما أبطنه
وأضمر وذلك أنه لما تزايد شره على أهل التوحيد وأخذ يعمل في إذلالهم بلا ترديد
وظهر للمسلمين بغضه وبدا لهم منه هجرانه ورفضه وتبين لهم موالاته لأهل الباطل
وماربه عما أراد به بغافل وتحقيق تقريره المنافقين واستتلافه واشتهر شقاقه للمسلمين
واختلافه وكانت حاله بذلك شهيرا (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) فلما تحقق الشيخ
عنه ما ذكر وتيقن ما سطر وجاءه أهل البلاد كافة وشكوا إليه خشية العذر والخافة
وتثبيت في تسطير هذه الاقوال وتحرير ما يرمى به من سوء الأفعال وتحقيق ماله أتمى
وخشى على المسلمين وقوع ما به رمي قال لمن قدم إليه ووفد عليه من أهل العينة أريد

منكم البيعة على دين الله ورسوله وعلى موالاته من والاه ومعاداة من ساربه أو ناوأه ولو أنه
أميركم عثمان فأعطوه على ذلك صفقة الايمان فتتابعوا على البيعة أفواجا فملى قلب عثمان
من ذلك رعبا وانزعاجا ؛ فعند ذلك زاد ما به من الغل والحقد وزين له الشيطان أنه
لا يفوز بالقصد حتى يفتك بأهل الايمان ويحلى من يسلم لأقصى البلدان فينجلى ما قبله
من الهم والأحزان ، فأرسل لابن سويط وإبراهيم بن سليمان يحثهم ويدعوهم إلى الحجى
عنده والاجتماع حتى ينفذ ما عزم عليه بالمسلمين من الايقاع ، فلما تحقق أهل الإسلام
ما عزم عليه من ذلك المرام وأبرز الملك العلام لدوى الألباب من الأنام مصداق قوله
(إن الله عزيز ذو انتقام) فتعاطى الايمان على قتله من أهل التوحيد أناس أرادوا
بذلك القرية وإراحة الناس وإزاحة ما عزم عليه من إيقاع النعمة والبأس ومن
مشاهيرهم حمد بن راشد وإبراهيم بن زيد فأبطل الله بهم ذلك المكر والكيد ، فلما
انقضت صلاة الجمعة وخرج سرعان الناس مسرعين قتلوه في مسجده ومصلاه وأريج
المسلمون من أذاه فلم ينتض لذلك سنان بل لم تنتطح لمقتله عززان بل أغمدت والله
المحمود قواضب الفتنة وأخذت لواهب المحنة واطمأنت المسلمون (أم أبرموا أمرا
فإننا مبرمون - ومكروا مكرا ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون) فلما قدم إلى الدرعية
بتحقيق هذه القضية وأسرع بذلك إلى الشيخ والأمير محمد البشير عجل الشيخ إلى
العينة السير ، وذلك لما خشيه من الاختلاف وعدم الموافقة والاتلاف ، وقدم عليهم
ثالث يوم فهدأت لمقدمه نفوس القوم وتجاذبوا عن الرأي والمشورة والقضية في ذلك
مشهورة في الترييس والتأثير وتفويض الرياسة والتدبير ، والكل بما يوافق مراده
مشير ، إلا أن أهل التوحيد والايمان ، لاسيما من باشر أو سعى في قتل عثمان ،
حاولوا أن لا يؤمر من حمولة ابن معمر ولا يولى عليهم منهم إنسان ، خشية أن
ينالهم منه ذل وهوان ، فلم يوافقهم الشيخ في مرادهم ، ولم يعرج على اجتهدهم ،
بل أبى وأعرض عن ذلك ، وجنح إلى تمهيد السالك وإيضاح المحجة للسالك ، فأرأس
عليهم مشاري بن معمر وكبره فيهم وأمر ، وكان ذلك منتصف رجب ، كما حققه من
حسب . وفي هذه السنة أيضا ، وقعة تسمى وقعة البطحاء ، وذلك أن المسلمين عدوا
على الرياض ليلا فدخلوا البلاد ، واستحرق القتال والجلاد عند باب المروة بعد ما دخلوها
بفوة ، فلما تراجع على المسلمين الإقزاع نهض غالبهم إلى الخروج والإسراع ، ودارت

رحى الحروب على سبعة ، وحصلت لهم من الله إغاثة ومنعة ، منهم على بن عيسى الدروع ، وسليمان بن موسى الباهلي ، ومحمد بن حسن الهلالي ، وعلى بن عثمان ابن ريس ، وعبد الله بن سليمان الهلالي وإبراهيم الحر ، فاقتتلوا أشد القتال مع ضيق المعترك والجال ؛ فقتل تلك الساعة من مشركة تلك الجماعة : ناصر بن معمر وجنيدل وخمسة آخر ، ولم يقتل من المسلمين إلا عبد الله بن سليمان ، وسليمان بن جابر من الأولين . وفيها أيضاً جرت وقعة تسمى وقعة الوطية ، وكانت من أعظم قضية ، وذلك أن المسلمين غزوا وأميرهم عبد العزيز حفظه الله وساروا إلى ثرمدا سريعا ، فخافهم النذير ، فاجتمعوا مع أهل وثيثا ومراة جميعا ، فلم يأتهم الجيش والأجناد إلا وهم في أتم الاستعداد ، وتأهب للجلاد ، وقدرزوا خارج البلاد ، ولكن المسلمين قد أعدوا لهم كنيا ، فلما استمر القتال مليا خرج عليهم ذلك السكين ، فانهزموا مدبرين ، وقتل منهم خمسة وعشرون ، منهم أمير وثيثة على بن زامل ، وسبهان وكثير من تلك الشجعان . ثم دخلت السنة الرابعة والستون بعد المائة والألف ، وفيها عدا المسلمون على الرياض فاقتتلوا داخل البلد حتى ذهب الصبر والجلد ، وتلاحقت أهل البلاد على المسلمين فخرجوا بعد القتال منهزمين ، وقد قتل أناس من المشركين وقتل نحو الثمانية من المسلمين ، منهم على بن عيسى الدروع خاتنه القضاء ، فلم يفر لما كثرت عليه الجموع رحمه الله ، وكان من القتاك والشجعان المشهورين بالهلو على الأقران والصبر عند الطعان في ذلك الوقت والزمان . وفيها ارتد إبراهيم بن محمد ابن عبد الرحمن أمير ضрма ، ورجع عن الإسلام وخان وقتل من أشراف جماعته وقومه لشؤم فعله ولؤمه عمر الفقيه ورشيد العيزار وابن عيسى لكونهم من أهل الإسلام والدين ، وفي الدنيا من أهل الثروة والتمسكين ، فأخذ ما لهم بعد قتلهم أجمعين ، فلم يبق بعد هذه الفعلة سوى أربعة شهور في المهلة حتى قتل هو وأولاده عيدان وسلطان وأناس غيرهم من الأعوان المشهورين بالتعدي والطغيان ، وهرب من سلم إلى سائر البلدان . وصفا ما صدر أن آل سيف السيارة مقر وإخوانه وإبراهيم ابن سلطان آل ذباح ، تعاهدوا وتعاطوا الأيمان على الفتك به لما ارتد وخان فأتوه مع جماعته وهم في المجلس قعود ، فقتلوه وفازوا بالمقصود ، ثم بعد هذه القصة المسطورة ، ولي الأمير محمد بن سعود عبد الرحمن إمارة ضрма المذكورة ، وفيها

غزا المسلمون الزلفي وأميرهم إذ ذاك عبد العزيز ، فلما وصلوا الحسا حتم عبد العزيز حفظه الله فأمر على الغزو عبد الله بن عبد الرحمن وانقلب راجعا فأغار الغزو على الزلفي وأخذ غنا كثيرة ثم رجع . ثم دخلت السنة الخامسة والستون بعد المائة والألف ، وفيها جرت خيانة أهل رغبة ، لأهل سدير والوشم ، وذلك أن أهل سدير والوشم وجرواد معهم آل ظفير وحزبوا على أهل رغبة ، وهم إذ ذاك قد دخلوا في الإسلام وجرت عليهم الأحكام فخصروهم في البلد أيام ؛ ثم إن بعض أهل البلاد جنحوا إلى طريق الفساد وأدخلوا تلك الأحزاب والأجناد وحقق الله دماء أهل التوحيد من ذوى الإفساد ، إلا أنهم أخذوا جميع أموال البلاد صب الله على أهلها سوط عذاب إن ربك بالمرصاد ، فأصبحوا بعد حلول هذه الصايب عليهم والنعم يعضون أنامل الأسف والندم ، على ما حل بهم ودمهم . وفيها أيضاً حزب أهل الضلال ، أهل الوشم ، وأهل سدير ، وأهل الجنوب ، وآل ظفير وجلوية ضрма ، فساروا إلى ضрма وحصروا أهلها أياما ، وعزموا أن يطيلوا بها مقاما ، وفي مدة هذه الإقامة كل شد للقتال ساعده ، وشدد سهامه حتى إنهم في بعض أيام الحصار نصبوا السلام على رفيع ذلك الجدار وأرخصوا في نيل مطلوبهم غالى الأعمار طلبا للفوز بالمنى والأوطار وأخذوا بأنفة الثار ، فصعد منهم السور من قرب أجله من الحضور ، وكانوا نحو الثلاثين ، فلم يرجع منهم أحد ، وقتل غيرهم خلق كثير يزيدون على العشرين في العدد ، وغالب القتلى من أهل الحريق ، ومنهم حمد بن عثمان الهزائي على التحقيق ؛ ثم رجعوا بعد ذلك خاسرين ومن مرادهم خائبين . وفيها غزا المسلمون الحرج وأميرهم في تلك الغزوة ، مشارى بن معمر فأغار على الدلم وأخذوا جميع سوايم الغنم ثم انقلبوا راجعين ولبلادهم طالبين ، فاقتنى طلب أهل الحرج آثارهم بعد ما تحقق عديتهم وعرف أخبارهم ف وقعت في عفة الحار الموافاة وحصلت المصادمة والملاقة فأناخ لهم المسلمون وكلهم للموت مستوطنون ، لأن عددهم على الأربعين لا يزيد ، والنزع فوق المائة بالتوكيد ، فوطنوا نفوسا عن الفرار أبية ، وأخلصوا عند ذلك النية لخالق البرية ، وصبروا عند هذه البلية ، فجرى القتال من بعيد والكل يرمى بالبنادق ويجيد ، فلما رأى المسلمون ذلك لا يجدى ولا يفيد ، نهضوا عليهم للاختلاط فاجتاحهم لقصد الارتباط ؛ فلما عاينوا من المسلمين الموت عرفوا أن لا منجى سوى

الهروب والقوت ، فكل منهم امتطى راحلته ونادوا إثر الهروب والفرار ، ولم يكن لهم على ملاقات المسلمين اضطبار ، وقتل المسلمون منهم قريبا من الثلاثين رجلا ، منهم شريقان قرب له الأجل وأخذوا كثيرا من الركائب والسلاح ، وبدا للمسلمين في ذلك الطلب القلاح ، وكان خيرة لهم وصلاح كما قيل :

الصبر كالصبر مر في مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

وأعلى من ذلك وأرفع وأعلى منه وأنفع قوله تعالى : (إن الله مع الصابرين) . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله به المسلمين وأغاروا على فريق بدويقال له ذهبان ، فأخذوهم أجمعين ، وقتل من المسلمين اثنان : علي بن عثمان ابن ريس وابن جري . عمران . وفيها وقعت من أهل حريملا الردة والافتتان ، واجتمع على ذلك كل إنسان من أهل الفساد والعصيان ، وتماثلوا على قتل من عندهم من أهل التوحيد والإيمان ، وحملهم على ذلك الشيطان وزين لهم ما كانوا عليه سابقا من البغي والطغيان ، وزخرف لهم سننهم القديمة في غابر الزمان ، وأظهر لهم أن شوارق الدين والإيمان تعقبها الذلة والهوان ، فصار كل منهم إلى الفتنة ظمآن ، وإلى لقاء الردة ولهان ، فلهذا أوضحوا سبيل الفتنة والردة ، وأخذوا في تهيئة أسبابها المعدة وأقاموا جهرا أعوجها ، وشادوا طريقها ونهجهما ، وتبينت لها منهم أسباب ، وتوهم المسلمون منهم قبل وقوعها فتح باب ، وعرفوا أنهم على الدين ليسوا بما كثرين ، بل ناقضين للعهد ناكثين ، واستنشق الشيخ من أخيه سليمان أنه لأسباب الردة معوان ، وأنه يلقي إلى الرؤساء وخاصة من الجلساء شبا كثيرة ، وإعما دعاه إلى هذا الحسد لأخيه والغيرة ، فلاجل إلقائه عليهم الشبهة وترويجهم عليهم بما خفي علينا واشتبه كاتبه الشيخ وناصحه ، بل أنه وكافه وحذره شؤم العاقبة ، وبين له أنه لا يدرك مطالبه ، فلم تجده النصائح والإنذار ، ولم ينجح إلى منهج الاعتبار ومحجة الاستبصار والطمأنينة والسكنى في تلك الديار ، بل طاب واختار ركوب كواهل الأخطار ، وكان سليمان قبل أن يطير من الردة اللهب حين عدله الشيخ وعتب ، أرسل إلى الشيخ رسالة حبر فيها كلامه ومقاله وزخرف فيها أقواله - ولكنها للعهد قد تضمنت ، ولعقد الإيمان قد حوت وأحكمت - أنه إن وقع من أهل حريملا ارتداد لا يقيم يوما في تلك البلاد ؛ فلم يف بذلك الوعد بل أخلف اللياق والعهد وآثر السكنى والبقاء أيام الفتنة والشقاء ، كيف لا وهو أبو عذرها ، والباعث على تأسيس

(٢ - تاريخ نجد - نان)

أمرها والداعي إلى تأسيس قبيلتها ونسكها ، وصفة ماجرى وصدر وظهر منهم وبدر ، أن كبار القرية الذين تعاهدوا على القرية عزلوا محمد بن عبد الله بن مبارك وكان هو الأمير وولى التنفيذ والتدبير ، وأصابه منهم إنسان يسمى ابن وحشان ثم أجلاه مع أولاده عن مسكنه وبلاده وفر غيره من أهل الدين إلى بلدان المسلمين : منهم عدوان بن مبارك ، وابنه مبارك بن عدوان ، وعثمان بن عبدالله أخو الأمير وعلي بن حسن وناصر بن جذيع وغيرهم ، فأتوا إلى الشيخ وإلى الأمير محمد ابن سعود فأخبروهم بذلك الأمر المشهود وشرحوا لهم تلك الأفعال وبينوا لهم من نهد فيها من الرجال ثم بعد ذلك بأيام قلائل أرسلوا حمولة الأمير وعصابتة إليه الرسائل وزينوا له الحجى والتقدم وحسنوا له الإقبال والهجوم ووعدوه بعد الوصول المساعدة على المأمول والقيام معه والتبيين ورده في منصبه والتحكين ، فاستشار الشيخ في ذلك والأمير ، ولم يكن أحد منهما بذلك مشير ، وقالوا إن كان لابد أنت فاعل فإني لمدك معك جاعل يكون لك عوناً على من هو خائن ، فأبى عن المراد وأقبل بمن معه من العباد حتى دخل تلك البلاد ، وكان دخوله في غسق الدجى ، فلم يشعر به جماعته إلا حين توغل وجفا ، فلما تلاؤا من الفجر نوره وولى من الظلام ذيبحوره تبين عند أهل البلد مجيئه وحضوره ، فلم يكن لهم عليه بد من القيام . فأقبل عليه منهم فثام وجرعوه كأس الحمام وكتب له الشهادة ومن معه الملك العلام إلا مبارك بن عدوان ، فهرب وأعجزهم في الطلب ، وكان جملة المقتولين ثمانية ، كانت منايهم دانية ، ولم يحصل من رفاقته النصر له والنجدة ولم ينحوا مراده وقصده ، بل خذلوه وتركوه مع من جاء ويعدده ، ولا ينفع الحذر إذا حم القدر (ولأن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها) بل ينقطع أمدها وأملها ، ثم بعد ذلك اجتهدوا في أسباب الحراية وأعدوا للحرب عدته وأسبابه ، وأقبح منهم السحر لما جرى وصدر ، ولم يكن لهم عزم ولا هم بعد إتيانهم تلك اللذات إلا البناء على البلاد والتسوير بخافة الحراب والتدمير ، ثم أرسلوا إلى مشاري أن يعمر أن يدخل معهم في هذا الأمر المقرر ، فأعرض عن ذلك وأنكر ، وبقوا على ذلك الحصار ومكابدة الأضرار بقية تلك السنة لا تخالط أجفانهم في الدجى سنة ، وكانت تلك القضية في شوال من غير شبهة ولا إشكال . ثم دخلت السنة السادسة

التي كان بعد المائة والألف ، فعدا أهل حريملا على أهل الدرعية فلم يحصلوا من

ذلك بالأمنية، ثم عدا المسلمون عليهم مرات وكرؤا عليهم في بلادهم كرات؛ وفي أواخر تلك السنة ارتد أهل منفوحة عن الدين ونبذوا عهد المسلمين وطردوا محمد بن صالح إمام المصلين (والله لا يهدي كيد الخائنين). فلما وقعت هذه الواقعة خرج مهاجرا من نفسه إلى الحق وازعة، وإلى الدين نازعة، وللباطل وأهله رادعة، وللشيطان قامعة، وفي أسباب الخير طامعة؛ وكان من خرج منهم في يوم سبعين ثم بعده تلاحق أناس منهم مسترسلين. ثم دخلت السنة السابعة والستون بعد المائة والألف وفيها طلب دهم، من الأمير محمد بن سعود الدخول في الدمام، وأن تجزى عليه وعلى بلاده أحكام الإسلام، ويقوم بتلك الوظائف والأحكام، وقصده بذلك الخديعة وإحكام حبيلها أشد الأحكام، فطلب منه خيلا وسلاحا، فلم ير بذلك بأسا ولا جناحا، ورغب في منهاج الإصلاح فبذل ما طلب، وجنح للهدية ورغب، واستدعى من الشيخ رجلا إماما يطيل عنده مقاما، وينشر في بلده للرعية أحكاما، فأرسل إليه عيسى بن قاسم فكان بشرائع الإسلام حاكم وتعليم التوحيد، قائم يقوم بذلك ويقعد ويدل على الله تعالى ويرشد، ويجد حسب طاقته ويجهد، فانتفع به من أهل الرياض جماعة حصلوا من التوحيد على بضاعة، وصارت لهم فيه قدم ولهذا هاجروا لما نبذ دهم العهد وخرم، وسيأتي ذكرهم في محله عند تحرير الارتداد وقته. وفيها جمع الشيخ أهل الإسلام من جميع البلدان وبين المواعظ في الكلام غاية البيان، لما تظاهر من تظاهر بالردة والخذلان، وأوضح ما يجري على أهل التوحيد من جوار العبيد (وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد) وكشف لهم معاني آيات القرآن، وما ذكر في محكم التبيان، وكلهم لقوله رحمه الله منتصون، ولما يلقيه من الحكم والمواعظ يسمعون، ويتلوا عليهم ما به ينتفعون (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون) وبشرهم بالنصر والظفر وحصول التي وقضاء الوطر إن برحوا على الدين واستقاموا، ولم يبرحوا عنه بل ثبتوا عليه وداموا وبشرهم بالرجوع إلى الله والتوبة وصدق النية والأوبة وتصديقهم بصدقات كثيرة وسألوا الله النصر وتيسيره. وفيها مقتل أولاد سيف السيارية صقر وإخوانه لما قاموا مع الباطل وأعوانه وهموا بقتل الأمير فأخبره بذلك النذير، فبادر إلى قتلهم خشية فعلهم، فبادر بذلك وأسرع وقتلهم بغوره أجمع، ولم يعاود على قتلهم أحد بل جد في ساعته واجتهد؛ وفيها مقتل سليمان بن خويطر. وسبب ذلك أنه قدم بلدة حريملا خفية وهم

إذ ذاك بلد حرب، فكتب معه سليمان بن عبد الوهاب إلى أهل العيينة كتابا وذكر فيه شبا من خرفة، وأقاويل مغيرة محرفة، وأحاديث أوهى من نسج العنكبوت، وأمره أن يقرأها في المحافل والبيوت، وألقى في قلوب أناس من أهل العيينة شبا مضرة شينة غيرت قلوب من لم يتحقق بالإيمان، ولم يعرف مصادر الكلام بالإتقان، فكان يفعل ما به أمر، فلما تحقق حاله واختبر أمر الشيخ به أن يقتل فقتل وامثله أمره وقبل، ثم إن سليمان على حاله لم يزل يرسل الشبا في الكتب لأهل العيينة مع من خرج منهم ودخل، ويبذل في ذلك الجد في العمل. ثم إن الشيخ أرسل لأهل العيينة رسالة أبطل فيها ما موه به سليمان وما قاله وعطل فيها كلامه وأقواله، نحا فيها منهج الصدق وبين واضح الثواب والحق، فهي تجر زخري تياره وطمى وسحاب همل ودقه، وهي زين فلكها بنجوم الحق الزواجر وأشحن فلكها بعلم التوحيد الزواجر، تلين قلوب السامعين لقولها وبصغى لها أهل الهدى بسماع دلائلها محروسة عن كل معارض وآياتها محفوظة عن كل مدافع وهذا فصلها بحروفها.

فصل

قال الشيخ رحمه الله: بسم الله الرحمن الرحيم. روى مسلم في صحيحه عن عمرو ابن عبسة السلمي رضى الله عنه قال: «كنت وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، قال فسمعت رجلا في مكة يخبر أخبارا فقدمت على راحلي حتى قدمت عليه، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخفيا جراء عليه قومه فتلعلقت حتى دخلت عليه بمكة فقلت وما أنت؟ فقال أنا نبي، قلت وما نبي؟ قال أرسلني الله. فقلت بأى شيء أرسلك؟ قال أرسلني بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيئا، فقلت ومن معك على هذا؟ قال حر وعبد، قال ومعه يومئذ أبو بكر وبلال. فقلت إني متبعك، فقال إنك لا تستطيع ذلك يومك هذا ألا ترى حالي وحال الناس ولكن أرجع إلى أهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني. قال فذهبت إلى أهلي وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وكنت في أهلي، فجعلت آتخبر الأخبار وأسأل الناس حين قدم المدينة حتى قدم فقلت إن أهل يثرب من أهل المدينة. فقلت ما فعل هذا الرجل الذي قدم فقلت؟ فقالوا: الناس إليه سراعا وقد أراد قومه قتله فلم يستطيعوا ذلك، فقدمت المدينة

فقلت يا رسول الله أتعرفني؟ قال أنت الذي لقيتني بمكة؟ قال: فقلت يا نبي الله أخبرني عما علمك الله وأجهله، أخبرني عن الصلاة، قال صل صلاة الصبح ثم أقصر عن الصلاة حتى تطلع الشمس وحتى ترتفع فإنها تطلع حين تطلع بين قرني شيطان وهي حينئذ يسجد لها الكفار ثم صل فإن الصلاة مشهودة محضورة حتى يستقل الظل بالرمح ثم أقصر عن الصلاة فإنها حينئذ تسجر جهنم فإذا أقبلت في الصلاة محضورة حتى تصلي العصر ثم أقصر عن الصلاة حتى تغرب الشمس فإنها تغرب بين قرني شيطان وحينئذ يسجد لها الكفار» وذكر الحديث.

قال أبو العباس رحمه الله: فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأنه حينئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان ولا أن الكفار يسجدون لها، ثم إنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسبا لمادة المشابهة. ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عود أو عمود جعله على حاجبه الأيمن ولم يصمد إليه صمدا ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة، ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل لما فيه من مشابهة السجود لغير الله انتهى كلامه. فليتأمل المؤمن الناصح لنفسه ما في هذا الحديث من العبر فإن الله سبحانه وتعالى يقص علينا أخبار الأنبياء وأتباعهم ليكون للمؤمن من المستأخرين عبرة فيقيس حاله بحالهم، وقص قصص الكفار والنافقين لتجنب ويحتمل من تلبس بها أيضا؛ فما فيه من الاعتبار أن هذا الأعرجي الجاهل لما ذكر له أن رجلا بمكة يتكلم بالدين بما يخالف الناس لم يصبر حتى ركب راحلته فقدم عليه وعلم ما عنده لما في قلبه من محبة الدين والخير، وهذا قسر به قوله تعالى: (ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم) أي حرصا على تعلم الدين لأسمعهم أي أفهمهم، فهذا يدل على أن عدم الفهم في أكثر الناس اليوم عدل منه سبحانه لما يعلم ما في قلوبهم من عدم الحرص على الدين، فتيين أن من أعظم الأسباب الموجبة لكون الإنسان من شر الدواب هو عدم الحرص على التعليم، وإذا كان هذا الجاهل يطلب هذا الطلب فما عذر من ادعى اتباع الأنبياء وبلغه عنهم ما بلغه وعنده من يمرض عليه التعليم ولا يرفع بذلك رأسا، فإن حضر أو استمع

فكما قال تعالى: (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون. لاهية قلوبهم). وفيه من العبر أيضا أنه لما قال أرسلني الله قال بأي شيء أرسلك قال بكذا وكذا فتيين أن زبدة الرسالة الإلهية والدعوة النبوية هي توحيد الله بعبادته وحده لا شريك له وكسر الأوثان، ومعلوم أن كسرهما لا يستقيم إلا بشدة العداوة وتجريد السيف فتأمل زبدة الرسالة؛ وفيه أيضا أنه فهم المراد من التوحيد وفهم أنه أمر كبير غريب ولأجل هذا قال من معك على هذا قال حر وعبد، فأجابه أن جميع العلماء الملوك والعامّة مخالفون له ولم يتبعه على ذلك إلا من ذكر، فهذا أوضح دليل على أن الحق قد يكون أقل القليل وأن الباطل قد يعلو الأرض، والله در الفضل ابن عياض رحمه الله حيث يقول: لا تستوحش من الحق لقلة السالكين ولا تنفر بالباطل لكثرة المالكين، وأحسن منه قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين). وفي الصحيحين «إن بعث النار من كل ألف تسعة وتسعون وتسعائة، وفي الجنة واحد من كل ألف». ولما بكوا من هذا لما سمعوه قال صلى الله عليه وسلم: إنها لم تكن نبوة قط إلا كان بين يديها جاهلية فيؤخذ العدد من الجاهلية فإن تمت وإلا أكلت من النافقين» قال الترمذي حسن صحيح. فإذا تأمل الإنسان ما في هذا الحديث من صفة بدء الإسلام ومن اتبع الرسول صلى الله عليه وسلم إذ ذاك ثم ضم إليه الحديث الآخر الذي في صحيح مسلم أيضا أنه قال صلى الله عليه وسلم «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ» تبيين له الأمران هداه الله وانزاحت عنه الحجة القرعونية. (فما بال القرون الأولى) والحجة القرشية (ما سمعنا بهذا في الأمة الآخرة) وقال أبو العباس رحمه الله تعالى في اقتضاء الصراط المستقيم في الكلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) وأيضا فإن قوله (وما أهل لغير الله به) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله سواء لفظ به أو لم يلفظ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم، وقال فيه بسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقرين به إلى الله كان أركى مما ذبحناه للحم وقتلنا عليه بسم الله فإن عبادة الله بالصلاة له والنسك له أعظم من الاستعانة باسمه في فوائح الأمور والعبادة لغير الله أعظم كفرا من الاستعانة بغير الله، فلو ذبح لغير الله متقربا إليه لحرم وإن قال فيه باسم الله كما يفعل طائفة من هؤلاء في هذه الأمة وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال لكن يجتمع

في الذبيحة مانعان ، ومن هذا ما يفعل بمكة وغيرها من الحج لاجن انتهى كلام الشيخ ، وهو الذي ينسب إليه بعض أعداء الدين أنه لا يكفر المعين . فانظر رحمك الله إلى تكفيره من ذبح لغير الله من هذه الأمة وتصريحه أن المنافق يصير مرتداً بذلك وهذا في المعين إذ لا يتصور أن تحرم إلا ذبيحة معين . وقال أيضاً في الكتاب المذكور وكانت الطواغيت الكبار التي تشد إليها الرحال ثلاثة اللات والعزى ومناة ، وكل واحد منها لمصر من أمصار العرب فكانت اللات لأهل الطائف وذكروا أنه في الأصل كان رجلاً صالحاً يلت السوق للحجاج فلما مات عكفوا على قبره . وأما العزى فكانت لأهل مكة قريباً من عرفات ، وكانت شجرة يذبحون عندها ويدعون . وأما مناة فكانت لأهل المدينة ، وكانت حذو قديد من ناحية الساحل ، ومن أراد أن يعلم كيف كانت أحوال المشركين في عبادة أوثانهم ويعرف حقيقة الشرك الذي ذمه الله وأنواعه حتى يتبين له تأويل القرآن فليتنظر إلى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأحوال العرب في زمانه وما ذكره الأزرق في أخبار مكة وغيره من العلماء .

ولما كان لأهل الشرك شجرة يعلقون عليها أسلحتهم ويسمون بها ذات أنواط فقال بعض الناس يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط فقال الله أكبر إنها السنن « لتركبن سنن من كان قبلكم » فأكرم صلى الله عليه وسلم مجرد مشابهم الكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها معلقين عليها سلاحهم فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه إلى أن قال : فمن ذلك عدة أمكنة بدمشق مثل مسجد يقال له مسجد الكف الذي فيه تمثال كف يقال إنه كف على بن أبي طالب حتى هدم الله ذلك الوثن . وهذه الأمكنة كثيرة موجودة في أكثر البلاد ، وفي الحجاز منها مواقع ؛ ثم ذكر كلاماً في نهيه صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عند القبور فقال العلة لما يقضى إليه ذلك من الشرك وذكر ذلك الشافعي وغيره ، وكذلك الأئمة من أصحاب أحمد ومالك وأبي بكر الأثرم عللوا بهذه العلة ، وقد قال تعالى (وقالوا لا تدرن آلهتكم ولا تدرن ودا ولا سواها ولا يغوث ويعوق ونسرا ، وقد أضلوا كثيراً) ذكر ابن عباس وغيره من السلف أن هذه أسماء قوم صالحين كانوا في قوم نوح ، فلما ماتوا عكفوا على قبورهم وصوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم ، ذكر هذا البخاري في صحيحه وأهل التفسير كابن جرير وغيره . وما يبين صحة هذه العلة أنه لعن من يتخذ قبور الأنبياء مساجد

ومعلوم أن قبور الأنبياء لا يكون تراها نجساً ، وقال في نفسه « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » فلم أن نهيه عن ذلك كنهيه عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها ، فسمت الذريعة لئلا يصلي في هذه الساعة وإن كان الصلي لا يصلي إلا لله ولا يدعو إلا إياه لئلا يفضي ذلك إلى دعاؤها والصلاة عندها وكلا الأمرين قد وقع ، فإن من الناس من يسجد للشمس وغيرها من الكواكب ويدعوها بأنواع الأدعية ، وهذا من أعظم أسباب الشرك الذي ضل به كثير من الأولين والآخرين حتى شاع ذلك في كثير ممن ينتسب إلى الإسلام ، وصنف فيه بعض المشركين كتاباً على مذهب المشركين مثل أبي معشر البلخي وثابت بن قرة وأمثالهما ممن دخل في الشرك وآمن بالجبوت والطاغوت وهم ينتسبون إلى الكتاب كما قال تعالى (ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) انتهى كلام الشيخ رحمه الله تعالى .

فانظر رحمك الله إلى هذا الإمام الذي نسب عنه من أزاخ قلبه عدم تكفير المعين كيف ذكر عن مثل الفخر الرازي وهو من أكابر أئمة الشافعية ، ومثل أبي معشر وهو من المشهورين المصنفين وغيرها أنهم كفروا وارتدوا عن الإسلام والفخر هو الذي ذكره الشيخ في الرد على المتكلمين لما ذكر تصنيفه الذي ذكر هنا قال وهذه ردة صريحة باتفاق المسلمين وسيأتي كلامه إن شاء الله تعالى ، وتأمل ما ذكر أيضاً في اللات والعزى ومناة ، وجعله بعينه هذا الذي يفعل بدمشق وغيرها ، وتأمل قوله على حديث ذات أنواط هذا قوله في مجرد مشابهمهم في اتخاذ شجرة فكيف بما هو أطم من ذلك من الشرك بعينه فهل للزائغ بعد هذا متعلق بشئ من هذا كلام الإمام ، وأنا أذكر لفظه الذي احتجوا به على زينهم . قال رحمه الله أنا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية إلا إذا علم أنه قد قامت الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى انتهى كلامه .

وهذا صفة كلامه في المسألة في كل موضع وقفنا عليه من كلامه لا يذكر عدم تكفير المعين إلا ويصله بما يزيل الإشكال أن المراد بالتوقيف عن تكفيره قبل أن يبلغ الحجة ، وإذا بلغته حكم عليه بما تقضيه تلك المسئلة من تكفير أو تفسيق أو تبديع ، وصرح رضي الله عنه أيضاً أن كلامه أيضاً في غير المسائل الظاهرة ، فقال

في الرد على المتكلمين لما ذكر أن بعض أئمتهم توجد منهم الردة عن الإسلام كثيراً قال وهذا إذا كان في المقالات الحفية فقد يقال إنه محطى ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، لكن يصدر هذا منهم في أمور يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بها وكفر من خالفها مثل عبادة الله وحده لا شريك له ونهيه عن عبادة أحد سواه من الملائكة والنبين وغيرهم فإن هذا أظهر شعائر الإسلام ، ومثل إيجابه للصلاة الخمس وتعظيم شأنها ، ومثل تحريم الفواحش والزنا والجر واليسر ثم تجد كثيراً من رءوسهم وقعا فيها فكانوا سردين ، وأبلغ من ذلك أن منهم من صنف في دين المشركين كما فعل أبو عبد الله الرازي يعني الفخر الرازي قال وهذه ردة صريحة ، فتأمل هذا وتأمل ما فيه من تفصيل الشبهة التي يذكرها أعداء الله ، لكن من يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا ، على أن الذي نعتقه وندين الله به ونرجو أنه يثبتنا عليه أنه لو غلط أو أجل منه في هذه المسألة وهي مسألة المسلم إذا أشرك بعد بلوغ الحجة أو المسلم الذي يفضل هذا على الموحدين أو يزعم أنه على حق أو غير ذلك من الكفر الصريح الظاهر الذي بينه الله ورسوله وبينه علماء الأمة أنا تؤمن بما جاءنا عن الله وعن رسوله ولو غلط من غلط ، فكيف والحمد لله ونحن لانعلم عن واحد من العلماء خلافا في هذه المسألة ، وإنما يلجأ من شاق فيها إلى حجة فرعون (فما بال القرون الأولى) أو حجة قريش (ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق . أنزل عليه الذكر من بيننا) .

وقال الشيخ رحمه الله في الرسالة السنية لما ذكر حديث الخوارج ومروقهم من الدين ، وأمره صلى الله عليه وسلم بقتالهم . قال فإذا كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه ممن انتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة حتى أمر صلى الله عليه وسلم بقتالهم ، فيعلم أن المنتسب إلى الإسلام أو السنة في هذه الأزمان قد يمرق أيضا من الإسلام ، وذلك بأسباب منها الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) الآية ، وعلى بن أبي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقتلهم فيها واتفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف بلا تحريق ، وهو قول أكثر الصحابة وقصتهم معروفة عند العلماء ، وكذلك الغلو في بعض المشايخ بل الغلو

في طي بن أبي طالب ، بل الغلو في المسيح ونحوه ؛ فكل من غلا في نبي أو رجل صالح وجعل فيه نوعا من الإلهية مثل أن يقول ياسيدي فلان انصرني أو أغثنى أو ارزقني أو اجبرني وأنا في حسبك ونحو هذه الأقوال فكل هذا شرك وضلال يستتاب صاحبه فإن تاب وإلا قتل فإن شاء إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده لا يجعل معه إله آخر (والذين يدعون مع الله إلها آخر) مثل المسيح والملائكة والأصنام لم يكونوا يعتقدون أنها تخلق الخلاق وتنزل المطر وتنبت النبات ، وإنما كانوا يعبدونهم أو يعبدون قبورهم أو صورهم ويقولون (مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى - ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فبغت الله رسوله ينهى أن يدعى أحد من دونه لادعاء عبادة ولادعاء استغاثة . وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يمكن كشف الضر عنكم ولا تحويلا. أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب) الآية . قال طائفة من السلف كان أقوام يدعون المسيح وعزيرا والملائكة ثم ذكر رحمه الله آيات ، ثم قال عبادة الله وحده لا شريك له هي أصل الدين وهي أصل التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل الكتب قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) . وكان صلى الله عليه وسلم يحقق التوحيد ويعلمه أمته حتى قال له رجل «ما شاء الله وشئت قال أ جعلتني لله ندا؟ بل ما شاء الله وحده» ونهى عن الحلف بغير الله ، وقال «من حلف بغير الله فقد أشرك» ، وقال في مرض موته «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبورا أنبياءهم مساجد» يحذر مما فعلوا ، وقال «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد» وقال «لاتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبورا ، وصلوا على حبيبا كنتم فإن صلاتكم تباعني» ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أنه لا يشرع بناء مسجد على القبور ولا الصلاة عندها ، وذلك لأن من أكبر أسباب عبادة الأوثان كان تعظيم القبور ، ولهذا اتفق العلماء على أنه من سلم على النبي صلى الله عليه وسلم عند قبره أنه لا يتمسح بحجرته ولا يقبلها لأنه إنما يكون لأركان بيت الله فلا يشبه بيت الخلق بيت الخالق ، كل هذا لتحقيق التوحيد الذي هو أصل الدين ورأسه الذي لا يقبل الله عملا إلا به ويغفر لصاحبه ولا يغفر لمن تركه كما قال تعالى (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما) .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضل السلام وأعظمه ؛ فأعظم آية في القرآن آية الكرسى الواقع تحته ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثا وهذا هو الذي يشول بين القلب (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وقال صلى الله عليه وسلم « من كان آخر كلامه من بين فهم القرآن ، كما قال عمر بن الخطاب : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة » والإله هو الذى يأله القلب عبادة له واستغاثة له ورجا إذا نسي في الإسلام من لا يعرف الجاهلية . وهذا لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه له وخشية وإجلالا اتهم كلامه . فتأمل أول الكلام وآخره فيمن دعا نبيا أو القرآن وماذمه وقع فيه وأقره ، وهو لا يعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية وليا مثل أن يقول : ياسيدى فلان أغثنى ونحوه أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل هل فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكرا والمنكر معروف والبدة سنة يكون هذا إلا في المعين والله المستعان . وتأمل كلامه في اللات والعزى ومناة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة وما ذكر بعده يتبين لك الأمر إن شاء الله تعالى ، وقال ابن القيم رحمه الله في شرح الرسول ، ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عيانا، النازل في باب التوبة : وأما الشرك فهو نوعان : أكبر وأصغر . فالأكبر لا يغفره الله والله المستعان .

فصل

وأما الشرك الأصغر فليسير الرياء والحلف بغير الله وقول هذا من الله ومنك وأنا بالله وبك مالى إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا أنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركا أكبر بحسب حال قائله وقصده . ثم قال الشيخ رحمه الله بعد ما ذكر الشرك الأكبر والأصغر : ومن أنواع الشرك سجود المريد للشيخ . ومن أنواعه التوبة للشيخ فإنها شرك عظيم . ومن أنواعه النذر لغير الله وابتغاء الرزق من عند غيره والتوكل على غير الله والعمل لغير الله والإنابة والخضوع والتذل لغير الله وإضافة نعمه لغيره . ومن أنواعه طلب الخواص من عند الموت والاستغاثة بهم والتوجه إليهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن استغاث به أو سأل أنه يشفع إلى الله ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده ، فإن الله تعالى لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، والله لم يجعل سؤال غيره سببا لإذنه ، وإنما السبب لإذنه كمال التوحيد ؛ فجاء هذا الشرك بسبب يمنع الإذن والميت محتاج إلى من يدعو له كما أوصانا النبي صلى الله عليه وسلم إذا زرنا قبور المسلمين أن نترحم عليهم ، ونسأل الله لهم العافية والمغفرة فعكس الشركون هذا وزاروهم زيارة العبادة وجعلوا قبورهم أوتانا تعبد فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبتهم إلى تنقص الأموات ، وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم

إلا بالتوبة منه وهو أن يتخذ من دون الله ندا يحبه كما يحب الله ، بل أكثرهم يحبور آلهتهم أعظم من محبتهم لله وينضبون لتنقص معبودهم من المشايخ أعظم مما ينضبون إذا انتقص أحد رب العالمين ، وقد شاهدنا هذا نحن وغيرنا جهرة ، وترى أحدهم قد اتخذ ذكر معبوده على لسانه إن قام وإن قعد وإن عثر وإن استوحش لا ينكر ذلك ، ويزعم أنه باب حاجته إلى الله وشفيعه عنده وهكذا كان عباد الأصنام سواء ، وهذا القدر هو الذى قام بقلوبهم وتوارثه المشركون بحسب اختلاف آلهتهم فأولئك كانت آلهتهم من الحجر وغيرها اتخذها من البشر قال الله تعالى حاكيا عن أسلاف هؤلاء (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعهم إلا ليقرّبونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار) . فهذا حال من اتخذ من دونه وليا يزعم أنه يقربه إلى الله تعالى ، وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره ، والذى قام بقلوب هؤلاء المشركين وأسلافهم أن آلهتهم تشفع لهم عند الله وهذا عين الشرك ، وقد أنكر الله ذلك عليهم في كتابه وأبطله وأخبر أن الشفاعة كلها له ، ثم ذكر الشيخ رحمه الله فصلا طويلا في تقرير هذا الشرك الأكبر ، ولكن تأمل قوله : وما أعز من تخلص من هذا بل ما أعز من لا يعادى من أنكره يبين لك بطلان الشبهة التى أدلى بها الملحدون ، وزعم أن كلام الشيخ في هذا الفصل أعنى الفصل الأول في الشرك الأكبر على الآية التى في سورة سبأ (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) وتكلم عليها ، ثم قال والقرآن مملوء من أمثالها ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول

راضون منهم بهذا وأنهم أمروهم به وهؤلاء أعداء الرسل في كل زمان ومكان وما أكثر المستجيبين لهم ، والله در خليله إبراهيم حيث يقول (واجبني وبني أن نعبد الأصنام . رب إنهم أضلّان كثيرا من الناس) وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد توحيده لله وعادى المشركين في الله وتقرب بهم إلى الله انتهى كلامه .

والمراد من هذا أن بعض الملحدين نسب إلى الشيخ أن هذا شرك أصغر وشبهه أنه ذكره في الفصل الثاني الذي ذكر في أوله الأصغر ، وأنت رحمك الله تجد الكلام من أوله إلى آخره في الفصل الأول والثاني صريحا لا يحتمل التأويل من وجوه كثير أن دعاء الموتى والنذر لهم ليسفعوا له عند الله هو الشرك الأكبر الذي بعث عليه النبي صلى الله عليه وسلم فكفر من لم يتب منه وقاتله وعاداه ، وآخر ما صرح به قوله آتينا وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من عادى المشركين إلى آخره فتأمل أن الإسلام لا يصح إلا بعبادة أهل هذا الشرك فإن لم يعادهم فهو منهم وإن يفعله . وقد ذكر في الإقناع عن الشيخ تقي الدين أن من دعا على بن أبي طالب فهو كافر ، ومن شك في كفره فهو كافر ، فإذا كان هذا حال من شك في كفره مع عداوته له ومقتله فكيف بمن يعتقد أنه مسلم ولم يعاده فكيف بمن أحبه فكيف بمن جادل عنه وعن طريقته ؟ وتعذر أنا لا نقدر على التجارة وطلب الرزق إلا بذلك وقد قال تعالى (وقالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا) ، فإذا كان هذا قول الله تعالى فيمن تعذر عن التبيين في العمل وعبادة المشركين بالخوف على أهله وعياله فكيف بمن اعتذر في ذلك بتحصيل التجارة ، ولكن الأمر كما تقدم عن عمر إن نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية فلماذا لم يفهم به معنى القرآن وأنه أشرك وأفسد من الدين قالوا إن تتبع الهدى معك تتخطف من أرضنا ، ومع هذا فكلام هؤلاء الكفار نفاق وإلا فهم يعتقدون أن أهل التوحيد ضالون مضلون وأن عبدة الأوثان أهل الحق والصواب كما صرح به إمامهم في الرسالة التي أتيتم قبل هذه خطه بيده ويقول بيني وبينكم أهل هذه الأقطار وهم خير أمة أخرجت للناس وهم كذا وكذا فإذا كان يريد التحاكم إليهم ويصفهم بأنهم خير أمة أخرجت للناس فكيف يصفهم أيضا بالشرك ومخالطتهم للحاجة ، وما أحسن قول أصدق القائلين (والسماوات الحبل إنكم لفي قول مختلف . يؤفك عنه من أفك - بل كذبوا بالحق لما جاءهم فهم في أمر

صريح) فرحم الله اصرا نظر لنفسه وتفكر فيما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله بعبادة من أشرك بالله من قريب أو بعيد وتكفيرهم وقتالهم حتى يكون الدين كله لله وعلم بما حكم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن أشرك بالله مع ادعائه للإسلام وما حكم به في ذلك الخلفاء الراشدون كعلي بن أبي طالب وغيره لما حرقهم بالنار مع أن غيرهم من أهل الأوثان الذين لم يدخلوا في الإسلام لا يقتلون بالتحريق والله الموفق . وقال أبو العباس بن تيمية في الرد على المتكلمين لما ذكر أحوال بعض أئمتهم قال وكل شرك في العالم إنما حدث برأى جنسهم فهم الآمرون بالشرك والفاعلون له ، ومن لم يأمرهم بالشرك فلم ينه عنه بل يقر هؤلاء وهؤلاء وإن رجح الموحدين ترجيحا فقد يرجح غيره المشركين ، وقد يعرض عن الأمرين جميعا ، فتدبر هذا فإنه نافع جدا ولهذا كان رؤوسهم المتقدمون والمتأخرون يأمرون بالشرك ، وكذلك الذين كانوا في ملة الإسلام لا ينهون عن الشرك ويوجبون التوحيد بل يسوون الشرك أو يأمرون أو لا يوجبون التوحيد ، وقد رأيت من مصنفاتهم في عبادة الملائكة وعبادة الأنفس الفارقة أنفس الأنبياء وغيرهم ما هو أصل الشرك وهم إذا ادعوا التوحيد فإنما توحيدهم بالقول لا بالعبادة والعمل والتوحيد الذي جاءت به الرسل لا بد فيه من التوحيد بإخلاص الدين لله وعبادته وحده لا شريك له وهذا شيء لا يعرفونه ، فلو كانوا موحدين بالقول والكلام لكان معهم التوحيد دون العمل وذلك لا يكفي في السعادة والنجاة بل لا بد أن يعبد الله ويتخذة إلها دون ما سواه ، وهو معنى قوله لا إله إلا الله انتهى كلام الشيخ ؛ فتأمل رحمك الله هذا الكلام فإنه مثل ما قال الشيخ فيه نافع جدا ومن أكبر ما فيه من القوائد أنه يبين لك حال من أقر بهذا الدين وشهد أنه الحق وأن الشرك هو الباطل ، وقال بلسانه ما أريد منه ولكنه لا يدين بذلك إما بغضاله أو عدم محبته كما هو حال النافقين الذين هم بين أظهرنا ، وإما إشارا لدنيا مثل تجارة وغيرها فيدخلون في الإسلام ثم يخرجون منه كما قال الله تعالى (ذلك بأنهم آمنوا ثم

يصرحون بمسبة الدين وأن الحق ما عليه أكثر الناس ويستدلون بالكثرة على حسن ما هم عليه من الدين ويفعلون ويقولون ما هو من أكبر الردة وأخسها فإذا قالوا والمراد منه قوله وهم عندي كفار بهذه الأوضاع . وقال أيضا لقد عظم الله الحيوان التوحيد حق والشرك باطل وأيضا لم يحدثوا في بلدكم أو ثانا جادل الملحد عنهم وقال لاسيا ابن آدم حيث أباحه الشرك عند الإكراه ، فمن قدم حرمة نفسك على حرمة حق إنهم يقولون أن هذا شرك وأن التوحيد هو الحق ولا يضرهم عنده ما هم عليه من أباحك أن تتوق عن نفسك بذكره بما لا ينبغي له سبحانه لحقيق أن تعظم شعائره ، السبب لدين الله وبني العوج له ومدح الشرك وذمهم دونه بالمال واليد واللسان والله وتوقروا وأمره وزواجه ، وعصم عرضك بإيجاب الحد بقذفك ، وعصم مالك بقطع يد المستعان . وقال أبو العباس أيضا في السلام على كفر مانع الزكاة والصحابة لا يقولون مسلم في سرقته ، وأسقط شطر الصلاة لأجل مشقتك ، وأقام مسح الخف مقام مسح الرجل إشفاقا عليك من مشقة الخلع واللبس ، وأباحك لليلة سدا لرمقك وحفظا لصحتك ، وزجرك عن مضارك بمجد عاجل ووعيد آجل وخرق العوائد لأجلك ، وأنزل السكيب إليك ، ليحسن بك مع هذا الإكرام أن ترى على ما نهاك منهمكا وعماء أمرك مرتكبا ، وعن داعيه معرضا ولداعى عدوك فيه مطيعا ، يعظمك وهو هو وتهمل أمره وأنت أنت هو حط رتب عبادك لأجلك ، وأهبط إلى الأرض من امتنع من سجدة يسجدها لك ! هل عادت خادما طالت خدمته لك لترك صلاة ؟ هل بقيته من دارك للإخلال بفرض أو لارتكاب نهي ؟ فإن لم تعترف اعترف العبيد للمولى فلا أقل أن تقتضى نفسك إلى الحق سبحانه اقتضاء السكافى المساوى ، وما أوحش ما تلاعب الشيطان بالإنسان بينا أن يكون بحضرة الحق ، وملائكة السماء سجودا له تتراعى به الأحوال والجهالات إلى أن يوجد ما جدا لصورة في حجر أو لشجرة من الشجر أو لشمس أو لقمر أو بصورة ثور خائر أو لطارئ صفر ! ما أوحش زوال النعم وتغير الأحوال والحوار بعد الكور ، لا يلقى بهذا الحى الكريم الفاضل على جميع الحيوانات أن لا يرى إلا عابدا لله في دار التكليف أو مجازى لله في دار الجزاء والتشريف وما بين ذلك فهو واضع نفسه في غير موضعها انتهى كلامه .

والمراد أنه جعل أقبح حال وأخسها من أحوال الإنسان أن يشرك بالله ، ومثله بأنواع : منها السجود لشمس أو لقمر ، ومنها السجود لصورة كما يسجد للصور التي في القباب على القبور . والسجود قد يكون بالجبهة على الأرض ، وقد يكون بالانحناء من غير وصول إلى الأرض كما فسر به قوله تعالى (ادخلوا الباب سجدا) قال ابن عباس أي ركبا . وقال ابن القيم في إغاثة الالهفان في إنكار تعظيم القبور ، وقد آل الأمر هؤلاء المشركين إلى أن صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا سماه مناسك المشاهد ، ولا يخفى أن هذا مفارقة لدين الإسلام ودخول في عبادة الأصنام ، وهذا الذى ذكره

اتباع الحق إجماع الصحابة على قتال مانع الزكاة وإدخالهم في أهل الردة وسبى ذرارهم وفعلهم فيهم ماصح عنهم ، وهو أول قتال وقع في الإسلام على من ادعى أنه من المسلمين فهذه أول واقعة وقعت في الإسلام على هذا النوع أعنى المدعين للإسلام وهي أوضاع الوقعات التي وقعت من العلماء عليهم من عصر الصحابة إلى وقتنا هذا وقال الإمام أبو الوفاء بن عقيل لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم وهم عندي كفار بها الأوضاع مثل تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها يامولاي أفا بي كذا وكذا وإلقاء الحرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى كلامه

ابن القيم رجل من المصنفين يقال له ابن القيم فقد رأيت ما قال فيه بعينه فكيف
يذكر تكفير المعين . وأما كلام أتباع سائر الأئمة في التكفير فنذكر منه قليلا من
كثير . أما كلام الحنفية فكلامهم في هذا من أغلظ الكلام حتى إنهم يكفرون المعين
إذا قال مصيحف أو مسيجد أو صلى صلاة بلا وضوء ونحو ذلك ، وقال في النهر
القيصري : وأعلم أن الشيخ قاسما قال في شرح درر البحار إن النذر الذي يقع من أكثر
البرام أن يأتي إلى قبر بعض الصالحاء قائلا ياسيدي فلان إن ردغائي أو عوفي مريض
تلك من الذهب والفضة أو الشمع أو الزيت كذا باطل إجماعا لوجوه إلى أن قال :
ومنها ظن أن الميت يتصرف في الأمر ، واعتقاد هذا كفر إلى أن قال : وقد ابتلى
الناس بذلك ولا سيما في مولد الشيخ أحمد البدوي انتهى كلامه . فانظر إلى تصريحه
أن هذا كفر مع قوله إنه يقع من أكثر العوام ، وأن أهل العلم قد ابتلوا بما لا قدرة
لهم على إزالته . وقال القرطبي رحمه الله لما ذكر سماع الفقهاء وصورته قال هذا حرام
الإجماع ، وقد رأيت فتوى شيخ الإسلام جمال الملة أن مستحل هذا كافر ، ولما علم
أن من صوته بالإجماع لم أن يكفر مستحله ، فقد رأيت كلام القرطبي وكلام الشيخ الذي
منه في كفر من استحل السماع مع كونه دون مانحن فيه بالإجماع بكثير كثير .
قال أبو العباس رحمه الله : حدثني الحضيري عن والده الشيخ الحضيري إمام الحنفية
في زمانه . قال : كان فقهاء بخاري يقولون في ابن سينا كان كافرا ذكيا ، فهذا إمام الحنفية
في زمانه . حكى عن فقهاء بخاري أنهم يقولون في ابن سينا وهو رجل معين مصنف
بطلان الإسلام . وأما كلام المالكية في هذا فهو أكثر من أن يحصر ، وقد اشتهر
عن قضاةهم سرعة الفتوى والقضاء بقتل الرجل عند السكامة التي لا يظن لها أكثر
الناس . وقد ذكر القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء من ذلك طرفا . وما ذكروا
من سلف بغير الله على وجه التعظيم كفر ، وكل هذا دون مانحن فيه بما لانسبة
بغير الله . وأما الشافعية فقال صاحب الروض رحمه الله : إن المسلم إذا ذبح للنبي
عليه وسلم كفر ، وقال أيضا من شك في كفر طائفة ابن عربي فهو كافر
دون مانحن فيه ، وقال ابن حجر في شرح الأربعين في الكلام على حديث
«إذا سألت فاسأل الله» ما معناه أنه من دعا غير الله فهو كافر ، وصنف في هذا
كتابا مستقلا سماه [الإعلام بقواطع الإسلام] ذكر فيه أنواعا كثيرة من الأقوال

(٣ - تاريخ نجد - نان)

والأعمال كل واحد منها ذكر أنه يخرج من الإسلام ويكفر به المعين وغالبها لا يساوى
عشر معشار مانحن فيه . وتعام الكلام في هذا أن يقال الكلام هنا في مستلثين : الأولى
أن يقال هذا الذي يفعله كثير من العوام عند قبور الصالحين ومع كثير من الأخبار
والأموات والجن من التوجه إليهم ودعائهم لكشف الضر والنذر لهم لأجل ذلك
هل هو الشرك الأكبر الذي فعله قوم نوح ومن بعدهم إلى أن انتهى الأمر إلى قوم
خاتم الرسل قريش وغيرهم فبعث الله الرسل وأزل الكتب ينكر عليهم ذلك
ويكفرهم ويأمر بقتلهم حتى يكون الدين كله لله ؟ أم هذا شرك أصغر وشرك المتقدمين
نوع غير هذا ؟ فاعلم أن الكلام في هذه المسألة سهل على من يسره الله عليه بسبب أن
علماء المشركين اليوم يقولون أنه الشرك الأكبر ولا يتكرونها إلا ما كان من مسيلة
الكذاب وأصحابه كابن إسماعيل وابن خالد مع تناقضهم في ذلك واضطرابهم فأكثر
أحوالهم يقولون أنه الشرك الأكبر ، ولكن يعتذرون أن أهله لم تبلغهم الدعوة ،
وتارة يقولون لا يكفر إلا من كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتارة يقولون
إنه شرك أصغر وينسبونه إلى ابن القيم في المدايح كما تقدم ، وتارة لا يذكرون شيئا
من ذلك بل يعظمون أهله وطريقتهم في الجملة وأنهم خير أمة أخرجت للناس وأنهم
العلماء الذين يجب رد الأمر عند التنازع إليهم وغير ذلك من الأقاويل المضطربة ،
وجواب هؤلاء كثير في الكتاب والسنة والاجماع ، ومن أصرح ما يجابون به إقرارهم
في غالب الأوقات أن هذا هو الشرك الأكبر ، وأيضاً إقرارهم من علماء الأقطار
مع أن أكثرهم قد دخل في الشرك وجاهد أهل التوحيد لكن لم يجد بدا من
الإقرار به لوضوحه . المسألة الثانية الإقرار بأن هذا هو الشرك الأكبر لكن لا يكفر
به إلا من أنكر الإسلام جملة ، وكذب الرسول والقرآن واتبع يهودية أو نصرانية
أو غيرها ، وهذا هو الذي يجادل به أهل الشرك والعناد في هذه الأوقات وإلا المسألة
الأولى قل الجدل فيها والله الحمد لما وقع من إقرار علماء الشرك بها .

فاعلم أن تصور هذه المسألة تصوراً حسناً يكفي في إبطاله من غير دليل خاص
لوجهين : الأول أن مقتضى قولهم إن الشرك بالله وعبادة الأصنام لا تأثير لها
في التكفير لأن الإنسان إن انتقل عن الملة إلى غيرها ، وكذب الرسول والقرآن فهو
كافر وإن لم يعبد الأوثان كاليهود . فإذا كان من انتسب إلى الإسلام لا يكفر إذا

أشرك الشريك الأكبر لأنه مسلم يقول لا إله إلا الله ويصلي ويفعل كذا وكذا
يكن للشرك وعبادة الأوثان تأثير بل يكون ذلك كالسواد في الحلقة والعمى والعرج
وإن كان صاحبها يدعى الإسلام فهو مسلم وإن ادعى ملّة غيرها فهو كافر وهذه
فضيحة عظيمة كافية في رد هذا القول الفصيح. الوجه الثاني: أن معصية الرسول صلى
عليه وسلم في أشرك وعبادة الأوثان بعد بلوغ العلم كفر صريح بالفطر والعقول والعلم
الضرورية، فلا يتصور أنك تقول لرجل ولو من أجهل الناس وأبلههم ماتقول فيهم
عصى الرسول ولم ينقله في ترك عبادة الأوثان والشرك مع أنه يدعى أنه مسلم متبر
إلا ويأدر بحسب القطرة الضرورية إلى القول بأن هذا كافر من غير نظر في الأدلة
سؤال أحد من العلماء، ولكن لغلبة الجهل وغرابة العلم وكثرة من يتكلم بهذه
المسألة من الملحدين اشتبه الأمر فيها على بعض العوام من المسلمين الذين يحبون الحق
فلا تحقرها وأمعن النظر في الأدلة التفصيلية لعل الله أن يمن عليك بالإيمان الثابت
ويجعلك أيضا من الذين يهدون بأمره. ومن أحسن ما يزيل الإشكال فيها ويزيد المؤمنين
يقينا ما جرى من النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه والعلماء بعدهم فيمن انتسب إلى
الإسلام كما ذكر أنه صلى الله عليه وسلم بعث البراء ومعه الراية إلى رجل تزوج امرأة أيا
ليقتله ويأخذ ماله، ومثل همه بغزو بني المصطلق لما قيل إنهم منعوا الزكاة، ومثل
قتال الصديق وأصحابه لماعى الزكاة وسبي ذراريهم وغنيمة أموالهم وتسميتهم
مرتدين، ومثل إجماع الصحابة في زمن عمر على تكفير قدامة بن مظعون وأصحابه
إن لم يتوبوا لما فهموا من قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح
فيما طعموا) حل الحجر لبعض الخواص، ومثل إجماع الصحابة رضي الله عنهم في زمن
عثمان رضي الله عنه على تكفير أهل المسجد الذين ذكروا كلمة في نبوة مسيلة مع أنهم
لم يتبعوه وإنما اختلفت الصحابة في قبول توبتهم، ومثل تحريق علي بن أبي طالب
رضي الله عنه أصحابه لما غلوا فيه، ومثل إجماع التابعين مع بقية الصحابة على كفر
الختار بن أبي عبيد ومن اتبعه مع أنه يدعى أنه يطلب بدم الحسين وأهل البيت
ومثل إجماع التابعين ومن بعدهم على قتل الجعد بن درهم وهو مشتهر بالعلم والدين
وهلم جرا من وقائع لا تعد ولا تحصى، ولم يقل أحد من الأولين والآخرين لأبي بكر
الصديق وغيره كيف تقاتل بني حنيفة وهم يقولون لا إله إلا الله ويصلون ويتركون
وكذلك لم يستشكل أحد تكفير قدامة وأصحابه لو لم يتوبوا وهلم جرا إلى زمن

بني عبيد الذين ملكوا المغرب ومصر والشام وغيرها مع تظاهرهم بالإسلام وصلاة الجمعة
والجماعة ونصب القضاة والمفتين لما أظهروا من الأقوال والأفعال ما أظهروا ولم
يستشكل أحد من أهل العلم والدين قتالهم ولم يتوقف فيه وهم في زمن ابن الجوزي،
ومنصف ابن الجوزي كتابا لما أخذت مصر منهم سماه النصر على مصر ولم يسمع أحد
من الأولين والآخرين أن أحدا أنكر شيئا من ذلك أو استشكله لأجل ادعائهم الملّة
أو لأجل قول لا إله إلا الله أو لأجل إظهار شيء من أركان الإسلام إلا ما سمعنا
من هؤلاء اللاعين في هذه الأزمان من إقرارهم أن هذا هو الشرك، ولكن من
فعله أو حسنه أو كان من أهله أو ذم التوحيد أو حارب أهله لأجله أو أبغضهم
لأجله أنه لا يكفر لأنه يقول لا إله إلا الله أو لأنه يؤدي أركان الإسلام الخمسة،
ويستدلون بأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها الإسلام هذا لم يسمع قط إلا من هؤلاء
الملحدين الجاهلين الظالمين، فإن ظفروا بحرف واحد من أهل العلم أو أحد منهم
يستدلون به على قولهم الفاحش الأحق فليذكروه، ولكن الأمر كما قال النبي
في قصيدته:

أحاديث لاتعزى إلى عالم فلا تساوى فلما إن رجعت إلى النقد

ولنختم الكلام في هذا النوع بما ذكره البخاري في صحيحه حيث قال باب تغيير
الزمان حتى تعبد الأوثان، ثم ذكر بإسناده قوله صلى الله عليه وسلم «لا تقوم الساعة
حتى تضطرب البيات نساء دوس حول ذي الخلصة» وذو الخلصة ضم لدوس
يعبدونه فقال صلى الله عليه وسلم لجري بن عبد الله «الآريعي من ذي الخلصة، فركب
إليه بمن معه فأحرقه وهدمته ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، قال فبرك على خيل
أخمس ورجلها خمس» وعادة البخاري رحمه الله إذا لم يكن الحديث على شرطه ذكره
في الترجمة ثم أتى بما يدل على معناه بما هو على شرطه ولفظ الترجمة وهو قوله يتغير
الزمان حتى تعبد الأوثان لفظ حديث أخرجه غيره من الأئمة، والله سبحانه
ويعلى أعلم.

ولنذكر من كلام الله ورسوله وكلام أئمة العلم جملا في جهاد القلب واللسان
والمال في إزالة أعداء الله وموالات أوليائه، وأن الدين لا يصح ولا يدخل الإنسان فيه إلا
بالإيمان فنقول:

باب وجوب عداوة أعداء الله

من الكفار المرتدين والمنافقين

وقول الله تعالى (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) وقول الله تعالى (ومن يتولهم منهم فإنه منهم) وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى ودونكم أولياء) إلى قوله (كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الآية وقوله (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله)

قال الإمام الحافظ محمد بن وضاح : أخبرنا غير واحد أن أسد بن موسى كتب إلى أسد بن القرات : اعلم يا أخى أن ما حملنى على الكتاب إليك ما ذكر أهل يلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة وعيبك لأهل البدعة وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقمعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم ، فأذلم الله بك وصاروا يبدعهم مستترين ، فأبشر أى أخى بثواب ذلك واعتد به من أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد ، وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله وإحياء سنة رسوله ؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أحيأ شيئاً من سنتى كنت أنا وهو كهاتين فى الجنة وسم بين أصبعيه » . وقال « أيمادع دعا إلى هدى فاتبع عليه كان له مثل أجر من تبعه إلى يوم القيامة » فمق يدرك هذا أجر شئ من عمله ، وذكر أيضاً « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلامتها » فاعنتم يا أخى هذا الفضل وكن من أهله فإن النبى صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ حين بعثه إلى اليمن وأوصاه « لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من كذا وكذا » وعظم القول فيه ، فاعنتم ذلك وادع إلى السنة حتى يكون لك بذلك ألفه وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث فيكونون أمة بعدك فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة كما جاء فى الأثر ، فاعمل على بصيرة ونية وحسبة فيرد الله بك المبتدع المقتون الزائغ الحائر ، فتكون خلفاً من نبيك صلى الله عليه وسلم ، فإنك لن تلقى الله بعمل شبهه . وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب

فإنه جاء الأثر « من جالس صاحب بدعة زعت منه العصمة ووكل إلى نفسه ، ومن مشى إلى صاحب بدعة مشى في هدم الإسلام » وجاء « مامن إله يعبد من دون الله أبغض إلى الله من صاحب هوى » وقد وقعت اللعنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل البدع وأن الله لا يقبل منهم صرفاً لا عدلاً ولا فريضة ولا تطوعاً ، وكما ازدادوا اجتهداً وصوماً وصلاةً ازدادوا من الله بعداً ؛ فارقض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأئمة الهدى من بعده انتهى .

واعلم رحمك الله أن كلامه وما يأتى من كلام أمثاله من السلف فى معاداة أهل البدع والضلال ضلالة لا تخرج من الملة لكنهم شددوا فى ذلك وحذروا منه لأمرين : الأول غلط البدعة فى الدين فى نفسها ، فعى عندهم أجل من الكبار يعاملون أهلها كما يعاملون به أهل الكبار كما تجد قلوب الناس اليوم أن الروافض عندهم ولو كان علماً أو عابداً أبغض وأشد من السنن المجاهر بالكبار . الأمر الثانى أن البدع تجر إلى الردة الصريحة كما وجد من كثير من أهل البدع . فمثال البدعة التى شددوا فيها مثال تشديد النبى صلى الله عليه وسلم على من عبد الله عند قبر رجل صالح مما وقع من الشرك الصريح الذى يصير المسلم مرتداً ، فمن فهم هذا فهم الفرق بين البدع وبين ما نحن فيه من الكلام فى الردة ومجاهدة أهلها أو النفاق الأكبر ومجاهدة أهله وهذا هو الذى نزلت فيه الآيات المحكمات مثل قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية وقوله (يا أيها النبى جاهد الكفار) الآية . وقال ابن وضاح فى كتاب البدع والحوادث بعد حديث ذكره أنه سيقع فى هذه الأمة فتنة الكفر وفتنة الضلالة لا يحل فيها السب والأموال وهذا الذى نحن فيه فتنة ضلالة لا يحل فيها السب ولا الأموال انتهى كلامه .

وقال رحمه الله أيضاً : أخبرنا رجل عن ابن المبارك قال : قال ابن مسعود « إن لله عند كل بدعة كيد بها أهل الإسلام ولياً من أوليائه يذب عنها وينطق بعلامتها فاعنتموا حضور تلك المواطن وتوكلوا على الله » . قال ابن المبارك (وكفى بالله وكيل) . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال « لأن أرد رجلاً عن رأى سبى أحب إلى من أن يشكاف شهر » . أخبرنا أسد عن أبى إسحاق الحذاء عن الأوزاعى قال كان بعض أهل العلم يقول لا يقبل الله من ذى بدعة صلاة ولا صياماً ولا صدقة ولا جهاداً ولا حجاً ولا صرفاً ولا عدلاً ، وكانت أسلافكم تشتد عليهم ألسنتهم وتشتمز منهم قلوبهم ويحذرون الناس

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين بيدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عثم ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي ثبت على ما هو عليه سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهروا فنتم ما باليت أن يقرأ ولكني خفت أن يلقي في قلبي شيئا أجهد أن أخرجه من قلبي العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر بالحاد فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرني حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعري قاعد فقال : رأيته ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشد منه قال رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفي الجنة هو أم في النار ؟ فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو موسى في الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك « يرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى قال أبو موسى في الجنة ، فلما كان في الثالثة قال والله لاستفهمه فدعاه حذيفة فقال : رويته إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار ، ثم قال : والذي نفسي بيده ليدخل النار مثل الذي مثلت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالي ماتكموه وإني واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لآمن أن يغمسوك في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجلا فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعه في أذنيه ثم قال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتي ، قال . فقال يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال يزاره يشده عليه وتميها للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد خرج عليك إلا خرجت ، أفجعل لك أن تخرج رجلا من بيتي ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

بدعتهم ، قال ولو كانوا مستترين بيدعتهم دون الناس ، ما كان لأحد أن يهتك عثم ما عليك لو قرأ آية ثم خرج ؟ قال إني والله لو ظننت أن قلبي ثبت على ما هو عليه سترا ولا يظهر منهم عورة الله أولى بالأخذ بها أو بالتوبة عليها . وأما إذا جهروا فنتم ما باليت أن يقرأ ولكني خفت أن يلقي في قلبي شيئا أجهد أن أخرجه من قلبي العلم حياة والبلاغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمة يعتصم بها على مصر بالحاد فلا أستطيع . أخبرنا أسد قال أخبرني حمزة عن سودة قال : سمعت عبد الله ثم روى بإسناده قال : جاء رجل إلى حذيفة وأبو موسى الأشعري قاعد فقال : رأيته ابن القاسم وهو يقول : ما كان عبد على هوى فتركه إلا إلى ما هو أشد منه قال رجلا قاعدا حتى ضرب بسيفه غضبا لله حتى قتل أفي الجنة هو أم في النار ؟ فذكرت هذا لبعض أصحابنا ، فقال تصديقه في حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أبو موسى في الجنة ، فقال حذيفة استفهم الرجل وأفهمه ما تقول حتى فعل ذلك « يرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون حتى يرجع السهم إلى قال أبو موسى في الجنة ، فلما كان في الثالثة قال والله لاستفهمه فدعاه حذيفة فقال : رويته إن صاحبك لو ضرب بسيفه حتى ينقطع فأصاب الحق حتى يقتل عليه فهو في الجنة وإن لم يصب الحق ولم يوفقه الله فهو في النار ، ثم قال : والذي نفسي بيده ليدخل النار مثل الذي مثلت عنه أكثر من كذا وكذا ثم ذكر بإسناده عن الحسن قال : لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك ، ثم ذكر بإسناده عن سفيان الثوري قال : من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث : إما أن يكون فتنة لغيره ، وإما أن يقع في قلبه شيء فيزل به فيدخله النار ، وإما أن يقول والله ما أبالي ماتكموه وإني واثق بنفسى ، فمن آمن الله على دينه طرفة عين سلبه إياه . ثم ذكر بإسناده عن بعض السلف قال : من أتى صاحب بدعة ليوقره فقد أعان على هدم الإسلام . أخبرنا أسد قال أخبرنا حماد بن زيد عن أيوب قال : قال أبو قلابة : لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فإنى لآمن أن يغمسوك في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما تعرفون . قال أيوب وكان والله من الفقهاء ذوى الألباب : أخبرنا أسد عن محمد بن طلحة قال : قال إبراهيم : لا تجالسوا أصحاب البدع ولا تكلموهم فإنى أخاف عليكم أن ترتد قلوبكم ، أخبرنا أسعد بالإسناد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل » أخبرنا أسد أخبرنا مؤمل بن إسماعيل عن حماد بن زيد عن أيوب قال : دخل على محمد بن سيرين يوما رجلا فقال : يا أبا بكر أقرأ عليك آية من كتاب الله لا أزيد على أن أقرأها ثم أخرج فوضع إصبعه في أذنيه ثم قال : أخرج عليك إن كنت مسلما لما خرجت من بيتي ، قال . فقال يا أبا بكر إني لا أزيد على أن أقرأ ثم أخرج قال : فقال يزاره يشده عليه وتميها للقيام فأقبلنا على الرجل فقلنا قد خرج عليك إلا خرجت ، أفجعل لك أن تخرج رجلا من بيتي ؟ قال فخرج فقلنا يا أبا بكر

عن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا نشر فيكم من السلف ما عرف فيكم غير هذه القبلة . أخبرنا محمد بن قدامة بإسناده عن أم الدرداء قالت : دخل علي أبو الدرداء منضبا فقلت له ما أغضبك ؟ فقال والله ما أعرف فيهم من أمر محمد شيئا إلا أنهم يصلون جميعا ، وفي لفظ : لو أن رجلا بعلم الإسلام وأهمه ثم تفقده ما عرف منه شيئا . حدثني إبراهيم بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال : لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خليا بمصحفهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس اليوم ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه . قال مالك وبلغني أن أبا هريرة تلا قوله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح) فقال والذي نفسي بيده إن الناس ليخرجون اليوم من دينهم أفواجا كما دخلوا فيه أفواجا . قف وتأمل رحمك الله إذا كان هذا في زمن التابعين بحضرة أواخر الصحابة فكيف يغتر المسلم الكثرة أو تشكل عليه ولا يستدل بها على الباطل . ثم روى ابن وضاح بإسناده عن أبي أمية قال أثبت أبا ثعلبة الحشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال أية آية ؟ قلت قول الله تعالى (لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال أما والله لقد سألت بها خيرا سألت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . « اتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأى برأيه ، فعليك بنفسك ودع أمر العوام فإن من ورائكم أيا ما الصبر فيهن مثل قبض على الجمر للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله ، قيل يا رسول الله أجر خمسين منكم ؟ قال أجر خمسين منكم » . ثم روى بإسناده عن عبد الله بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « طوبى للغرباء ثلاثا قالوا يا رسول الله ومن الغرباء ؟ قال أناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يفضهم أكثر ممن يحبهم » . أخبرنا محمد بن سعيد بإسناده عن المعافري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى للغرباء الذين يمسكون بكتاب الله حين يترك ويمالون بالسنة حين تطفأ » . أخبرنا أسد عن سالم بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « بدأ الإسلام غريبا ولا تقوم الساعة حتى يكون غريبا فطوبى للغرباء حين يفسد الناس ثم طوبى للغرباء حين يفسد الناس » . أخبرنا أسد بإسناده عن عبد الله أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول . « بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء ، قليل وما الغرباء يا رسول الله ؟ قال الذين يضلحون عند فساد الناس » .

هذا آخر ما نقلته من كتاب الحوادث والبدع للإمام الحافظ محمد بن وضاح رحمه الله تعالى . قال المؤلف : وتأمل رحمك الله تعالى أحاديث القرية وبعضها في الصحيح مع كثرتها وشهرتها ، وتأمل إجماع العلماء كلهم أن هذا قد وقع من زمن طويل حتى قال ابن القيم : الإسلام في زماننا أغرب منه في أول ظهوره ، فتأمل هذا تأملا جيدا لعلك أن تسلم من الهوة الكبيرة التي هلك فيها أكثر الناس وهي الاقتداء بالأكثر والسواد الأكبر والنفوة من الأقل فما أقل من سلم منها ، ما أقله ما أقله ! ولنختم ذلك بالحديث الصحيح الذي أخرجه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما من نبي بعثه الله تعالى في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره » وفي رواية « يهتدون بهديه ويستنون بسنته ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدكم بیده فهو مؤمن ومن جاهدكم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدكم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » انتهى ما نقلته والحمد لله رب العالمين .

وقد رأيت للشيخ تقي الدين رسالة كتبها وهو في السجن إلى بعض إخوانه لما أرسلوا إليه يشيرون عليه بالرفق بخصومه ليتخلص من السجن أحبت أن أقول أولها لعظيم منفعة قال : الحمد لله نستعينه ونستعديه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا صلى الله عليه وسلم تسليما .

أما بعد : فقد وصلت الورقة التي فيها رسالة الشيخين الجليلين العالمين الناسكين القدوتين أيدها الله وسائر الإخوان بروح منه وكتب في قلوبهم الإيمان وأدخلهم مدخل صدق وأخرجهم مخرج صدق وجعل لهم من لدنه ما يتم به من السلطان سلطان العلم والحجة بالبيان والبرهان وسلطان القدرة والنصرة بالسنة والأعوان وجعلهم من أوليائه المتقين وحزبه الغالين لمن ناوأمهم من الأقران ومن أئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيمان والله محقق ذلك ومنجز وعده في الدر والإعلان ومنتمهم من حزب الشيطان لعباد الرحمن لكن على ما اقتضت ومضة به سنته من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهله النفاق والبهتان إذ قد

دل على أن لابد من الفتنة لكل من ادعى الإيمان والعقوبة لذوى السيئات والطغيان فقال تعالى (ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين . أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ؟ ساء ما يحكمون) فأذكر سبحانه على من يظن أن أهل السيئات يفوتون الطالب الغالب ، أو أن مدعى الإيمان يترك بلافتنة تميز بين الصادق والكاذب ، وأخبر في كتابه أن الصدق في الإيمان لا يكون إلا بالجهاد في سبيله فقال تعالى (قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) وقوله (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون) وأخبر سبحانه بخسران القلب على وجهه عند الفتنة التي يعبد الله فيها على حرف وهو الجانب والطرف الذي لا يستقر من هو عليه بل لا يثبت على الإيمان إلا عند وجود ما يهواه من خير الدنيا ، فقال تعالى (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به) الآية ، وقد قال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين - ونبأ أخباركم) وأخبر سبحانه أنه عند وجود المرتدين لابد من وجود المحبين المحبوبين المجاهدين فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه) الآية ، وهؤلاء الشاكرون لنعمة الإيمان الصابرون على الامتحان كما قال تعالى (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأنت مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) فإذا أنعم الله على الإنسان بالصبر والشكر كان جميع ما يقضى له من القضاء خيرا له كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يقضى الله للمؤمن من قضاء إلا كان خيرا له إن أصابته سراء فشكر كان خيرا له وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له » والصابر الشكور هو المؤمن الذي ذكر الله في غير موضع من كتابه ، ومن لم ينعم الله عليه بالصبر والشكر فهو بشر حال وكل واحدة من السراء والضراء في حقه تفضي به إلى قبح المال فكيف إذا كان ذلك في الأمور العظيمة التي هي من عن الأنبياء والصديقين وفيها تثبيت أصول الدين وحفظ الإيمان والقرآن من كيد أهل النفاق والإلحاد والبهتان فالحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغي لكرم وجهه وعز جلاله ، والله المستول أن يشبكم وسائر المؤمنين في الحياة الدنيا والآخرة ويتم نعمته عليكم الباطنة والظاهرة وينصر دينه

وكتابه ورسوله وعباده المؤمنين على الكافرين والمنافقين الذين أمرنا بجهادهم والإغلاظ عليهم في كتابه المبين ، انتهى كلام أبي العباس رحمه الله .
ومن جواب له رحمه الله لما سئل عن الحشيشة ما يجب على من يدعى أن أكلها جائز ؟ فقال أكل هذه الحشيشة حرام وهي من أخبث الحباث المهرمة سواء أكل منها كثيرا أو قليلا لكن الكثير منها المسكر حرام باتفاق المسلمين ، ومن استحل ذلك فهو كافر يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا لا يغسل ولا يصلى عليه ولا يدفن بين المسلمين ، وحكم المرتد شر من حكم اليهود والنصارى سواء اعتقد أن ذلك محل للعامة أو للخاصة الذين يزعمون أنها لقمة الذكر والفكر وأنها تحرك العزم الساكن وتنفع في الطريق ، وكان بعض السلف ظن أن الحمر يباح للخاصة متأولا قوله تعالى (ليس على الذين آمنوا وعمالوا الصالحات جناح فيما طعموا) فاتفق عمر وعلى وغيرهما من علماء الصحابة على أنهم إن أفروا بالتحريم جلدوا وإن أصروا على الاستحلال قتلوا انتهى ما نقلته من كلام الشيخ ، فتأمل كلام هذا الذي ينسب إليه عدم تكفير المعين إذا جاهر بسبب دين الأنبياء وصار مع أهل الشرك وزعم أنهم على الحق ويأمر بالمصير معهم ويشكر على من لا يسب التوحيد ويدخل مع المشركين لأجل انتسابه إلى الإسلام ، انظر كيف كفر المعين ولو كان عابدا باستحلال الحشيشة ولو زعم حلها للخاصة التي تعينهم على الفكرة واستدل بإجماع الصحابة على تكفير قدامة وأصحابه إن لم يتوبوا وكلامه في المعين وكلام الصحابة فكيف بما نحن فيه مما لا يساوى استحلال الحشيشة جزءا من ألف جزء منه ، والحمد لله رب العالمين انتهى .

وفي هذه السنة أيضا جرت وقعة تسمى وقعة الغزلي وهو رجل في قصر من قصور ظرما فعزم على الردة وصمم عليها قصده فأرسل إلى إبراهيم بن سليمان يخبره بذلك الأمر والشأن ويستنجد به بأن يرسل إليه أعوانا فأرسل إليه بعض الجيش لكي تطمئن نفسه ويسكن ما بها من الطيش فعثر على ما نواه وأراد واطلع على حاله أمير البلاد فأرسل إلى الأمير محمد بن سعود يخبره بالأمر العقود فجهاز الأمير جيشا في ساعته من أهل العينة وأهل الدرعية وغيرها من جماعته وبادروا إلى قصر ظرما بالمسير ليحاجلوا ذلك التدبير وسار معهم محمد بن عبد الله أمير ظرما وغالب

قومه بعد التنبؤ في الحال والاستعداد في القتال ، فلما قارب البلد كمن في زرع الدرة
وقعد ، فلما مضى هزيع من الليل سمعوا وقع حوافر الحيل فبدروهم بالجملة وقتلوه
فورا من غير مهلة ولم يسلك منهم فجع الانهزام إلا من نجى برأس طمرة ولجام ، وقتل
من أهل ثرمدا ممن أقبل منهم واعتدى على سبيل التحقيق لا التخمين قريبا من نحو
سبعين وأسر أناسا من الأمائل منهم عبد الكريم بن زامل . ثم دخلت
السنة الثامنة والستون . وفيها فتح الله تعالى للمسلمين حرملا فأخذوها بالسيف
عنوة وبفتوا أهلها بها فجوة ، وذلك أن عبد العزيز فسح الله له في الأجل وبلغ
غاية الأمل ، غزا بالمسلمين وكانوا نحو الثمان من الثين وخيلهم لا تزيد على
عشرين فأناخ شرق البلاد وقد اشتد ظلام الدجنة في السواد ، وقد عبأ المسلمين
وجعل ذلك الكمين في موضعين فصار الأمير عبد العزيز في شعب عوجا ومبارك
ابن عدوان مع مائتي رجل أقاموا بالجزيع فوجا ، فلما بدا جبين النهار وأسفر
وجهه واستار وأخذ أهل الفلاحة في الانتشار شن الشعواء وأغار ، فلم يكن لأهل
البلد عن الظهور اسطبار ، فعند ذلك نشب القتال وتلاحمت الأبطال وظهر الكمين
الأول فكان كل من أهل البلد على الصبر قد غول ، وأرخصوا عند ذلك المهج
ولم يكن أحد لمتج الفرار قد اتسج حتى بدا لهم الكمين الثاني فلم يكن أحد على
القرار ثاني بل جدوا في الفرار بلا توان وملك المسلمون أعقابهم وحققوا مطالبهم
فقتلوا منهم مائة عجل الله ذهابهم وأراد استئصالهم وعذابهم ، ونال المسلمون بذلك
غاية الآمال والنال وغنموا تلك الدخائر والأموال ، وطاف على أهل ذلك الأفعال
طائف العذاب والوبال وقتل من المسلمين سبعة رجال ، ودخل المسلمون البلد
ولم يكن أحد من أهل الشرك إلا شرد وأعطى عبد العزيز بقية الناس الأموال
وكانت البلد فينا من الله على سبيل الامتتان وخرج هاربا منها عتفيا ابن عبد الوهاب
سليمان وأمر عبد العزيز مبارك بن عدوان وبش الأمير كان لأنه آثر بعد ذلك
سبيل الشيطان كما يأتي بيان رده في شهره وسنته وقد أعطاه عبد العزيز من
الأموال كل نفيس عزيز وخيره في البيوت والمنازل وفي البساتين والأصائل وأخر
ما شاء من تلك الدار واختار ما طالب من العقار .

ولما توقف في حكم أموال أهل هذه البلدة الناس كشف الشيخ رحمه الله تعالى

من ذلك حجب الإلباس وأماط عن وجهه الحكم الأذناس وبنت الحكم بأنها على
المسلمين من جملة الإلباس نظير ماصدرو وجرى من أفعال السلف الكبرى ، وكان
ذكر لثمان مضت من جمادى الأولى يوم الجمعة ، وأقبل عبد العزيز بتلك الأموال
والغنائم إلى الدرعية ثم وقعت فيها المقاسم . وفيها تظاهر على نصرة الدين ومحاربة أهل
الفساد والمشركين عامة أهل شقرا فأدركوا بذلك غزا وغفرا وأحرزوا ثوابا وأجرا
فاجتمعوا على ذلك بعد الاقتراق ، واضمحل ما كان منهم قبل ذلك من الاختلاف
والشقاق . وفيها محاربة ابن دواس الثانية في شعبان بدت الردة من دهام واجتمع هو
وابن فارس على محاربة المسلمين والإسلام بلا سبب من المسلمين لذلك باعث ، بل على
سبيل الاختيار أصبح للعهد ناكث ، فأول ماجرى منه أنه عدا على أهل أبي الكباش
وانقلب راجعا منحاش ، ولما تظاهر دهام بذلك الاعتداء وعدل عن سنن الاهتداء
وتبين ذلك منه وبدا حناق على أهل الدين والمهدى من أهل بلده السكنى عند أهل
الردا ، فأجمعوا على الهجرة وكل حقق عليها رأيه وأمره فتركوا الأموال والوطن
وباعوها بأغلى وأعلام على مولى المن فتمت مشاهيرهم محمد بن صالح وسعيد بن
عمران أهل الهجرة الأولى من الرياض إلى منفوحة ابن ذهلان عبد الرحمن وابن
صالح وسعيد بن عمران وحما بالحويل ومحمد بن دخيل وعياله أحمد وموسى وعبد الله
وموسى بن محمد وقاسم ومانع وعيسى بن نوح وعلي بن نوح وسعد بن نوح وأخوه
موسى وعبد الرحمن بن جندل وموسى بن زياد وابنه محمد وعبد الرحمن بن سويدان
وسليمان بن سحيم وسليمان بن حمد صالح وراشد بن نفيسة وعلي بن نفيسة وإبراهيم بن نفيسة
وسليمان بن نفيسة وموسى أبو الحويل وعبد الرحمن أبو الحويل . ثم هاجر جميع ما ذكرنا
من منفوحة إلى الدرعية لما ثبت أسباب الردة من ابن فارس . ثم هاجر معهم من مشاهير
أهل منفوحة حسين بن عثمان وعثمان بن حسين وسليمان بن حسين ومحمد بن حمد بن
حسين وسلطان بن عبد الله ومحمد ابنه وإبراهيم بن سلطان وسليمان بن حسين وإخوته
ناصر وسلامة وموسى والخاضيب عبد الرحمن وعياله عبد الله وحمد وعيسى وعيال
عليه السلام يحيى وموسى وعلي بن مزروع وعبد الله وحسن والسحوم دهمش وعمر وحمد
وعلي ، ومن الزمامات يحيى وموسى وآل نذيان ثلاثة محمد والغيليث وراشد وعلي
وعبد الرحمن بن قاسم وسويلم بن قرأش وعثمان بن مجلى وعرييد وعثمان العليوى ومحمد

ابن طفيل ومبارك بن صرحان وغيث بن سحيم وولده وشهد بن هلال وأخوه حماد بن داود وعنه منه أذن وأمية ناصر بن حجاز العريفي وسعود بن حمد فكل منهما وثالثهم علي وراشد التحنفي وعثمان التحنفي وسليمان الشعبي وعبد الله بن نفيس دارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج الفوز والرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهم بن فارس وأهل الوشم في رفعة وتمكين إلى منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا وأهل سدير وأهل نادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميع دواب كثيرة إلى بلاد بقر وأحمير ، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع فوصلوها وسلطان الليل قائم والسكرى على الأضغان حاكم وغالب الأحرار نائم وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحضر فدخلوا في حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك بينهم وبين المسلمين القتال والجلد وكل ثمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وصلك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن منادى الهوان والإذلال قولوا مدبرين ولبدهم طالبيين ورجعوا بالحيلة والحسرة وكم عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صباح يومه وحمل بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقي طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين في البيوت خوف الاغتيل ، ومكثوا نحو خمسة أيام في أشرف مقام وفي مدة هذه الإقامة كل يشد للرمي سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسور المسلمون عليهم الدور وحق عليهم السكر والفجور ، وحان عليهم القضاء المحتم المسطور ، فقتلوا قتلة رجل واحد ، وكان دهم على مقتلهم واحد ، وأخذوا ما معهم من سلاح ، وغدا دهم بالحزى وراح ، وكان جماعة القتولين من الأحزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة غنم بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر تجمهوا عليه بما صدر كيف وفي الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بي فقدر» فأخذ منهما الغضب غايه وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تشجع عن أهل القويعة غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عن الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولا التزام أحكام الإسلام راغبة ، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعة فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا في تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بحمال ذلك اللباس فما خلعه ولا نفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق

ابن طفيل ومبارك بن صرحان وغيث بن سحيم وولده وشهد بن هلال وأخوه حماد بن داود وعنه منه أذن وأمية ناصر بن حجاز العريفي وسعود بن حمد فكل منهما وثالثهم علي وراشد التحنفي وعثمان التحنفي وسليمان الشعبي وعبد الله بن نفيس دارع إلى ذلك الشأن ونهد ، وبادر إلى الوفود فوفد ، وهاجروا إلى ديار الإسلام فنالوا وعبد القادر وعيسى بن سرحان وعبد الله بن رشيدان ومفرج بن رشيدان ومفرج الفوز والرام . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز متع الله تعالى به المسلمين ابن جلال وعيسى بن سعدون وولده محمد . وفيها اجتمع دهم بن فارس وأهل الوشم في رفعة وتمكين إلى منفوحة ودخلوا نخيل الصبيحة وأخذوا وأهل سدير وأهل نادق وجلوية حريملا فغزوا حريملا وحزبوا عليها وساروا جميع دواب كثيرة إلى بلاد بقر وأحمير ، ثم خرج عليهم الأفزاع ، فهزمهم المسلمون بالقتل والدفاع فوصلوها وسلطان الليل قائم والسكرى على الأضغان حاكم وغالب الأحرار نائم وقتل منهم على أبو الماسح وغيره ثم جاءهم بعد ذلك أهل الرياض بالمدد واستحضر فدخلوا في حلة تسمى الحسيان ، ولم يشعر بهم من البلد إنسان حتى ملكوا تلك بينهم وبين المسلمين القتال والجلد وكل ثمر للجلاد واجتهد حتى صاح بأحزاب الضلال البساتين والحلة واستعد كل منهم للقتال وصلك محله فأخبر بذلك الشأن مبارك بن منادى الهوان والإذلال قولوا مدبرين ولبدهم طالبيين ورجعوا بالحيلة والحسرة وكم عدوان فنهض عليهم مع جماعة معه في الليل فرجعوا ولم يخرجوهم من النخيل ، فلما أصبح الصباح اغتدى للحرب وراح واجتمع مبارك مع قومه والتقى معهم صباح يومه وحمل بينهم القتال وأخرجوا طائفة من تيك الجبال وبقي طائفة من الرجال وغالبهم من أهل حريملا من الجلوية محصورين في البيوت خوف الاغتيل ، ومكثوا نحو خمسة أيام في أشرف مقام وفي مدة هذه الإقامة كل يشد للرمي سهامه وقتلوا من أهل البلد نحو ثمانية عشر من العدد ثم بعد ذلك تسور المسلمون عليهم الدور وحق عليهم السكر والفجور ، وحان عليهم القضاء المحتم المسطور ، فقتلوا قتلة رجل واحد ، وكان دهم على مقتلهم واحد ، وأخذوا ما معهم من سلاح ، وغدا دهم بالحزى وراح ، وكان جماعة القتولين من الأحزاب ستين وقد دعا مبارك أناسا من أهل حرمة محصورين وأعطاهم ذمة المسلمين فخرج منهم على الأسر عشرة غنم بهم وقتل منهم ستة قضى بهم وطره ولم يشعر بذلك الشيخ وابن سعود ولما جاءهم الخبر تجمهوا عليه بما صدر كيف وفي الحديث «ثلاثة أنا خصمهم وذكر رجلا أعطى بي فقدر» فأخذ منهما الغضب غايه وبلغ حده ونهايته . ثم دخلت السنة التاسعة والستون وفيها تشجع عن أهل القويعة غمام الشرك والشر والأذى ، وزال عن أبصار بصائرهم القذى ، واستنشقوا من عن الحق شذى ، وداخل أفئدتهم من التوحيد شائبة وهبت لهم من ذلك سايبة ، فصارت قلوبهم للدخول فيه طالبة ولا التزام أحكام الإسلام راغبة ، فأقبلوا على الشيخ والأمير محمد حين أرادوا ذلك الطريق الأحمد وقدم محروس الدرعية كبار أهل القويعة فبايعوا على الإسلام والتزموا جميع الأحكام ولقد صدقوا في تلك البيعة ووفوا وأقاموا متجملين بحمال ذلك اللباس فما خلعه ولا نفوا ، وكان أول من صار إلى التوفيق

فيه عبد الوهاب بن مشرف وخرجوا عنها بعد ما قارب كل منهم الحمام وأشرف ،
وصادفوا بعد أن خرجوا من تلك البلاد دهام بن دواس ومن معه من الأجناد ، فلم
يعرفوهم وظنهم من أهل الدور أمداد ، وقد عرف المسلمون دهاما وقومه وظن كل
منهم أنه ملاق حمامه ويومه ، فحقن الله تعالى دماءهم وأنجح سؤلهم ومنهم إلا أنهم قتلوا
ثلاثة رجال من أهل الرياض ذوى الضلال قد عرفوهم بالرؤوس فخرجوهم من الحمام
مر الكؤوس ، ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد استشهد منهم عشرة في تعدادهم . وفيها
أيضا حزب أهل الوشم وأهل سدير على شقرا وراموا بذلك من الهتك أمرا ،
فساروا وقد ملئت قلوبهم بالحق والضغائن فغزوا بأجمعهم قرية القرائن ، وأقاموا بها
من الأيام ثلاثة وكل يوم يناوشون أهل شقرا الحرب من غير توان ولا رثانة ، ويقع
بينهم في قتال وطعان ومجال حتى أراد الكبير المتعال الخذلان لأهل الضلال ، فجاء
محمد بن سعود الخبر وتيقنه خبرا ، فجود صارم العزم للمسير وأخبر بذلك أهل شقرا ،
وعين لهم الزمن العلوم وبين لهم يوم القدوم الذي أجرى الله فيه القضاء المحتوم على
من هو لاستئصال المسلمين يروم ؛ فلما جاء ذلك اليوم وحان الذل بالقوم خرج إليهم
أهل شقرا ليشغلوهم بالحرب قسرا ، خشية أن ينهزموا إن نالوا من مجيء المسلمين خبرا ؛
فلما نشب القتال وحشي ، طلع عليهم عبد العزيز والكمي ، فلم يجدوا غير الهزيمة ملاذا
ولا سوى قرية القرائن معاذا ، فولوا إليهم مدبرين وبقوا بها منحصرين ، وولى المسلمون
أكتافهم في الهزيمة ولولا قرب القرية لكانت المقتلة عظيمة ، وقتل المسلمون منهم
نحو خمسة عشر وكان منهم من هو مشتهر : منهم حمد المكي وسويد بن زايد وغيرهما
وأخذوا ركابا وسلاحا وفرسا ثم حصروهم في القرائن وأطالوا لهم مجسا وأقاموا
قريبا من عشرين يوما في الحصار في غاية الضنك والضيق حتى أيقنوا بالدمار والكن الله
لما أراد لهم السلامة أقبل ابن سويط وقومه ففهموا أخباره وإعلامه فخرجوا ليلا
مختمين وللنجاة طالبين . وفيها قتل غزو بن فايز في مكان يقال له الحسي ؛ وذلك أن
المسلمين جاءهم عنه الخبر فجرد له عبد العزيز ونفر وكن له في الحسي ورصد حتى جاء
إليه ووفد ، فاستأصل المسلمون شأفته وقتلوا جماعة وأضحى ابن فايز في أيديهم أسيرا
حتى بذل في فداء نفسه مالا كثيرا وكان جملة ما أعطى وأظهر خمسمائة أحرار . وفيها
أيضا وقعة باب القبلى وذلك أن عبد العزيز حرمه الله تعالى شمر ساعده للحرب
(٤ - تاريخ نجد - ثان) .

والإتهاض وسار بالمسلمين حتى نازل الرياض وأعدت في الليل الكمى والكمين قبل
أن يفلق عمود الصبح ويستبين ، فلما انجلي من الليل ظلامه ونشرت من الصبح أعلامه
وانتشر في الطريق الأنعام ظهرت غارة المسلمين والإسلام ، فأسرع أهل الرياض إليهم
وشرعوا الأسنة عليهم وأطلقوا الأعنة لديهم ؛ فلم يكن غير لحظة أو ساعة حتى كان
الهروب طريق تلك الجماعة وسبب ذلك حين عاينوا الموت في الكمين وتيقنوا أن الله
تعالى لهم معين ، فعمدوا إلى الباب من الحرب وكل أراد الدخول قبل الآخر وطلب ،
وتضايقوا عند الباب وتكسرت في الدخول الحراب ، وقتل منهم ثمانية رجال دنت
منيتهم بلا إمهال : منهم كنعان الفريدي وصالح وابن نهران ورطبيان وغيرهم ، وقتل من
المسلمين عبد الله بن نوح . وفيها سار عبد العزيز بحرسه الله تعالى إلى الرياض ونزل
البنية وخرب جميع زروع الشبسية . وفيها غزا المسلمون الوشم وأميرهم إذ ذاك
محمد بن عبد الله أمير ظرما ، فوافق المسلمين في طريقهم ذلك غزو للصملة أكثر من
المسلمين هنالك ، ففر المسلمون منهم وجدوا في الفراز عنهم وأسروا منهم بعض الناس
فقدوا أنفسهم من الأحباس . وفيها غزا المسلمون وشيقر وأميرهم عبد العزيز ، فلما
وصلوا إلى تلك البلاد وكنوا لهم في تلك الوهاد وخرج المقاتلة للجلاد واشتد الحرب
وكثر بينهم الطعن والضرب ، طلع عليهم ذلك الدفين وأقبلوا إلى المعركة مسرعين ، فلم
يثبت أهل البلاد بعد شدة ذلك الجلاد بل ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل منهم أربعة
رجال محققين . وفيها غزا المسلمون أهل نادق وأميرهم عبد العزيز سلك الله تعالى به
أحسن الطرائق ، فلما وصلوا إلى حلتها نزلوا قريبا من نخلها ومحلها ، فناوش المسلمين
الحرب أهلها وكان الحائل بينهم نخلها فتراموا بالرصاص بينهم من بعيد وكان ذلك
الراعى يصيب ويفيد ، وقطع المسلمون عليهم نخلا وعرفوا أن هذا شأن المسلمين فعلا وقتل
منهم ثمانية رجال وأقاموا محتصرين يدبرون الكرة والاحتياط ، فلم يكن لهم سوى
الإمهال على الإسلام من غير إمهال وطلبوا ذلك من عبد العزيز فأعطاهم وحقق لهم
السلامة ومنهم ، وقدموا مع الفزو إلى الشيخ في الدرعية وأخبروه بحاصل القضية
فأمر عليهم دخیل بن سويلم وأرسل معهم أحمد بن سويلم يعلمهم التوحيد والأحكام
وكان لهم الشرائع غاية الأحكام ، وقد قتل من المسلمين ثمانية رجال منهم محمد بن دغثير
وغيره من مانع وغيرهما . وفيها غزا المسلمون أهل جلاجل وعبد العزيز حرمه الله

تعالى أميرهم الذي ترجع إليه سياستهم وتديبرهم فسار بالمسلمين بمن معه وساعده وتبعه ، فنازل أهل جلاجل وكان لإعداد السكينة فاعل ، فلما خرج إليه منهم كل مقاتل ونشب القتال وكان كل قرم لقرنه خاتل ، هزم الله تعالى أهل جلاجل فولوا مدبرين على الأعقاب ، ودخلوا البلد وغلقوا دونهم الأبواب ؛ ونهب المسلمون من بيوت البلد ما استطاف ثم رجع عبد العزيز بمن معه زانكف ، وأقبل معه من مطاوعة سدير حمد بن غنام وإبراهيم المنقور وابن عضيب وذلك لما طلبهم عبد العزيز وقصده قدومهم على الشيخ وموافاتهم له وقراءتهم عليه وأخذهم عنه ، وأقبل معه أيضاً ابن سعدون وابن حماد مخافة أن يزينا لأهل العودة الارتداد ، ولما قدم عبد العزيز الدرعية ومن معه من تلك الجلوية أتاه أمير العودة عبدالله بن سلطان وطلب منه اللنة والإحسان على ابن حماد وابن سعدون ، واختار حرسه الله تعالى طريق الواقعة والهون وإلا فهو قد تفرس فيهما أن أسباب الردة منهما تكون ، فأطلقهما لأجل وجاهته ولم يدبر ما يصدر عليه من جماعته ، فلما وصلوا البلاد أخذوا للردة في الاستعداد ، فلما هيئوا أسبابها على المراد لم يجدوا ما تطيب به النفس ويتم لهم به السرور والأنس سوى قتل من غمرهم بذلك الجليل ومقابلته بالصنع الويل ، فقتلوا عبدالله بن سلطان مقابلة لذلك الإحسان ، وهذا شأن من وضع المعروف في غير محله وصرفه إلى غير أهله يجازيه بقبيح فعله كما قالت العرب في أمثالها « سمن كلبك يأكلك » وقال الشاعر :

ومن يصنع المعروف في غير أهله يلاقى الذي لاقى مجير أم عامر
وقال النبي :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعللا مضر كوضع السيف في موضع الندا
وفيها غزا المسلمون الرياض وأميرهم عبد العزيز وقصدهم أن يرصدوا دهايا
إذا خرج إلى منفوحة يوم العيد وكان عادته يوم العيد يخرج للسلام على ابن زامل
وأقاموا بين البلدين يرصدون ولم يكونوا بما نوا يظفرون إلا أنهم في تلك الإقامة
خرج زيد الصمير فواقوه فجرعوه حمامه ، ثم رجع عبد العزيز ومن معه من
المسلمين إلى بلادهم سالمين .

ثم دخلت السنة الحادية والسبعون . وفيها غزا المسلمون ثرمدا وأميرهم
عبد العزيز أعزه الله بالطاعة ونصره وأتباعه ، فساروا إلى ثرمدا وجرت وقعة تسمى
وقعة النقيب ؛ وذلك أن المسلمين لما اشتد غسق الدياجي لم يكن لهم دون دخول
البلد من مفاجي ، وقد جعلوا لهم خارج البلد كمينين للرصد ، فلما زال سواد الظلام
وذهب ذلك الإظلام وسعى العباد خارج البلاد وقد أخبروا بالمسلمين وما هم عليه
مجمعين وعرفوا أن المسلمين دخلوا حائطا تقبوا لهم تقبا في جداره وأقاموا فيه
متوارين بين نخيله وأشجاره ، والسكينة الثاني خارج البلد لم يشعر به أحد ؛ فاجتمع
أهل تلك البلاد والحلة على من عرفوا في النخل مكانه ومحلّه ، وبقوا ساعة بقربه وحياله
ينتظرون من يخرج من ذلك النقب ورجاله ، فلما أراد من فيه الخروج لم يكن لهم
عن ذلك النقب من عروج ، فقاموا يخرجون منه واحدا واحدا ولم يكن أحد منهم
لغيره فاقدا ، واستمروا على ذلك يخرجون منه أرسالا ولا يفهمون لمن يخرج منه
حالا حتى اسود النقب وأظلم وسد ضوءه بعد أن أعلم ، فتيقنوا مصاب أصحابهم
وتحققوا مضارعهم في انقلابهم ، فلما تبين للمسلمين ذلك خرج جميع من هنالك
ووقعت معركة بينهم عظيمة وحقق الله تعالى على تلك البلاد الهزيمة ، وقتل منهم
اثنا عشر منهم عبد المحسن بن إبراهيم رئيس ثرمدا ومنهم بشر بن بلع ، واستشهد من
المسلمين في تلك الغزوة قريب من عشرين : منهم عيسى بن ذهلان ومحمد بن عبد الرحمن
ابن موسى ومفرج بن جلال . وفيها غزا مبارك بن عدوان بركب معه من أهل
حريملا فوافق عبدالله بن سليمان معه أسيرا ، ثم بعد وصوله حريملا من عليه وأطلقه
من غير قليل من المال ولا كثير ولم يستشر في ذلك الشيخ ولا محمد بن سعود
فنهقوا عليه بذلك الفعل الغير الحمود . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز
وساروا إلى سدير فاستولوا على الحوطة والجنوية ، وذلك لأن أهل البلدين أرسالوا
للأمير يريدون منه القدوم والتيسير ومرادهم الدخول في الإسلام والاستمرار تحت
الديار ، فأسعفهم بالمقصد والمأمول وأسرع إليهم المحي ، والوصول ؛ فلما دخلها عبد العزيز
لهم معه فزع عليهم أهل سدير ولم يفوزوا بمرام ، ثم رجع عبد العزيز بعد أن نصب
في كل بلدة أميرا وإماما . وفيها خرب المسلمون زروع منفوحة . وفيها غزا
المسلمون جلاجل أيضا وأميرهم عبد العزيز فأخذوا منها سوارخ الغنم ثم لحقهم

الطلب ، فاقبلت مع المسلمين ثم بعد ذلك ولي وانهم وملك المسلمون أعقابهم ولم يكن له منهم فريق ثم سار يريد حريلا مع من وافقه من جماعته ، فلم يصل إليها إلا سوى البيوت مأبهم ، وقتل منهم ستة رجال في تلك الساعة والحال . وفيها أتى المسلمين ممالك حدين ناصر ومن معه قصر إمارته ، فدعا مبيريك أهل البلد لنصره ومعونته الخبر أن عريمر كبير الحسا يريد التخريب على الإسلام وأهله ، وقد صرح بذلك يجب أحد إلا بخذلانه ومهاتته ، فحين تحقق الأمر وعينه وعرف من جماعته المعادة في قوله لا في فعله ، وأخذ المسلمون للحرب في الاستعداد وتحصين البلاد . وفيها في شهر البائية ولي على وجهه مدبر اوبقي على فعله نادما متحسرا وصارت منيخ له وجهة ، فولى رمضان سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى الرياض وجرت وقعة عظيمة على حريلا دبره ومنح تيك وجهه وقتل من ساعده على الردة رجال وفر الباقون باستعجال ، أهل الرياض تسمى وقعة أم العصافير ؛ وذلك أن المسلمين قدموها ليلا وجعلوا لهم ما أتى الشيخ ومحمد الأمير بما رآه مبيريك من التدبير أرسل إلى عبد العزيز رجالا وخيلا أعدوا لهم رجالا في مكان يقال له القبة كميناً ؛ فلما أصبح الصباح أخبراه بذلك فجمع من عنده من الغزاة هنالك فأخبرهم بالواقع والحادث وأن ابن وخرج إليهم أهل البلاد كان الله للمسلمين معينا ، فاستمر بينهم القتال وضاق في المعتزل يدوان للعهد ناكث وطلب منهم تجديد العهد والمبايعة على الموت والمتابعة ، فلما صدقوا المجال حق كشف الله تعالى جميع أفزاع الضلال وقتل منهم تركي بن دواس وابن فريان في النية وأخلصوا الله الطوية وساروا يريدونه ودخلوا في طريقهم الدرعية لقضاء بعض والجبري وحمود بن ماجد ، ولم يقتل من المسلمين غير واحد ثم انقلب المسلمون إلى الحواشي والأغراض ، فلما عزموا على النهوض والانتهاض وراحوا سائرين إلى النعمية بلادهم بعد تحصيل مرادهم . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرس الله فإذا البشير بفاجئهم بحصول الأمانة ، فرجع عبد العزيز من فوره إلى الدرعية لبشر مهجته إلى الرياض فزولوا البنية وملكوها وتلاحقت عليهم الأفزاع من منفوحة الشيخ ووالده بالقصة والقضية فحمد الله تعالى وشكراه وسبجاه وكبراه ، ثم سار بعد والرياض ، فاقتتلوا في تلك الأراضي والبقاع وكان القتال من بعيد بالبنادق والكل من الطائفتين غير مقارب ولا موافق ، وقتل بالرمي ذلك اليوم من أولئك القوم ثنيان ابن مبيريك عبد الدرعات وآخر يقال له الدفين ، واستشهد من المسلمين راشد بن غانم وحميد بن قاسم وغيرهم نحو ثلاثة ، ثم ثور الأمير عبد العزيز من تلك الأماكن فأناخ بالعدوانة في ذلك الباطن ، فأمر المسلمين جزاء الله تعالى خيرا وأعظم له أجراً أن يبنوا في ذلك الباطن قصرا يكون للمسلمين حصنا وثغرا ، فأقاموا سبعة أيام في ذلك البناء والإحكام ؛ ثم بعد الفراغ منه والتام ، أرحص لمن أراد من الغزاة أهلهم والقدم عليهم من المشاة على الأقدام وبقي هو مع الجيش بعض أيام . وفيها جرت ردة مبيريك بن عدوان وأتباعه منهج الشيطان ، وذلك أنه لما رجع من غزو البنية وبنائه القصر إلى الدرعية عزله الشيخ ومحمد بن سعود الأمير عن الإمارة في حريلا والتدبير ، وأمر أحمد بن ناصر بن عدوان وأرسلا معه مفرج بن شعلان وذلك لأنهم تخوفا على المسلمين منه لأمر صدرت نسبت عنه فاسترخص مبيريك الشيخ ومحمد الأمير أنه يريد العينة ثم يسرع إليهما بالمسير فأرخصا له في ذلك ؛ فلما خرج مور بالسير إلى هنالك اجتمع في ذلك الطريق مع أناس من أهل حريلا فعاودهم على الردة

دخلت السنة الثانية والسبعون بعد المائة والألف . وفيها أتى الخبر الشيخ ومحمد الخبر أن عريمر يريد الخروج على نجد والتسيير فأمر جميع بلدان المسلمين بالاستعداد والتحصين ، وقام عبد العزيز حرسه الله تعالى بالجد والاجتهاد وشمير

يساعده في البناء والاستعداد، فبنى على الدرعية سورين منضودين بالبروج خشية التمسؤ والعروج، ثم خرج بعد ذلك عزيز مع أهل الحسا وكافة بني خالد وأهل سد والوشم والرياض والخرج وكل منكر للحق جاحد وعلى الباطل معين مساعد وللضلال مؤيد معاضد، فأناخ أهل سدير والوشم والمحمل ورئيسهم مبيريك بن عدوان على أهل حريملا وأقاموا يقاتلونهم ثلاثة أيام فلم يكن لهم سبيل على أهل الإيمان بل قتل منهم رجال في أيام ذلك القتال ثم رحلوا عنها وثوروا منها وطلبوا من عزيز المدد والأمد ومساعدتهم بالجيوش والأجناد فأمدهم بآل عبيد الله من بني خالد وفرقان من عزيز كبيرهم ابن هذال فأناخ الجميع على تلك البلدة والكل منهم قد بذل جده وجهده وأرهف سنانه ونحاه صحابه وأعوانه فأحاطوا بالبلاد ودخلها منهم ثلاث جناد للجلال فانتدب إليهم أهل تلك المحلة وأخرجوهم مهزومين من النخيل والمحلة وأركبهم ولله الحمد غارب الهوان والذلة، وكفى بذلك عارا ومذلة، وقتلوا منهم رجلا عشر والجرحي أكثر من أن نعددهم ونحصرهم، ثم خرج أهل البلاد بعد ذلك النصر والناموس وصدور ذلك الفعل المأثوس وساروا جملة مسرعين إلى مناخ تلك الأحزاب المجتمعين، فحين عاينوا ذلك الإقبال ووجوه الرجال ولوا على أعقابهم مدبرين وانهزموا راجعين وأخذوا من أهل البلاد كثيرا من الأمتعة والزاد ثم اجتمع ما ذكرناه آنفا بمن هو للتوحيد محاربا مجانفا وحصل التوافق مع عزيز ومن معه واتفق رأيهم مع من ساعده واتباعهم بأنهم يلقون عصي التسيار بالجيالة محلة الصحب الأخيار وينزلون تلك الفياق والقفار ويقاثلون أهلها إذا أسفر النهار، فعند ذلك ساروا جميعا إليها ونزلوا بأجمعهم عليها وطلبوا تلك الحيام على ذلك المقام وأثبتوا العمد والأطناب على رفيع تلك الهضاب وراموا تغيير منهج الحق والصواب بما جاء وابه من الباطل والضلال والإعجاب (إن ربك لسريع العقاب) فأمدهم المسلمون برجال وبقوا أياما في أشد الجلال والقتال، ثم إن أهل الباطل والضلال عدوا على القلعة وحاولوا الدخول فلم يكن لهم إليه سبيل ولا وصول وجاءهم وهم في ذلك المكان من ورائهم أناس من أهل الإيمان فلم يلبس منهم أحد على أحد بل كل منهم امتطى قدحيه وشرده، وقتل منهم في أيام القتال ستون من الرجال وقتل من المسلمين نحو العشرة، ثم ولت تلك الأحزاب منهزمة منكسرة. وفيها طلب أهل المحمل من الشيخ وعبد بن سعود الدخول في الإسلام فأعطوا ذلك المرام وطلب منهم

نصف الزرع وبيع الثمرة فالتزموا بتلك الأمور المقدرة. وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فساروا ونزلوا بالقصب وجعل له كنيئا خارج البلد يشد أعقاب من يادر إلى ذوى الغارة وطلب، فلما تبين الفجر وانجلي وارفع ضياؤه وعلا وتبينت لأهل البلاد حال المسلمين خرجوا إلى القتال أجمعون، فلما استمر بينهم القتال خرج عليهم الكمين باستعجال، فولوا مدبرين وبقوا ببلدهم منحصرين، وقتل منهم سيف بن ثقبه ثم بعد ذلك طلبوا من عبد العزيز الدخول في الإسلام وأن تجري عليهم تلك الشرائع والأحكام فوافقهم على ذلك المرام وصالحهم على النخيل بثلاثمائة أحرر فقبلاوا ذلك المقرر.

ثم دخلت السنة الثالثة والسبعون بعد المائة والألف. وفيها غزا عبد العزيز أعزه الله تعالى على الأعداء وأعلا به منار الهدى، فسار بأهل التوحيد وغلب العنق على التوحيد، فلم تطب له راحة في ذلك السير، حتى أصبح على الجمعة مغير، وعدا على تلك البلد وقتل فيها من وجد، فقتل في ذلك اليوم على بن دخان وأربعة من أولئك القوم وعقروا كثيرا من الدواب، ثم انصرف إلى بلاده بحسن مأب. وفيها غزا عبد العزيز بلدان الخرج فسار إلى الدلم ودخلها ليلا وهجم وقتل من أهلها ثمانية رجال وأخذ من دكاكين كثير أموال ثم خرج منها وانصرف عنها وعدا على قرية نتجان فظهر عليهم أهلها فكسروهم بلا توان وقتلوا منهم عودة بن علي ثم رجعوا سالمين. وفيها أيضا سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز إلى ثريدا فنازلوها بعد أن استنار الصبح وبدا وكنوا لأهلها على العادة طلبا للإفادة، فلما خرج أهلها إليهم وأسرعوا إلى الفرز عليهم وجري بينهم القتال انكسر أهلها بعد ظهور الكمين إلا إسهال، فقتل المسلمون منهم نحو أربعة رجال وأصيب مبارك بن مزروع من المسلمين في ذلك المجال، ثم بعد ذلك أرحص عبد العزيز لمن معه من الرجال أن يعمدوا إلى أهلهم وسار هو بالجيش إلى الخرج وأجمع رأيهم عليه وحاله فشن على أهل الدلم النار وقد سبقه عليهم النذارة، فلما أغار عليهم خرجوا مسرعين فاقتتلوا أشد القتال بين المسلمين ثم شد المسلمون عليهم وعمدوا بالصدق إليهم، فأنكشفوا مسرعين إلى الدلم وتحصنوا بذلك الجدار وقتل المسلمون منهم سبعة وأخذوا إبلا مجتمعة، ثم بعد ذلك سار من الدلم جمع رأيهم وعزم أن يغزو الوشم، فسار على وجهته وتصمم عزمه

وهتمه فأناخ على وشيقر ليلا وهيا السكين ، فشمّر أهل البلد بالمسلمين فخرجوا جميعا إليهم وأقبلوا للقتال عليهم والسكل قد صدق الطعان في ذلك الوقت والزمان حين غشيتهم حملة السكين وخالطتهم أسنة الدفين ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل نحو العشرين ، ثم انقلب عبد العزيز بمن معه إلى بلادهم راجعين . وفيها عزل الأمير محمد والشيخ مشاري بن معمر عن إمارة العيينة لأمر كثيرة ثبتت عنه شينة ، وقدم الشيخ العيينة تلك الأيام وأمر سلطان بن محسن المعامرة على من بها من سائر الأنام وأمر بهدم قصر آل معمر ، فهدم ذلك القصر لما حقق عليه الشيخ الأمر وفيها غزا المسلمون منفوحة وحرقوا الزروع ثم كان منهم إلى بلادهم العود والرجوع . وفيها جرت وقعة آل ريس في بلد الرياض فقتلوا من آل ريس أربعة بلا ارتياض منهم على وقتل معهم غيرهم . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرمه الله تعالى آل عسكر من آل ظفير وكابوا على الترمانية فصباحهم عبد العزيز بالغاثة الشعوائية فوقع بينهم القتال واحتكت القضاء في المجال حتى قتل رئيس أولئك الأبطال وكان يقال له فوزان النديجة من رءوس آل عكر ، فانكسر ذلك الفريق وأدبر وقتل منهم عشرة رجال وأخذ المسلمون منهم عظيم الأموال ثم انقلبوا إلى بلادهم راجعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فسار إلى الوشم وحقق عليهم العزم فوافق في طريقه خمسة عشر رجلا من أهل ثرمدا ، فشن عليهم الغارة وعدا قزبنوا بلدا يقال لها الحريق فتازلها المسلمون وطلبوا منهم أولئك القوم يخرجون ، فأبى عن الموافقة والطاعة من بالبلد من الجماعة وقتلوا هذه بشئ الشناعة ، فلما ألح عليهم عبد العزيز وعرفوا أنه ليس دونهم أو الفدا من تجوز افتدوهم منه بألف وخمسمائة زر فقبل ذلك منهم وتركهم وصدر .

ثم دخلت السنة الرابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز
أدام الله تعالى فوزه وكثر من الخير حوزة ، فسار بأهل الدين يريد مدبر وحث لأجل
ذلك السير فلم يصل إليهم حتى سبقه النذير عليهم فتأهبوا لإقباله واستعدوا لقتاله ولم يكن
معه من الركاب سوى ثمانين من غير ارتياب ، فأغار على بلدة يقال لها الروضة وجرى
بينهم قتال وصار عن قتل شهيل بن سحيم الانفصال ولم يقتل سواه من المسلمين ، ثم
أقبل عبد العزيز بمن معه راجعين . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين مدبر فصارت

على الروضة منهم الفارة ، فخرج أهلها وابتدروا الحرب أعظم ابتدرة ، وشدوا للقتال إزاره ، فلما اشتد القتال وأججوا امتعاره ظهر عليهم السكين فانكسروا أي انكساره وقتل منهم نحو الستة حين أعطى كل واحد منهم المسلمين استه ثم رجع المسلمون إلى بلادهم بعد نيل صراهم . وفي تلك الغزوة أغار المسلمون على الزلفي فجوة فأخذوا سارح الأغنام ثم أدركهم فزع الأقوام فتركوا ما معهم من الغنم وصمموا على قتال من قصدهم ودهم ، وجرى بينهم القتال ساعة ثم كل إلى محله ارتجاعه . وفيها سار عبد العزيز أعز الله تعالى به المسلمين وأدام له التأيد والتمكين فنزل على الرياض بالمسلمين وأعد في مظل الديجور ما شاء من السكين ، فلما قارب الفجر في الانبلاج تبين حال المسلمين ووقع في البلد الارتجاج وخرج أهلها ووقع القتال بينهم وعجل الله لأهل الباطل حينهم ، فبعد ما حى الحرب واستعر وشد لها تلك الأفزع الأزر ظهر عليهم من المسلمين السكين ، فلم يكن لهم عون ولا معين ، قولوا سرا عا مدبرين وقد كسرت رجل رئيسهم فهيد بن دواس ولم يكن بعد كسرهما لهم صبر ولا احتباس ، وعاش فهيد نحو أربعين يوما بعد كسره ثم حواه لحد قيده ، وقتل منهم ثمانية رجال واستشهد من المسلمين ستة في ذلك المجال . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين فنزل منفوحة بالمريقات وأقام فيها بقية ليلته وبات ، فلما انبلج من الفجر الضياء وتشعشع نوره وأضاء وقد أعد السكين في دياجر الليل وكان المسلمين إلى تخريب زروع منفوحة الليل ، فلما تحقق أهل منفوحة ذلك الشأن وتبين لهم في العيان لم يكن لهم عن اللقاء من توان ؛ فلما خرجوا إليه مسرعين وأقبلوا عليه مهطعين وناوشوا القتال المسلمين ظهر عليهم السكين المذكور وحان بينهم القضاء السطور ، فأضحى أهل منفوحة وأفزع الرياض كل منهم منهزم مكسور ، وقتل من جميع تلك الأفزع سبعة رجال بلا نزاع . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصيح مساعد بن فياض مع قومه بالعش في تلك الفياض ، فلما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتلون وراموا حماته ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشد المسلمون عليهم الحلة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتووا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز

غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز المذكور ضاعف الله تعالى له الأجور فصبح مساعد بن فياض مع قومه بالعش في تلك الفياض ، فاما طلعت عليه المسلمون بقوامدة يقتلون وراموا حماته ذلك الفريق ، فلم يكن لهم إليها طريق ؛ فشد المسلمون عليهم الحملة فلم يكن لهم دون الهزيمة مهلة فاستولى المسلمون بعد الهزيمة على جميع أموالهم فكانت غنيمة واستاقوا جميع الأغنام والإبل واحتوا على الأمتعة والأسلحة والأموال وقتلوا منهم عشرة رجال منهم سعد القروا وأولاده وقتل من المسلمين ابن عزاز

كما بان تعداده ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها سار عبدالعزيز بالمسلمين
قصر القذوثة يريد زيادة بنائه وتحصينه ثم يرجع بعد حينه ولكن إذا أراد
تعالى أمرا فلا بد من إنفاذه وتكوينه ، فلما أراد الله عز وجل أن يبرز للحل
ما سبق في الأزل ويبلو الناس بما فعل وبهي الأسباب لمن دنا له الأجل هم عبدالعزيز
بلغ الله به الأمل أن يهجم على الرياض ليلة العيد ويبيت أهلها ويبيد ، فصار
ما أظلم الليل وأغلس والصبح لم يتنفس فدخل البلد من المسلمين عدوه فرأى
رجاجيل لابن دواس صادرين من ناد أوندوه فاجلوا إليه بالأخبار ، فلم يكن له دور
ركوب الخيل من بدار ، فخرج بخيله ورجاله ودولته يريد ركن المسلمين مع جماعة
قبادر إلى الركن المعد قبالة البلد فلم يدرك منهم أحدا ثم ظهرت العدو التي دخلت
البلاد وقطعت ساقه ابن دواس ومن معه من الأجناد ، وشن المسلمون عليهم الغار
بالخيل والجيش والتهبت نار الحرب وزاغت الأبواب من الجزع والطيش ، ثم انهز
دهام مع دولته بعد إذلاله وكسر حدته ، وقد قتل كثير من رجاله ومشاهير فرسانه
وأبطاله منهم حمد بن سودا وعبد الرحمن الحريص وأبو الحجير واستشهد من المسلمين
خزام بن عبيد وعثمان بن مجلى .

ثم دخلت السنة الخامسة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبدالعزيز
بالمسلمين إلى متفوحة ليلا وقد أعد الكمين ، فلما أخذ الصبح في الضياء والنبيا
تبينت لأهل البلاد غارة المسلمين ، فتهدوا إلى اللقاء وبادروا من غير بقاء ، فآقتل
الفريقان وحمل بينهم الطعام ، فلما ظهر عليهم الكمين أدبروا منهزمين وقتل منهم
ابن محمد بن فارس وشبيب الصنان ولم يقتل من المسلمين إنسان . وفيها سار
المسلمون وأميرهم عبدالعزيز إلى الحرج وكن لأهل نعيمجان ولم يفتن بذلك
أهلها إنسان ، فلما تبين الصبح وأتار خرج أهلها للقتال على البدار ، فاستعجل
المسلمين بالظهور ، وذلك لما قدره الله من الأمور واشتد بينهم القتال ثم انكسر
على استعجال ، وقتل المسلمون منهم سبعة رجال وحصروهم في تلك القرية أياما وليال
وقطعوا من تلك النخيل العوالي ، ثم سار عبدالعزيز بمن معه إلى الوشم ودخل
حضرما لأجل فقد الأزواد ثم ساروا ولم يكن لهم دون مراة من مراد ؛ فلما وصلوا
في الليل إليها وقدم في الظلام عليها هيا للحرب كيه ، وأمرهم بالصدق وإخلاص النية

لما تبين القجر وانكشف وولى مد لهم الليل وانحرف ، تبين لأهل مراة الحال ، فلم
كن لهم دون اللقاء من مجال فخرجوا للحرب مستعدين ولموت مستوطنين ،
لم يلبثوا غير ساعة بعد ظهور الكمين ثم ولوا على أعقابهم مدبرين ، وقتل المسلمون
منهم قريبا من عشرين وقتل من المسلمين رجلا ثم انقلب المسلمون إلى البلدان . وفيها
يضار سار عبدالعزيز ومن معه إلى الوشم ونزل بأهل القرعة وأتاه عليها في الليل
جيشه وجمعه ، فلما خرج أهلها لقتال المسلمين واستمروا على القتال مجتمعين خرج
عليهم بعد ذلك الكمين فولوا مسرعين وقتل منهم سبعة رجال ولم يقتل أحد من
المسلمين في ذلك المجال ، ثم بد ذلك بأيام طلب أهل القرعة من أهل شقرا الدخول
معه في الإسلام فأجابوهم إلى ذلك المرام . وفيها أيضا غزا عبدالعزيز بالمسلمين
يريد ثريدا وقد جد لأجل ذلك المسير فسبقه إليهم النذير ، فلما أغار عليهم لم يدرك
الراد لتحصن أهل البلاد وجرى الرمي من بعيد ولكنه لا يجدى ولا يفيد ولم يقتل
من أهل البلد سوى شخص في العدد ، ثم سار في وجهته وطريقه ذلك وغزوته
ونزل بين القرعة ووشيقر وبني هنالك قصرا يكون للمسلمين نفرا ويضيق على
وشيقر وأهله وهذا من سديد رأيه وفعله وأعد فيه للحرب والقتال شردمة من
الرجال ، ولم يزل ذلك القصر مأهولا وبالمسلمين موصولا جامعا لأسباب العماره
والنظام حتى دخل أهل وشيقر الإسلام .

وفي تلك الغزوة أيضا وضع عبدالعزيز في شقرا خيلا ورجالا زيادة على من
فيها ليحسنوا بذلك حالا ويزيد أهل الباطل بهم ذلة ووبالا . وفيها غزا جدعان
بن قعقة بأهل عشر ركاب من المسلمين فوافقهم ابن فياض مع غزو معه فناروا عنه
مجمعين وتربنوا قارة في ذلك المكان ثم دغاهم شخص من عربة بالأمان ، فلما
أقبل إليهم نبذ العهد وخان ، ولا غرابة في هذا فقد وقع نظيره في سابق الزمان
من تلك الغزاة عبد الله بن براك ومهين بن ذباح وجدعان بن قعقة وغيرهم نحو
الذين . وفيها عدا المسلمون على ضرب مقرر في الرياض فاقتتلوا معهم وقتل من
الرياض ثلاثة وأصيب شعلان بن دواس ، واستشهد من المسلمين عبد الرحمن
بن محمد بن سليمان القاضي . وفيها أكل الدبي والجراد جميع زروع نجد
وهي وحمل الله أثماره .

ثم دخلت السنة السادسة والستون بعد المائة والألف . وفيها غزا عبد العزيز
فسار بالمسلمين يريد الرياض . والمهجوم عليها نجد السير حتى نزل حوالها وعبا كمين
وعدوته وهياً في ليلة سطوته ، فدخل البلدة العادون وأقاموا بها يرتادون حتى
يرى الفجر فعلم ذلك الثمان والأمر ، وأقبل أهل الرياض في أشد عزيمة واتهام
فتجالدوا مع العادين وكانوا لهم صيادين ، واستمر ذلك القتال في ذلك المجال
أولئك الرجال ؛ فقتل أربعة من أهل البلد فولوا مدبرين وقتل دهمش بن سحيم
المسلمين . وفيها أيضا سار عبد العزيز بالمسلمين وكانوا لأهل الرياض منتدبين
فأسرعوا لذلك الشأن حين تحرك الرقاد في الأجفان فوصل إلى تلك البلاد ، فد
للعداوة من أرادوا وكانوا نحو المائتين من غير شك ولا مين ، فدخلوا البلد واختف
منها فيما اطمأن وعندهم أن أهل البلد لم يكن لهم فطن وظنوا أن عيونهم قد ح
عليها الوصن ، وقد أراد الله تعالى أن يعلم دهمش بما دبروه محالا فأثامه من أصدقه مقالا
فعند ذلك شمر هو ومن معه عجالا وأثامهم في مكانهم فرسانا ورجالا وأراد أن يقتطع
دون الجيش الذي أبدى عن البلد اعتزالا ، فبادره المسلمون حملة واحتمالا وشمروا
جلادا وقتالا ، وأقبل بعد ذلك الجيش مشمرا للجلاد أذبالا فاقتتلوا ساعة ، ثم ا
دهام وقد قتل من قومه ستة رجال وثلاث من الخيل ونال والله الحمد هوانا موالى
وقتل من المسلمين شريان ورجعوا بعد ذلك بالأجر والإحسان . وفيها عدا دها
ابن داس وأبدي غاية السكيد والإبلان ، زرام بالمسلمين قاصمة الظهر ، ولم يدرك
الله تعالى مرید لهم التمكين والظهور ، فأعد لباطل ذلك السكيد عدة وأعد لذلك
الأمر أهل النجدة واختار ذوي البأى والشدة ولم يكن عند المسلمين توهم ولا يقين
بما دبر من حاله وقبيح أفعاله حتى جاء المسلمين النذير يخبرهم بوصول واستعجاله
فتفاوض المسلمون في الرأي والتدبير ومن أين يكون الخروج للعدو والمسير ، فأشار
عبد العزيز على والده محمد برأى مبارك رشيد وتدير ميمون سديد ، وذلك أن المسلمين
يخرجون من القرى لكونه طامنا خفي وأرسلوا لها سرا بحقيقه خبرا ، فلم يرد
إلا الرمي . صوته فبادروا إليه قبل فوته ، فالتقت الخيل مسرعة وأطلقوا أعنتها مت
حتى جثوا دواسا ومن تبعه ، فاشتد بينهم القتال . ثم تلاحق الجيش والأبطال رح
الحرب واستمر ، ولم يكن لأحد دون الدب عن عمره من مفر حتى إن الله تعالى

جلت حكمته وعمت رحمته أيد المسلمين ونصر ، ورزقهم على عدوهم الظفر ، قتلوا من
هل الرياض خمسة وعشرين ثم ولوا بعد ذلك مدبرين وغنموا أربعين من الخيل وأخذوا
جميع الركاب ولم يكن لهم غير بلدهم من طلاب . وقد كان عبد العزيز قبل قدوم
هذا الخبر يشتكي من ألم الحصى بعض الضرر ، فلما جاءته بذلك الأخبار لم يبال بما معه
من الإضرار بل شمر ساعده وشد الإزار للقاء الأعداء والفجار ، وقام في ذلك الأمر
وقعد وجد فيه طاقته واجتهد حتى أنجح الله تعالى له ما قصد وحقق له في أعدائه
سؤله وبلغه في أهل الباطل مأموله ، وحده في تلك الأفعال أهل الإيمان والكمال
وقتل من مشاهير خيالة أهل الرياض على القروا وسعد الرابع ومانع بن مشوط
ومبيريك بن مبارك فشفاه الله تعالى بذلك قلب عبد العزيز والمؤمنين وأذهب غيظ
قلوبهم أجمعين . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الحسا فأزال الله تعالى بذلك
الغزو عن قلوب المسلمين الهم والأسى وكانت خيل المسلمين قريبا في العدد من
ثلاثين فوصل إلى تلك الديار بعد ما أخذ النهار في الإديار وذهب ضوء شفق النهار
فأناع قريبا من البلاد وأرسل عينه إلى الطريق ليرتاد ، فألفاهم وقد أخذ الرقاد من
أجفانهم المراد وحكم عليهم الكرى بالإجهاد ، فأخذ في أهبة دخول البلاد بالتهيبه ،
والاستعداد ، فلما انجلت من الليل غياهبه وبدت من الصبح سوافره ومذاهبه ،
هجم عليهم المسلمون فيها وجالوا في قاصيها ودانيها واستداروا في بيوت تلك البلد
يقتلون من يشاهدونه من أحد ، فلم يسلم إلا من اختفى أو شره فقتلوا نحو السبعين
من أولئك الشركين وأخذوا من الأمتعة والسلاح والدواب ما لا يحصره العدد
والحساب وحسن للمسلمين في ذلك المكاب ، فلما أرادوا إلى نجد الرجوع والانتقال
أغاروا على أهل المبرز في ذلك الصباح وقتلوا أيضا في طريق تلك النخيل من
أهل الفلاحة بعض الرجاجيل ثم انقلب المسلمون راجعين ، فلما أتوا العرمة وافقوا
أشاجم جمع من أهل الرياض وحرمة فقتلوا أهل الرياض وأخذوا أموالهم وتركوا أهل
العرمة وحالهم لأنهم إذ ذاك مهادنون وفي السلم داخلون ؛ ولما وصل المسلمون إلى الرياض
في هذه الغزوة أغاروا على أهلها فجوة وأخذوا لأهل منفوحة أغنام ورجع كل إلى
بلده بالسلامة والأغنام ، وقسمت تلك الغنائم في الدرعية بين الغزاة بالسوية . وفيها
كانت الردة من أهل وثيثا وذلك أن أهل وثيثا لما أرادوا أن ينبذوا الإسلام ويبعدوا

للعهد نكثاً أرسلوا إلى إبراهيم بن سليمان أمير ترمدا يخبرونه بما عزموا عليه من الشأن ويستجدونه على القدوم ويحثونه على الوصول إليهم والمهجوم ، فقال ذلك ما كنا نريد وهذا هو الرأي السديد فقتلوا عند ذلك عبد الكريم بن زامل ودخلوا مع إبراهيم في طريقه وعهده وانتظموا في ملكه وعقده . وفيها غزا عبد العزيز حرس الله مهجته بالمسلمين وآل كثير يريد سبيع لما تقضوا العهد ، فجد في السير وأخذ سائراً في الجنوب يريد سرعة الوصول فوافقهم على سبيع الدبول ، فأغارت عليهم من المسلمين الخيول ولحقهم الجيوش مثل السيول ، فوقع بينهم المصادمة والقتال ثم كان عن قتل مائق بن شلية الانفصال وأخذ المسلمون منهم نحو المائتين من الإبل رجعوا إلى بلادهم وقد أدركوا الأمل . وفيها غزا المسلمون سدير وقصدهم بذلك بعض العربان فلم يوافقوا أحداً في ذلك الزمان .

ثم دخلت السنة السابعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها كاتب دها ابن دواس الشيخ والأمير محمد بن سعود على أنه يريد الدخول في المنهج المحمود ويلتزم القيام بجميع شرائع الإسلام ويحافظ على الوفاء بالعقود ويقسم أعظم الإقسام إنه يوفى العقود فوافقوه على ما طلب وأراد ، مع علمهم بأنه لا يوفى بوعده ولا ميعاده ولكن لا يسعهم أن يصدوا عن طريق الحق والرشاد ، من أزداد الدخول فيه من العباد وطلب الدلالة والإرشاد ، ولكن طلبوا منه على سبيل التوسيع له والتكبير وطريق التأديب عن التغيير والتبديل ألقى زراً معجلة وأموال المهاجرين رد كل من هو له ، فالتزم بذلك الصدق والقيام وأظهر غاية الانقياد والالتزام ، وأرسل إلى الشيخ والأمير ما شرط عليه من النقد في التقدير . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى إلى سدير لملاقاة ذلك العدو الكثير ، فلما وصل إلى جلال والظلام قد أخذ في التراجع وأقام يهوى التدبير لملاقاة العدو الكثير ، فلم ينبج من الصباح عموده حتى استعدت أحزابه وجنوده وكمن في موضع الكمين وعرف أهل الغارة من المسلمين ، فلما استنار بياض الصباح وخرجوا لقتال والكفاح ، فلم يلبثوا للقتال إلا يسيراً ثم صار ذلك الفرع ينهزم مكسوراً ، ولم يكن لهم عن دخول القرية من براح وفي الحقيقة ليس عليهم في ذلك من جناح ، إذ لا طائل لهم ولا لغيرهم بالمسلمين في الكفاح ، وقتل من أهل البلاد عشرة رجال في التعداد

وقطع المسلمون عليهم بعض التخييل ثم انصرفوا راجعين بالتأميل ، وقتل من المسلمين فرحان النماي وصالح بن محمد بن صالح ؛ فلما وصل المسلمون إلى رغبة فإذا غزو من أهل اليمن قد أخذوا فربقا من سبيع في الدمة ونهبه ، واستولى على مال ذلك الفريق وسلبه ، فأخبر ذلك الفريق عبد العزيز في أثناء الطريق فشمر ساعد الجد والعزم ورفع إزار الهمة والحزم ، وسار في يومه ذلك من ساعته مع من معه من أحزابه وجماعته وحث على ذلك الجياد ، لم يثنه حرسه الله البعد والبعاد ولا خوف ملاقات الأعداء ، وسأل الله تعالى أن يعينه على ذلك المرام والمراد ويبلغه ما أمله من أهل الفساد وأخذ سائراً في آثارهم متطلباً لأخبارهم حتى وصل إلى قيفاء سهلة تسمى إذ ذاك قذلة ، فإذا غزو اليمن قد ألقى بها رحله وطرح فيها ثقيله وثقله ، فلم يكن لهم دون لقاءهم ساعة ولا مهلة حتى تلاحت الخيول والأبطال وتلاحقت بالجيوش والرجال وطال بينهم الطعان في ذلك المجال ، وصدق المسلمون النية لمولاهم فأصبح قصدهم ومناهم فشدوا على أهل الشرك والضلال ، ولم يكن لهم دون هزيمتهم من إمهال فقتلوا منهم نحو الخمسين وأسروا مائتين وأربعين وأخذوا ما معهم من الخيل والركاب ولم ينل المسلمين مصاب ، وكانت ركائب المسلمين فوق المائة على التحقيق لا التخمين وخيلهم نحو الأربعين ، وانقلب المسلمون إلى أعلمهم راجعين ، وكانت هذه الوقعة العظيمة والمنة الجسيمة في شهر رمضان فحصل السرور والتهان .

ثم دخلت السنة الثامنة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها غزوة تسمى غزوة المديهم وكانت في صفر ؛ وذلك أن عبد العزيز أعزه الله تعالى بالإسلام وأخرج له السول والرام غزا بالمسلمين ومعهم في تلك الغزوة دواس بن دها مع قومه فسار عبد العزيز مجداً في يومه ولم يزل في السير مجداً يبذل فيه جداً يؤثر الوخذ فيه على الدميل ولا ينسج فيه إلا القليل وقصده بذلك الغزو والسير فرقان من آل ظفير يسمون مديهم وقد كانوا على جراب ماء بنجد مقيم ، فنزل بمن معه قريب ظلمة الليل البهيم وأرسل عليه إليهم فنظروهم وأشرف عليهم فإذا هم على التحقيق فريقان ولقاؤهم لا يطاق ولا يدان وليس لأحد به يدان ، فلم يكن أمير العزيز سوى طلب المعونة والانتصار من الملك المهار على أولئك الأشرار وبذل الجهد والاجتهاد في قتال ذوي البغي والفساد وتفاوض المهادنون بينهم في صفة القتال والتلاق لأن الفريقين كانوا في المنزل على اعتراق ، فتخوف

الاسلمون منهم أنهم إذا أصبحوا فريقا غشيم الفريق الثاني بالتطبيق وكان المسلمون إذا
 ذلك ليسوا بالكثير وركابهم لا تزيد على مائة وثلاثين بالتقدير فأشار عليهم المبارك الميمون
 برأى به النجاح يكون وذلك أنهم يجتمعون ويحملون على فريق رجلا فإذا انكسروا
 انقلبوا إلى ركبهم فركبوها عجلا فيحملون بعد ذلك كافة مجتمعين فيهمزونه أجمعين
 فإذا أضاء الصبح وتور أخذ المسلمون في ذلك الرأي المذبر فلم ينجأ تلك الأعراب
 من أيدي المسلمين الأجاب فبقوا معهم ساعة في جلاذ وبذل وجد واجتهاد حتى
 ما يثروا ما ليس لهم به قبل ، فولوا سراعا على عجل وقتل منهم نحو الثلاثين وأخذوا أموالهم
 أجمعين وقتل من المسلمين الفيليت ورجعوا إلى بلادهم بتلك الغنائم ولم يقع لهم مثلها
 من الغنائم . وفيها في ربيع الثاني جرت على المسلمين وقعة الحائر ذات القرب الشهور
 والاسم الظاهر وذلك لما اقتضته الحكمة الربانية والقدرة الصمدانية من وقوع أسباب
 الحزن ونزع أبواب الشر والفتن وابتلاء أهل التوحيد والإيمان بذوى الضلال والعصيان
 وأولياء الشيطان لكل ضعيف اليقين والإيقان أحوال الردة والافتتان
 فخرج أهل الباطل والفجور والضلال من ذوى التوحيد والكمال حتى يتميز ذلك
 من غير شك ويظهر الطيب البرأ من الأدناس من الخبيث المتضخم بالأرجاس ويشاهد
 حاله وسفين (ولتبونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين) فكانت تلك الواقعة
 في النازلة الجامعة أن أهل اليمن لما أخذوا وأسروا وقتلوا في قذلة وقهروا وشرروا للشار
 في الليل وجدوا في السير للنهار والليل ، فلم يخطئوا عن الوصول والقدوم والسير
 إلى نجران والمهجوم فشكوا لهم الحال وما عاينوا من الوبال وشرحوا لهم على التحقيق
 ما صدر عليهم بذلك الطريق وأن أصحابهم في الأسر والأغلال يعذبون كل يوم على
 التوالى ودعواهم إلى المسير والسيار والأخذ لهم بالثار وانتدب لهم بالمراد تلك الجماعة
 الكمل منهم مد للشر باعه وكان الداعية في ذلك الشأن رئيس نجران واسمه الحسن بن
 عبد الله فجمعهم الله وأخزاه ، فجمع جميع أهل نجران من الحضرة والبدوان والتأم معه
 في نجران فأقبلوا سائرين على عجل حتى اجتمعت تلك القبائل والدول ووطنوا
 في نجران فجمعهم خدامهم اليقين على التفصيل والتعيين ، فجمع عبدالعزيز رحمه الله
 من المسلمين والإسلام ممن بلغ سن الاحتلام وأمرهم بالتأهب والقتال
 في نجران لقيام ذوى الضلال وسار بهم جميعا يريد قرية الحائر وكانت من بلاد المسلمين
 (٥ - تاريخ نجد - ثان)

وقد أرسل لهم قبله مددا يكون عوننا وناصرنا فلما وصل إليها وأشراف عليها وقد كان
 رئيس نجران بها نازل ولأركانها حافل وبقي بها مدة أيام وليال كل يوم يقع بينه
 وبين أهلها قتال ، وقد كان المسلمون في مسيرهم إلى الحائر الذي نزل به ذلك العدو
 الحائر والجند المارق الفاجر يتكلمون في مسيرهم إلى العدو والذهاب بدلائل الحيلة
 والإعجاب الذي يكون غالبه المعاقبة والعقاب ويصير سببا إلى الابتلاء من رب الأرباب ،
 فحين التقى المسلمون بأولئك الأحزاب وقد وطنوا أنفسهم في ذلك الموقف على ابتغاء
 الثواب وبذل غالى الرقاب حتى بينهم الوطيس ، ولم يحصل بين الأبطال تنفيس ، وبقي
 فرسان الإسلام يحول ويحالتهم تسأل الله النصر وتصول ، حتى قاربوا أن يكشفوا
 أولئك الأعداء ويلبسوهم ثياب الردى ولكن أراد الله تكملة أوليائه وخذلان
 أعدائه وتبيين حزب المؤمنين (وليعلن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فكتب
 على المسلمين الهزيمة في ذلك اليوم وتبع ساقهم أولئك القوم وحق عليهم الهزيمة
 وقتل منهم مقتلة عظيمة تقارب على التحقيق واليقين أربعة من عقود المئين فصارت
 هذه الحادثة والنازلة الكارثة طهرة وتمحيصا للمؤمنين وعقا للضلال والمعتدين
 ورفع درجات للمستشدين وعبرة للمعتبرين ، وأقام رئيس نجران أياما بذلك المكان
 ثم ارتحل بالعدوانة فكان ذلك الباطن مكانه ، ولما نزل بذلك الموضع المذكور خرج
 أهل ذلك القصر المشهور إلى إبل له نحو عشرين وأخذوها وانقلبوا راجعين ثم
 تحصنوا في مكانهم وقتلوا من جماعته ثلاثة أشخاص من ساعته ثم بدا عليه دهام بن
 دواس وأهدى عليه هدايا لقصد الإيناس ورغبة بما في قلبه من الشر والإفلاس أن
 يعيشه ويسير به على بقية المسلمين والناس ووعد على ذلك كثيرا من الأموال وأنتك
 إن جردت سيف الجهاد والقتال في هؤلاء الذين اعتدوا في الفعالي وفتحت بلادهم
 وقتلت أعوانهم فزت بالسودد والحامد ، وألقت إليك نجادا بالمقال وصرت رأسها ورئيسها
 وغرتها ونفيسها وغدت حاكمها وواليتها تنفذ التذبير في أسافلها وأعاليها ، فهش
 الحبيث عند زخرف ذلك المقال وبش حين ماوعى ماموه عليه من الأقوال ولم يدر
 حاله ولم يختبر أفعاله بل بدا له أنه ناصح أمين يريد له الظهور والتكسين وما عرف أنه
 خئون أفاك ومعتد سفاك وحنه على التأخر والإقامة ، وأظهر حشيمته وإكرامه ثم أرسل
 أيضا دهام إلى عريعر بالخبر والإعلام ويحثه على الظهور إلى نجد ويقرب له المرام

والقصد ويستجيشه في ذلك العام ويغبره أن أهل نجد في غير نظام وأن كلمتهم متفرقة وأحوالهم متشتتة متمزقة ، وفي إقامة رئيس نجران تلك المدة كاتب المسلمين في القوم الذين كانوا عندهم مأسورين فقبلوا ذلك الحال وكان الشرط بينهم في المقال أن يطلق ماعنده من أسرى المسلمين ويطلقوا من عندهم أجمعين ، وقد كان الرئيس المذكور عنده من أهل الإسلام ما هو مأسور نحو الثلاث من المثين فأطلقهم جميعا مكرمين وقد مكث في ذلك المكان نحو خمسة عشر يوما من الزمان ، وقدم عليه أيضا في ذلك المكان ذوو الضلال والطغيان زيد بن زامل وفصل بن سويط وأثنوا عليه بتلك الأفعال وحمدوه في ذلك القتل والقتال والتزموا له إن بقي جزيل الأموال ، فلم يلق إليهم بالا ولم يرجع لباطل ذلك المقال وأرسل عريعر إليه يندبه أن يقيم بمكانه حتى يقدم عليه وأرسل إليه بالصحف والمكاتيب وزخارف الأباطيل والأكاذيب ومموهات الرسائل والأرقام الموعود فيها بنفائس الأموال والحطام وأجاويد الخيل الكرام إن بقيت في ذلك المقام حتى أقدم عليك بالجيوش العظام ويمنيه منكرا وزورا ويعده باطلا وجورا (يهدمهم ويمنيهم وما يهدمهم الشيطان إلا غرورا) فلم تجد تلك الوعود فيه ولم ينجح إلى ما يعده ويمنيه ، ولم ترض للأقامة شكيمته ولم ترض بباطل الوعود شيخته ، ولم تكن لما زخر فوه همته ولم تصنع لها عزيمته ولم تكن نفسه أبية عن الأطاع بل تطمع في المال غاية الإطماع وتترزع إلى حبه أشد النزاع ، ولكن لما قدغه الله تعالى في قلبه من الرعب والافزع والخوف والافزع لم يقيم غير ما ذكرنا في تلك البقاع ، وأزاله الله تعالى عنها وطرده وقدغه في هوة الدل وأبعده ، ولم يحسن له بعد تلك الأفعال شأن ولا حال بل كتب عليه الهوان والاذلال وأصيب بالنقمة من الكبير المتعال وقال المصنف في ذلك الحال :

عين جودي بواكف هتان	واسكني عبيرة من الأجفان
وأفيض على الحدود دموعا	تحكي صوب النمام في الهملان
واهجرى لذة الكرى في الدياجي	قد كفي ما جرى من الأحزان
واذكرى معشرا وابكى مصابا	ما جرى مثله بماضى الزمان
لطف نفسي على فراق صحاب	قد تناولوا بطاعة الديان
نهدوا للجهاد صدقا وباعوا	غالى النفس في رضى الرحمن

أسرعوا في امثال أمر إله إن دعاهم إلى قصور الجنان صدقوا بيعة عليه وأوفوا ومضوا مسرعين للغفران فأنيلا الحياة مع مشهى الجنات والخور في رفيع السكان وانقضى راجعا بخزي ذل من آتى غازيا مع النجران وبقيا خرج عريعر إلى الدرعية مع بنى خالد كافة وأهل الحساء وسائر الرعية ، فلم يصل جيوشه وأجناده وعساكره وأمداده إلى رمال الدهناء حتى اختلج رئيس نجران ذهنا ومزج الخوف له وملا الله بالرعب قلبه ، فلم يلبث بعده إلا قليلا ثم جد السير إلى بلاده وخدا ودميلا وآثر أنيل هاديا ودليلا ، فلما وصل عريعر إلى قياض الجلسا ، وارتوى من تلك الحياض القمعا طاب كثير من أهل البلدان نفسا .

ولما استقر به القرار في معمور تلك الديار ، وانتشرت جنوده في فسيح ذلك الوهاد ، وملئت تلك الفياق والمهاد ، تبين من أهل نجد الارتداد ونجم الضلال والنفاق وقام الباطل على ساق ودعا ، فلبت بسرعة له أعوانه وأجابته على الفور أخدانه وسارعت إلى دعوته شياطينه وإخوانه ، وأول من أجاب لداعيه ولبى الصوت مناديه وبادر إليه عجلا وسار له هرولة ورملا ، ورام أن يبلغ بذلك الباطل أملا ، وشهر راية الفتنة والإبلاس دهام بن دواس فكان مما رام بها على خيبة وإفلاس وأهل منفوحة سلكوا معه في ذلك العرين وتتابع نجد من ذوى الإسلام والعهد أجمعين (ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به وإن أصابه فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين) ثم إن عريعرا استشار من أهل نجد ذوى العرفه والشأن في المنزل الذي ينزله من الدرعية مع تلك العربان ويسع الحضر والبدو من أهل الحساء وسائر البلدان ، فاستقرت الفكر والأذهان على أنه ينزل بين قرى القصير وقرى عمران كما هو معروف بذلك إلى الآن فوجلت قلوب أهل البلاد مما جاء به وكاد ، وما جره عليهم وقاد ، وملئت قلوبهم مخافة ومهابة حين ضرب خيابه ومد أطنابه ودهشوا من ذلك السكيد بالإرعاب وأزعجهم ما رأوا من الأجناد والخيلاء والإعجاب وما شاهدوا من عظيم تلك الأسباب وبهرت قلوبهم تلك الكهافع التي ليس أحد دونها بممانع ، ولم يكن المسلمين . غير الله دافع ولا سواء من معين

ولا مدافع ، فأتابوا إلى الله واستسلموا ولجئوا إليه في كشف ما به دهموا وتحققوا أنهم في حرب الجبال ، ويسلمون الآراء والفكر فيما يقع بالمسلمين من الإضرار والضرر ، وقد على الدين النصور وحزموا ، وجردوا سيوف الهمة على القتال وعزموا ، وعلبوا أنهم أقاموا من الأيام مدة في أعظم ضيق وحرَج وشدة ، وقد بلغ الضرر منهم حده يرحمون ، فأعينوا ورحموا وكل صدق النية لله وأناب ، وأخلص في الإيعان والاحتساب ، والكل منهم يتحسر ويتندم على بحبته الذي تقدم وبسوف تزيق الأسف والحسرة رجاء من الله في جزيل الثواب وتأملا من المولى أن يحسن لهم المكاب ، فلما أنانح بذلك المكان الفسيح أقام ذلك اليوم ولم يبد حربا ليستريح ، فلما بدا اليوم الثاني نهض مسرعا من غير توان حين أكلت الطلوع شمس مشمرا للقتال طيبة نفسه وقرب المدافع والآلات وتلك الجيوش المزججات إلى قريب من الجدارات ، وأقام يرمي بها رميات يريد أن يهد تلك اللبنة ، ويقض تلك البروج المستكينات ، وأخذ يحث الرماة ويحزج ويرد عليهم ويصدر ، فلم ينل والله الحمد الراد وصدر وما أفاد ولم ترم مدافعه لبنة من جدار ، فكان للمسلمين ذلك اليوم أعظم اعتبار وزيادة يقين في دينهم واستبصار ، وقوة رجاء في الإعانة والانتصار فكأنما والله قد نشطوا من عقال أو خرجوا من حبس واعتقال ، بل كأن الخوف لم يخطر لهم على بال ولا ريب أن هذا تثبيت من الكبير المتعال ، وتأيد من ذي العزة والجلال ، وإلا فقلوب البشر لاتطبق بعض ما صدر ولكن كما قال تعالى (ولا يربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام) وقال تعالى (ولنصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز) ولما كان آخر النهار قبل وقت الأعصار من ذلك اليوم المذكور خرج المسلمون للعرضة خارج السور وكان ذلك بأمر عبدالعزيز حرسه الله تعالى من جميع الشرور ، ففرح بذلك أولئك الجنود وقالوا هذا النى والمقصود ، فأسرع عليهم الأقوام وكانوا على تهيئة في الانقسام فأطلقت الفرسان على من خلف السور كان ، وأسرعت الدول تسير على عجل تريد من علو الباطن الدخول حتى يفوزوا بالمأمول ، فدخل عند ذلك عبد العزيز ومن معه من أهل النجدة وكان علو الباطن مراده وقصده ، فسابقهم إليه قبل الدخول ولم يكن لهم إلى التمكن فيه وصول فلم يكونوا من مأموهم على حصول ، وأخرجهم المسلمون منه قسرا ونحوهم عنه قهرا ، وقتلوا منهم رجلا وأخذوا فرس ديوان ، وكان لعريعر خيال وقتل من المسلمين سلطان بن عدوان وهو يدعى ابن نهران وبني عبد العزيز في ذلك ما هدم وأحكم بناؤه وردم ، وأقاموا على ذلك أياما قلائل كل يوم ينصبون

وبعض أنامله من الندم حيث أجمع على المسلمين أمره ، وأضحى عريعر ذلك الجبار بما شاهده وعينه وصار يدعو بالحيلة والعثار والويل والدمار على من عليه أشار بذلك السير والتسيار ، فكانوا في المنزل في غاية الدل يقاسون من الظما والعطش شدايد بعدهم عن المياه والوارد وكل يوم تغيب شمس وتطلع تطلب نفسه الهروب وتنزع ويروم الرحيل والترحال لما وقع به من الوبال ، وتأتية شياطين أولئك الأعوان وتثبته على الإقامة بذلك المكان مثل دهام بن دواس وزيد بن زامل وأمثال هؤلاء الذين كل منهم لغرضه محاول ولقمع الدين وأهله آمل ، فليلين لهم بعض اللين وينخون أيضا بنى عمه عليه فيأتونه للبراسة ويستكين حتى نفخ الله تعالى سحره وطاش وأراد العجلة والانحياش ، فأتوا إليه وتلبوه وحاولوه بطنا وظهرا وقلوبه ، فلم يروا فيه وجدا ولم يجدوا به وردا ولسكنهم أدركوا منه تسيرا ومعدا وحدوا له في ذلك حدا وذلك بعد ما أتوا إليه عتاة أهل الحريق وزينوا له الإقامة وقالوا نحن نعرف السبا والطريق ونحن لك القادة وسترى منا لك الإفادة ، فراض إلى قولهم وقصد معرفة فعلهم ، فلما توثقوا من راضته شرعوا في الرأي وإفاضته ، واستقرت المشاورة والمعاودة ، على أن غدا تكون بيننا وبينهم المناهدة ونصدقهم الحرب والمجاهدة ، وتتفرق عليهم ثلاث فرق ، ونظموا رأيهم ذلك حين انتظم سواد العسق وأخذ الرأي جهده من الحديق ، فوعت ذلك الترتيب آذان واعية من قريب ، فأسرع بذلك من وعاه وهو سالم بن جمهور أنابه الله خيرا وجزاه وتقله إلى عبدالعزيز ونماه ، فلم تستر بالضياء جهات الأرض حتى قضى عبد العزيز من الاستعداد للقائهم الغرض ، فلما ارتفع سناء النهار سارت تلك الأجناد الكبار تروم الحصن والجدار ، وأخذت القنبرة والمدافع في لفح الشرار واستعظم الأمر واستطار ، وزاغت القلوب والأبصار ، وأخلصت أهل التوحيد السرائر لعالم الضمائر ، فصارت الهاشير ومن معهم على الزلال وكافة أهل خالد وأهل الحسا ذوى الضلال نحروا جدران سمحان وأهل الحريق وابن دواس

وابن فارس وأهل سدير والوشم وبقية العدوان ، قصدوا قرى قصير وصار قصدهم
في ذلك السير واكتنفوا جميع البلدة والكل قد بذل جهده وأرهف من ماضي
حده وراموا في ذلك أمرا إدا ، وكل قد حارب ربه وتعدى ، فلم ينل كل منهم رشدا
ولا حاز مفخرا وسعدا ، ولا نال من مراده مطلوبا ولا حصل من سؤله مراما
ولا فرغوا بل رجع كل منهم خائبا مرهوبا خائسا وجلا مرعوبا ، وقتل منهم نحو الخمسين
وهربوا عن المدافع مدبرين ، فلو يلو أحد منهم إليها ولا عرجوا تلك الساعة عليها
لما عاينوا من الإرعاب (وصب عليهم ربك سوط عذاب) ، وكان عيد بن تركي
في المقتولين ، وكان والده يديم عليه البكاء والحنين ، ويتفجع عليه في كل ساعة وحين
وانهزم رئيس المدافع بعد ما قطع الله يمنه وتنحت يده قدر ميل في القلعة ، ولم يحصل
له بعض ما تمناه ، ثم لما ولي عنهم الارتياح كروا على مدافعهم بالارتجاع ، فلم يجرد بعد
هذه المرة ومذاقهم لتلك المرة ومقاسمهم تلك الأهوال المرة قواضب قتال ، ولم تسد
للمرى سهام ولا نصال بل باءوا بالحزى والوبال وشتات الشأن والحال وهموا في غدم
بالمسير والارتحال ، وكان جملة من قتل من المسلمين ستة رجال محققين . قال المصنف :

نفوس الورى إلا القليل وكونها إلى الفى لا يلقى لدين حنينها
فقل ربك التثبت أى موحد فأنت على السحاء باذ يقينها
وعريك في بيد الضلالة سائر وليس له إلا القبور يدينها
وأنت بمنهاج الشريعة سالك وسنة خير المرسلين تبينها
فكن صابرا إن حل أو جل حادث فعاقبة الصبر الفقى يستزينها
وإياك أن تبدى لخطب مخافة ولا جزعا من حادثات تشينها
وإن شئت من سحب الحوادث بارقا فلا تخش لو يزجى إليك هتينها
فكم فرجت من شدة إثر شدة وكم محنة مرت فست سنينها
وكيف نفوس المخلصين ينالها هموم وخلاق البرايا عوينها
فقد سارت الأحزاب يوم عريعر محزنة غث الورى وصمينها
وجاءوا بأسباب من السكيد مزعج مدافعهم يزجى الوحوش رنينها
وأبدوا أمورا يذهب اللب عندها ويسقط من بطن الرдах جنينها

وأقبل قادة الضلالة والردى وساداتها تبغى الهداة تهينها
وتبغى لأهل الدين في الأرض وقعة يغنى بها في كل قطر مهينها
وهتك حى البطحا ومن حل سوحها وسلب غوان ماتبدل عينها
وراموا أصول الحق والدين والهدى يريدون أن يحت منها متينها
وهدم دعائم المحجة بعدما أشيد ذراها واستقر رصينها
وتغير منهاج تألق نوره قابضه غرب النواحي وصينها
ولكنهم حادوا عن الرشدا وابتغوا منهاج آباء تفسير دينها
ومن يعش عن ذكر الإله تضله شياطين لا ينفك عنها قرينها
نغانت لهم نجد لما قد آتوا به ولم يبق في الإسلام إلا أمينها
وهز ذوو الإسلام أعظم هزة على الدين بالبلوى فبان كمينها
لقد زأغت الأبصار ساعة أقبلت بنو خالد أظعانها وظعينها
ولكن مولى النصر ثبت أهلها كما هو في دفع الأعادى بعينها
فقام بها عبد العزيز مشمرا وساعده في الحروب متينها
فأبت قلوب الناس من بعد طيشها وقرت عيون واستسر حزنها
فأضوا وقد راضوا يقينا وجردوا قواضب غضب ليس ينبو سنينها
وقد وطنوا للموت والله أنقما لنيل الرضى والعز هان ثمينها
وليس لها إلا التصبر واللقا من الله جيش والثبات كمينها
فنالوا عظيم الفوز والعز والنو وما نال هذا بالنفوس ظنينها
وآبت جيوش الفسق بالحزى والردى وليس لها إلا الشنار رهينها
أبى الله أن تعل على الدين راية فثربو ضلالات ويسمو مهينها
فأن يطأ الفساق في ذلك الحمى وهتك من تلك العوالى حصينها
فألا زالت اليضا يسمو منارها ويزهو محياها ويصفو معينها
فلم يلم المسكين وعدله تحاط نواحيها ويحمى عرينها
فألا برح المولى معزا وناصرا سعود الذى يهوى العلا وزينها

وفيها طلب دهم بن دواس الهدنة من الشيخ والأمير محمد فأجاباه إلى ذلك
 اتفقوا وانفق على ذلك منهما الرأي والنظر وكان ذلك من أدق الفكر ، فهوذين مجازين
 وأقام في الهدنة زمانا يقصر عن السنة عدده بل نحو عشرة أشهر أمده . وفيها في ذلك
 القعدة قتل محمد بن فارس وولده عبيد الحسن وذلك أن أولاد زامل أخيه وأبناء
 من جماعته تحققوا الردة منه وفيه فأرسلوا إلى الشيخ والأمير يخبرونهم بذلك الأمر
 فطير ويعاودونهم على قتله وولده قبل أن يقع ذلك منه ويصير ، فهوهم عن ذلك وأبو
 دهم ينفوهم على ما طلبوا بل زجروهم غاية الزجر عن ذلك المرام وأن عقد الهدنة
 قوي الإحكام ، فلم يجد فيهم ذلك التهديد ولم يبالوا بذلك الوعيد ، ولا أثر فيهم ذلك
 الكلام بل اتخوها بالكلام وسددوا لهما من الردى مصيب السهام وأوردوه وابنه
 حياض الحمام في مجلسه الذي لا يرام ، وأسرع إلى ابن دواس تلك الأخبار فنهض من
 ساعته في المبادرة والابتدار إلى منفوحة مع جماعته وقد وصل الخبر بذلك إلى
 الأمير في ساعته ، فأخذ عبد العزيز وكافة المسلمين في السير إلى منفوحة مسرعين
 فالتفتهم في يسر إلى دهم بمن معه من البطلين . وقد تقدم أمامه كتاب من الشيخ
 إلى ابن دواس يخبره أن هؤلاء الجماعة الذين فعلوا تلك الأفعال طلبوا ذلك منا وعالجونا
 عليه قبل ما تحققوا من ابن فارس الاختلاف والاختلال فزجرناهم عن ذلك وأغلظنا
 عليهم اللقال إلا أنا ذكرنا لهم أنا لانفيكم بل نذب عنكم ونؤويكم ، فإن كنت تريد على
 الهدنة البقاء فإياك أن تسلك سبيل الهلاك والشفاء وإن كنت تريد النكث والحراية
 فاسلك منهجه وأسبابه ، وجاءه الرسول وقد قرب به إلى منفوحة الوصول ، وجرى بينهم من
 القتال فصول ، وقتل من أهلها رجلين تلك الساعة وقتلوا منه واحد ، حين مد لدخولها
 معه ، فلما قدم عليه الرسول بالكتاب وعرف خوى الخطاب بادر إلى بلده بالانقلاب ،
 ثم وصل عبد العزيز إليها ومن معه إلا وقد آب ؛ ثم إن عبد العزيز بعد ما خرج من
 دار إلى قصر العدوانة وأقام فيه أياما يصلح شأنه ، ثم خرج منه وقصد مكانه .
 ثم دخلت السنة التاسعة والسبعون بعد المائة والألف . وفيها في ربيع الأول اعتدى
 دهم بن دواس وأبدي الحيانة والإبلاس ، فجمع زيد بن زامل وغيرهم فدعا على
 المسلمين وأخذ منها طرشا كثيرا ، وخرج أهل منفوحة فاقتتلوا معه وقتل منهم ستة
 أو سبعة وقتلوا منه نحو ذلك وكان لهم عنه أقوى منة وثارت بينه وبين المسلمين

مدها الحراية وهو الذي فتح من الشر بابا ودعا إلى ذلك أعوانه وأحزابه ، وفي ذلك
 السر الأصون والغيب المكنون مالا يحيط به الأفهام ولا تدركه أفكار الأنام ، بل
 تقع التقادير والأقدار وتصدر إرادة الجبار على غير ما يحول في الخلد والأفكار
 وما لا يتخيله المنفكرون ولا ينتجه المتفكرون . ليتذكر أولو الألباب ويقفوا بالتسليم
 والاحتساب لما دبره رب الأرباب ، ويحصل لهم الأجر والثواب إذ كانوا لأحكامه وإبرامه
 مسلمون (وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم
 والله يعلم وأنتم لا تعلمون) فكانت هذه القضية وصدور هذه الحيانة الردية سببا
 لخروجه عن بلده بالكلية ومبدأ لذهابه وأعوذجا على عذابه .

وفي منسلك ربيع الأول توفي الأمير محمد بن سعود رفعه الله إلى جنات الخلود
 وآمنه يوم الفزع والورود وسقاه من حوض محمد المورود . وفيها بايع عبد العزيز أهل
 الإسلام وأعطوه على الإمامة عقد الأحكام وأقبل على المباينة والمعاهدة والمتابعة جميع
 الخاص والعام من سائر الأنام ، وقدم لذلك المسلمون من البلدان القاصي منهم والধান
 وتتابع على ذلك الحضر والبدوان ، والشيخ رحمه الله تعالى هو رأس ذلك النظام
 والحكم للعقد بالإبرام ، وكان يتلو عليهم أحكاما وموعظه وتعلما (فمن نكث فإنما ينكث
 على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما) وأسقط حرسه الله تعالى
 جميع المظالم وأبطل كافة المغارم وارتفع عمود الحق واستقام وانتظم أعظم انتظام وتأود
 غصن المحبة البيضاء وأقيمت الدنيا على رعيته فيضا وملئت قلوب العدا بما شاهدوا من سيرة
 الهدى حسرة وغيظا وشهت رايات الإسلام في الأقطار وسارت بالفتوح الركبان في سائر
 الأمصار وطارت قلوب أهل الضلال أي مطار ، وزاد أهل الإيمان بذلك يقينا وتسليما
 وجدوا في الدين والتوحيد تفهما وتفهما (ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما) .
 وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز الرياض ، وذلك أنه حرسه الله تعالى سار بمن معه
 إليها وملك بروج جصان وأدرك منها نيلا ، فلما تبين الصبح وانتشر الناس بلغ الخبر
 دهم بن دواس فأرسل سريعا في الحال رجلا من جماعته خيال إلى سبيع وكانوا قريبا
 منه فعاجلوا بالجيء والإقبال وبادروا في سرعة الامتثال ، فلم يشعر المسلمون إلا بخيلهم
 في اقتبال ، ثم خرج ابن دواس مع جماعته لما علم بجيء سبيع من ساعته وقصده
 الحديفة والمسكر بالمسلمين (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) فحينئذ أمر عبد العزيز

المسلمين بالظهور والخروج والنزول عن تلك البروج ، ثم إن دهام بن دواس خرج مسرعا إليهم يريد أن يناوشهم الحرب ويشغلهم حتى تقدم سبيع عليهم ، فعند ذلك مدد الله تعالى عبدالعزيز وثبته وحماه من ذلك السكر وجماعته وصارت بينهم جولة قتال قتل فيها من المسلمين عدة رجال ، وأقبلت خيل أولئك البدوان ، فابتدرهم من المسلمين فرسان وتبنى بينهم الطعان ثم بعد ذلك انفصل الفريقان وكل قصد له مكان ، ولم يدرك دهام من المسلمين مارام . وفيها غزا المسلمون العودة وأميرهم عبد الله بن محمد فلم يجر بينهم قتال ثم رجعوا إلى حرمل فغزا إلى شلية من سبيع وهم بالعرمة فصبجهم وأخذ إبليهم وخيلهم وما معهم من الغنم والأمتعة . وفيها أتى بردعظيم لم يعهد مثله ثبات الزرع والعشب . وفيها جرت وقعة تسمى وقعة العدو ، وذلك أن المسلمين عدانهم على الرياض ستون رجلا فخرج ولد زيد بن سليمان عجلا مرتدا من الدرعية ، فأخبر أهل الرياض بالقضية ، فلم تأتهم تلك العدو إلا وهم مجتمعون لها في ندوة ، فعدوا على صباح فارتفع عند ذلك الصباح ، ووقع بينهم السكفاح ، ثم انهزم المسلمون والحيل لهم وراهم متبعون فقتلوا منهم ثمانية رجال وخمسة أسروا في الاعتقال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فساروا إلى الرياض وأعدوا في الليل السكين ، فلما انقشروا الصبح شعروا بالمسلمين فبادروا إلى القتال ولم يكن لهم عنه بد ولا احتيال ، فلما حيت نحر الحرب واستقر الطعن والضرب وظهر عليهم كين المسلمين انهزموا جميعا مدبرين ، وقتل منهم ستة رجال وانقلب المسلمون راجعين . وفيها هم دهام بن دواس بأهل منفوحة فوصل المسلمين الخبر فأسرعوا إليهم بالنفر . فلم يستقر دهام في تلك النخيل حتى جاءه مجيء المسلمين بالتعجيل فولى على عقبه هاربا بالبلد رأما طالبا .

ثم دخلت السنة الثمانون بعد المائة والألف ، وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبدالعزيز نمردا وأناها بعد أن هدا الأنام ، فكمن حتى استكملت الخروج للمعري جميع ما بها من الأغنام فاستاقها ذوو الإسلام وفزع من في البلد من الأقوام حتى وقع الاختلاط والالتحام ، وجرى بينهم القتال وضاق المجال وخرج السكين فشدت عليهم فرسان المسلمين ، فعند ذلك ولوا مدبرين : وقتل منهم نحو العشرين ، منهم محمد بن عبد وحمد بن راشد ابنا إبراهيم بن سليمان ، وقتل من المسلمين فواز التمامي وابن غدير وتسمى هذه الغزوة غزوة الصحن عند أهل ذلك الوطن ، لأن القتال وقع في مكان

يقال له ذلك ، ثم انصرف المسلمون راجعين وتوجه عبدالعزيز بالجوش إلى منفوحة ؛ وفي أثناء ذلك الطريق وافق ركبا لابن دواس قتلهم منهم عيسى بن قاري العلوي على التحقيق ، ثم دخل عبدالعزيز منفوحة بالسروور والابتهاج لإرادة عقيد الدخول بينت زامل الزواج . وفيها في الفطر الأول سار عبدالعزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين فنزل بالبنية من الرياض فخرج أهلها للقتال من غير ارتياض ، فقتل منهم المسلمون أربعة رجال ولم يبرزوا للطعان في مجال ، وقتل من المسلمين مرشد بن حصين .

ثم دخلت السنة الحادية والثمانون بعد المائة والألف وفيها ارتفعت الأسعار والأمان ونفق الزاد في جميع البلدان وبقي الناس في مقاساة البأس ، وبلغ الأنام من غلاء الطعام هم وضئى ، وحزن وعنا ، حتى بلغ الصاع جديد ونصف ووزنه ونصف بمجديده . وفيها غزا المسلمون العربان ، فلما سار المسلمون إليهم سبقه النذير عليهم ، فلم يصل إليهم من المسلمين فرسان ، إلا بعد ما أخذوا الأهبة للطعان ، وكانت خيولهم تزيد على ست من عقود المئين ، ورام المسلمون أنهم يجدونهم مغفلين ، فلما شنت خيل الإسلام الغارة على أولئك الأقوام وأخذوا بعض الإبل السوام أطبقت عليهم خيل المطران وفرسان أولئك العربان ، فاشتد بينهم الطعان ، ولم يكن لهم إلى الفرار من إمكان ، فثبت الله أهل الإيمان وتخاصوا من شر ذوى الطغيان وقتل بينهم بعض رجال من المسلمين دوخي الصيخي وابن ربيع ورجعوا على اعتجال . وفيها غزا المسلمون وأميرهم هذلول بن فيصل ومعه سعود بن عبد العزيز ، وهذه أول غزوة غزاها فساروا يريدون العودة فأتوا تلك البلاد وقد هجع العباد وقد حكم على المقل السكري ، وما شعر أحد بدخولهم وما درى ، وقد أعدوا لهم في مكان كينا من الشجعان وأوصوهم أنهم إذا استكمل أهل البلد الفزع والظهور يعقبونهم على تلك القلعة والدور ، فلما تبين ضياء النور وأدبر ظلام البحرور أغار المسلمون على أطراف البلدة ، وكل من جيشه وكينه عرف قصده ، فبدرهم بالقتال من أهل البلدة ذوو النجدة فلم يأخذ المجال حده حتى دخل السكين البلاد فقتلوا نور بن سعدون وأناسا من أهل الفساد ، فلما علم بما جرى وصدر من خرج من أهل البلاد وظهر رجعو القلعة فإذا هي عنهم في منعة ، وقتل المسلمون منهم رجلا فأبوى بالأمان بعد انقضاء ذلك الحال وصار ابن حماد فيها هو الأمير ولم يغير عليه فيها حتى صدر على المسلمين منه ما يضير ثم رجع المسلمون . وفيها سار عبد العزيز

حرس الله ذاته بالمسلمين إلى الرياض فنزل بالمشيقي وأقبل فزع أهل البلد إليهم وصدقوا الحملة عليهم ولكن الله من على المسلمين بالثبات ولم يكن لهم إلى الفرار التفات ، قتل من أهل الرياض ستة من الأشرار ، وقتل من المسلمين ناصر بن عبد الله ومحمد بن حسن الهلالى وزجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها كاتب أهل الوشم عبد العزيز على عيبتهم ودخلهم في الإسلام فأجابوهم بحصول ذلك المرام ، فأقبل أهل الوشم بلده وقراه ، ولم يبق منهم أحد حتى أهل مره ، فدخلوا في الدائرة الحصينة والكل منهم رفض دينه ، وبايعوا أهل الإسلام ؛ واستمرت عليهم تلك الأحكام . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز فوطي جلاجل وطلب من سويد النكال لكونه مرتدا قبل ذلك الحال فأعطاه عن ذلك من الخيل خمسا فطاب بها عبد العزيز نفسا لكونها خيلا بالجودة معروفة وبالنجب مشهورة موصوفة ، ثم سار عبد العزيز حرسه الله تعالى في طريقه ذلك مجدا ، وكان فريق من اليمن على المربع له قصدا ، فصبح الفريق بالغارة وأخذ عليهم إبلا ثم طلب أثره ورجع إلى بلده سالما ولذال غانما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين إلى الرياض وجرت بينهم وقعة تسمى وقعة المجوز ، لكون الوقعة بمكان يسمى بذلك ، وكان القتال بينهم من بعيد بالبنادق هنالك ، ولم يقع بينهم للقتال مقاربة ولكن كل أدرك بالرمي مطالبه فقتل المسلمون من أهل الرياض خمسة رجال ومن الخيل أربعة ، وقتل من المسلمين نحو عشرة صارت لهم الجنة مرتعا منهم مبارك بن سبيت وزيد ابن سعيد وابن رشيدان ، وأقام عبد العزيز بقصر الغداونة أياما يغير على الرياض ويرجع مكانه .

ثم دخلت السنة الثانية والثمانون بعد المائة والألف . وفيها استمر غلاء الزاد ورجح كافة العباد من العيشة في مكابدة ونكد ، وتسمى هذه سنة موقه لأن السعر بلغ حده وطوقه . وفيها غزا سعود بالمسلمين ، وهو أول غزو تأمر فيه فأغار على الزلفي وقتل ثلاثة رجال ثم رجع بلا مهال . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين إلى سبيع وكانوا حينئذ على الحائر فلم يزل يجد السير إليهم حتى قارب المهجوم عليهم فسبقه عليهم التذير لما اقتضته الإرادة الإلهية الأزلية من التدبير ، فلم تقبل عليهم المسلمون إلا وهم للقائه مستعدون ، حين طلعت عليهم طلائع الخيل كان منهم إليها أسرع ميل ، فالتجهم الفرسان وخمي بينهم الطعان ، والنزم الثبات كل من الأقران حتى نصر الله تعالى

المسلمين وأعان ، فشد عليهم المسلمون الحملة ، فلم يكن دون هزيمتهم مهلة ، فانهزموا جميعا وعمدوا إلى قصر الحائر سريعا فأقاموا به محتمين وكان أهله إذ ذاك مرتدين ، وأخذ المسلمون ما معهم من الأمتعة والخيل والإبل ورجعوا فآزرن بشاية الأمل . وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود بلنه الله تعالى المقصود ، فأغار على فريق من اليمن بعد ما قاربهم واستكن ، فلما صبحتهم منه غارة لم يثبتوا غير ساعة فلزموا الانكسار وتبعهم إلى بيوتهم الخيول ولم يكن لهم سواها وصول ، وقتل منهم رجال ولكن الله أراد لهم السلامة ، ولم يشعر غزو المسلمين لاشتغاله بمن أمامه إلا بالنتام بعض العربان عليهم وإقبالهم إليهم ، واستحرق الطعن في أعقابهم ورجعوا من حيث ما بهم ، وأقبلت بعد ذلك العرب المكسورة واجتمعوا على المسلمين فكانت بينهم وقعة مشهورة ، فاحتفى المسلمون وسلموا ، وقتل منهم سبعة غفر الله لهم ورحموا : منهم ناصر بن عثمان وفوزان بن ناصر ، ورجع المسلمون إلى بلادهم . وفيها غزا سعود بالمسلمين وركبهم نحو المائة على التخمين ، فأغاروا على عنزة وخرج أهلها مجتمعين وكانوا ذوى عدد من الثين ، فوقع بينهم وبين المسلمين القتال ، وأبدى المسلمون في ذلك اليوم المجال من النجدة والإقدام وفرط البأس والالتزام ، ما بهر عقول أولئك الأقوام وأدهش أذهانهم والأفهام حين رأوا فعلهم بعد المخالطة والالتحام ، فلم يكن حينئذ لأهل البلد عزم ولا اهتمام سوى الفرار إلى البيوت على الأقدام ، وقتل المسلمون نحو العشرة وكل من أهل الإسلام حمد ربه وشكره ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إهمال . ثم دخلت السنة الثالثة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض ، فوافق في ساعة خروجه من غير ارتياض خيلا كثيرة لدهام على الدرعية عادية ، وقد أخذت إبلا كثيرة لسبيع البادية فأطبقت عليهم خيل المسلمين مبادية ، واستقر بينهم المجال ساعة ثم أدبرت خيل ابن دواس خجلة مرتاعة ، وقد قتل منهم المسلمون أربعة يعرفون مطرود الفريد وابن الرابع وحسن الجعفرى ودوخى بن مروان ، ورجع عبد العزيز فلم يسر إلى ذلك المكان . وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين من أهل الدرعية وقراها ، فلما وصل إلى حريملا حرسها الله تعالى وحماها المسلمون من هناك من بلدان المسلمين أن يخرجوا له الدول مجتمعين فأخرج أهل سدير وأهل المحمل جمعا كثيرا من الدول وقصد ما يريد من محل فأناخ بالمسلمين على

الجمعة وكان المسلمون عليها مجتمعين وجرى بينهم وبين أهلها القتال ودخل قلوب أهلها من المسلمين الأوجال وقتلوا منهم تلك الساعة عدة رجال منهم عبد الله وقوفل ابنا عثمان وهما أخو حمد رئيس الجمعة ثم إن عبد العزيز أمر بالرجوع على من مشى معه من السول وتبعه حين فرغ من أمر الجمعة وغزا بالجيش من ذلك المكان، وكان ذلك في أثناء شهر رمضان فجدد سائرا في ذلك الزمان حتى وصل إلى قرية الهلالية وتد هجعت البرية وكانت من قرى القصيم، فأناخ عندها في ظلمة الليل البهيم ورتب كمينه وحاله قبل أن ينزل النور من الظلام أوجاله، فلما أغار بعد انتشار النهار وخرج أهلها إلى القتال وبذلوا في ذلك غاية الحال، ولكن الله الكبير المتعال، سلط عليهم الرعب والإذلال فانكسروا والمسلمون يقتلون في أثرهم باستعجال وهتك المسلمون البلد في ذلك المجال ودخلوها في تلك الحال، وأخذوا جميع ما بها من الأموال ثم نودى فيها بالأمان بعد قتل من أهلها رجال، وأقام بها عبد العزيز بعض ليال فذل أهل القصيم كافة وغشيم أمر عظيم من الخافة فرغبوا في الدخول في الإسلام والانقياد لمير تلك الأحكام ورفض ما يبعد من الأوثان والأصنام، وأقبلوا على عبد العزيز في تلك الأيام فأخذ عليهم عقد الإبرام ووضع عندهم معلمين للتوحيد والشرائع والأحكام، ثم رجع عبد العزيز يريد الدرعية ليقيم الغنيمة فيها بالسوية؛ وفي أثناء ذلك عثر على أثر غزو لبني خالد كبيرهم بطين هنالك، فعرفوا أنه غزو المسلمين فقالوا لا طاقة لنا بأهل الدين، وكان هذا من رأيهم أجمعين، فتركوا المسلمين ومنازلهم بعد ما حققوا مشاورتهم (وكفى الله المؤمنين القتال) وكتب على أولئك الغزو والمذلة والإذلال وذلك أنهم أغاروا على عدة فرقان من سبيع بأرض ضرما مقيمين في ذلك المكان، فجرى بينهم قتال وطعان وحمل الحرب بين الفرسان وساعد أهل البلد من الحضرة أولئك العربان وشمروا للقتال مع تلك البدوان فهزم الله تعالى أهل الطغيان وقتل منهم تلك الفرسان، وأخذ المسلمون منهم أموالا كثيرة وخيلا نحو ست شهيرة. وفيها غزا المسلمين ركب فصادف الشريف منصور فأخذ مع ركب معه وأتى به بأسور فمن عليه عبد العزيز بالإطلاق دون الفداء فرجع بذلك برخصته من شريف مكة في الحج لدوى الهدى، فاعتنم لذلك من المسلمين طائفة وسارت للحج آمنة غير خاطفة وقضت ركن الإسلام وأدت المناسك على التمام في ذلك العام، ورجعت بالحشيمة والإكرام.

ثم دخلت السنة الرابعة والثمانون بعد المائة والألف. وفيها غزا عبد العزيز المسلمين يريد آل ظفير، فأغار على الحمرة منهم في ذلك السير وكانوا قبل مجيئه على حذر لسبق النذير، ولكن أخذوا عليهم إبلا كثيرة وصارت بينهم مقاتلة شهيرة قتل منهم بعض رجال، وانصرف المسلمون بتلك الآبال. وفيها غزا عبد العزيز بالمسلمين وأقاموا في الحائر مجتمعين، ولم يخرج إليه من أهلها أحد، فشرع في قطع النخل واجتهد، فلما عابوا ذلك أهل البلاد طار منهم اللب والفؤاد، وحين شاهدوا هذه القضية عظمت عليهم الرزية وأحاطت بهم البلية، فلم يجدوا سوى الاستسلام منها وإظهار الانقياد والإسلام معاذا وملتجا فطلبوا من عبد العزيز في الإسلام الدخول فأجابهم إلى ذلك السول وأسعفهم بالمأمول، فبايعوه على الإسلام والتزموا في الأحكام بالقيام ورجع عبد العزيز بمن معه.

ثم دخلت السنة الخامسة والثمانون بعد المائة والألف. وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى يريد منيخ فلما وصل حريلا بمن معه من المسلمين ذكر له غزو آل ظفير مجتمعين وكان رؤوس ذلك الغزو آل ضويحي ووهق بن فياض فجدد في ساعته في الانتهاض وحث السير في أثرهم بعد تحقيق أخبارهم، فأدركهم في أرض غيابة وأسرع إليهم بها فرسانه، فلما عرفه آل ظفير وعلموا شأنه كل منهم انهزم يريد أهله ومكانه فعرض المسلمون عليهم الساقة، وأسروا بعض أولئك الرفاق وقتلوا منهم رجلا منهم ووهق بن فياض وشققتهم حالا، فلم يسلم من القتل والإسار إلا من طلب الفرار، ثم رجع المسلمون. وفيها أرسل الشيخ وعبد العزيز إلى والي مكة أحمد بن سعيد الشريف هدايا وكان قد كانهم وراسلهم وطلب منهم أن يرسلوا قتيها وعالمنا من جماعتهم يبين لهم حقيقة ما يدعون إليه من الدين ويحضر عند علماء مكة، فأرسل إليه الشيخ وعبد العزيز الشيخ عبد العزيز الحصين وكتب معه إلى الشريف رسالة، وهذه نسختها وهي:

بسم الله الرحمن الرحيم المروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين وأعزه دين جده سيد الثقلين إن الكتاب لما وصل إلى الخادم وتامل ما فيه من السلام الحسن رفع يديه بالدعاء إلى الله بتأييد الشريف لما كان قصده نصر الشريعة المحمدية ومن تبعها وعداوة من خرج عنها وهذا هو الواجب على ولاية الأمور، ولما طلبتم من ناحيتنا طالب علم امتثلنا الأمر وهو واصل

إليكم ويحضر في مجلس الشريف أعزه الله تعالى هو وعلماؤه مكة ، فإن اجتمعوا فاجتمعوا
 الله على ذلك وإن اختلفوا أحضر الشريف كتبهم وكتب الحنابلة ، والواجب على كل من
 منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق
 النبيين) إلى قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على
 الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته
 فلا بد من الإيمان به ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك
 وأولاهم أهل البيت الذين بعث الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت
 بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن
 غلمانك من جملة الخدام ثم أتم في حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز
 المذكور نزل على الشريف الملقب بالفرع واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم
 يحيى بن صالح الحنفي وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان وعبد الغني بن هلال
 وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إليهم من التكفير بالعموم .
 والثانية هدم القباب التي على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم
 الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب
 فهو الحق والصواب كما هو مسطور في غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك
 ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص
 عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذي فعله الأوائل ولا يجادل في جوازه
 إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقتناع فأروا عبارته في الوسائط
 وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار بإسراع وتفوتوا بأن
 هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام العظيم ، وانصرف عنهم
 عبد العزيز مبجلا مكرما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معكال
 وخرج أهلها جفرا بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم
 يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدان تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق
 ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين
 يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهاهم بن دواس قدسار وظهر عاديا
 على أهل عرقة وليس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا في ذلك الشأن التقوا جميعا قريبا
 (٦ - تاريخ نجد - نان)

إلى ذلك المكان فأطبقت عليهم من المسلمين فرسان ، فلم يلبثوا ساعة للطعان بل
 هزموا إلى تلك البلدان فكان أول قتل منهم دواس بن دهاهم ثم جد في أثرهم أهل
 منا ومنهم أن يقصد بعلمه وجه الله ونصر رسوله كما قال تعالى (وإذ أخذ الله ميثاق
 النبيين) إلى قوله (لتؤمنن به ولتنصرنه) فإذا كان الله سبحانه قد أخذ الميثاق على
 الأنبياء إن أدركوا محمدا صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ونصرته فكيف بنا يا أمته
 فلا بد من الإيمان به ولا بد من نصرته لا يكفي أحدهما عن الآخر وأحق الناس بذلك
 وأولاهم أهل البيت الذين بعث الله منهم وشرفهم على أهل الأرض وأحق أهل البيت
 بذلك من كان من ذريته صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، يعلم الشريف أعزه الله أن
 غلمانك من جملة الخدام ثم أتم في حفظ الله وحسن رعايته ؛ فلما وصل إليهم عبد العزيز
 المذكور نزل على الشريف الملقب بالفرع واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم
 يحيى بن صالح الحنفي وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان وعبد الغني بن هلال
 وتفاوضوا في ثلاث مسائل وقعت المناظرة فيها : الأولى ما نسب إليهم من التكفير بالعموم .
 والثانية هدم القباب التي على القبور . الثالثة إنكار دعوة الصالحين للشفاعة ، فذكر لهم
 الشيخ عبد العزيز أن نسبة التكفير بالعموم إلينا زور وبهتان علينا . وأما هدم القباب
 فهو الحق والصواب كما هو مسطور في غير كتاب ، وليس لدى العلماء فيه شك
 ولا ارتياب . وأما دعوة الصالحين وطلب الشفاعة منهم والاستغاثة بهم في النوازل فقد نص
 عليه الأئمة الفواضل وقرروا أنه من الشرك الذي فعله الأوائل ولا يجادل في جوازه
 إلا كل ملحد جاهل فأحضروا من كتب الحنابلة الإقتناع فأروا عبارته في الوسائط
 وحكايته الإجماع فصار لهم بتلك العبارة اقتناع ولهم إلى الإقرار بإسراع وتفوتوا بأن
 هذا دين الله وانتشر فيما بينهم وشاع وقالوا هذا مذهب الإمام العظيم ، وانصرف عنهم
 عبد العزيز مبجلا مكرما . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين يريد الرياض فعدوا منها على معكال
 وخرج أهلها جفرا بينهم قتال ، فلما استقر جلادهم للمسلمين خرج عليهم الكمين فلم
 يلبثوا غير ساعة ثم كان منهم إلى البلدان تجاعة ، وقتل المسلمون منهم ستة رجال منهم عتيق
 ابن زائد ، ثم هم المسلمون بالارتحال فلما وصل المسلمون إلى بعض بلدانهم انقلبوا راجعين
 يريدون الرياض لشأنهم فكان من القضاء والقدر أن دهاهم بن دواس قدسار وظهر عاديا
 على أهل عرقة وليس عند المسلمين منه خبر فلما خرجوا في ذلك الشأن التقوا جميعا قريبا
 (٦ - تاريخ نجد - نان)

لهم بعد الالتحام فرط إقدام بل مكثوا في القتال زمان مرتدين ثياب الهوان ، فلما شد عليهم أهل الإيمان انهزموا من غير توان وقتل منهم مرزوق المطيري ومحمد بن فائز وقتل من المسلمين علي بن محمد الأمير . وفيها مات الشيخ أحمد بن مانع رحمه الله تعالى في رمضان . وفي آخره مات ثنيان بن سعود أسكنهما الله تعالى دار الخلود وكان لهما بهذا الدين النهج الحمود .

ثم دخلت السنة السابعة والثمانون بعد المائة والألف وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين متع الله تعالى به سنين ، فنزل بالرياض وألقى رحله في تلك القياض ونازل أهلها مدة من الليال وكل يوم يجرى بينهم قتال ، واستولى المسلمون على بروج وجدوان فأسرعوا إلى تهديم ذلك البنيان وهدموا ذلك المرقب الشامخ فصار الدمار لارتفاعه ناسخ وقتل من أهل البلد رجال وبنات أهلها في غاية الأوجال يسامرون في الدياجي السها مما حل بهم ونزل بساحتهم ودهى وقد عرتهم الدلة والدهشة وغشيتهم الرجفة والرعشة لا تهدأ لهم قلوب ولا عيون وقد أيسوا من أنفسهم وخابت منهم الظنون ، وقد قارب أن يفتحها إذ ذاك المسلمون لما بان لهم من الانتصار وما ظهر على أهلها من الرعب والانداع ولكن إرادة المولى غالبية على العباد وليس يجرى إلا ما اختاره وأراد ، فانصرف عنهم جميع المسلمين وأخر الفتح إلى حين ، وقد قتل من المسلمين اثنا عشر رجلاً نالوا من الشهادة أملاً منهم عقيل بن نصير وسلطان بن حفيان وكانت هذه الوقعة في صفر ولم يشرق بعدها لديهم عز ولا سفر بل هم بالرحلة والسفر والجللاء عن ذلك الوطن الذي نوى فيه وقطن وحل به وسكن ، فأخذ في تدبير النقلة والارتحال مما داخله من الرعب والأوجال وخالط قلبه من الخوف والإذلال ، فبقى أياماً وليالي لا يحسن له حال ولا ينشرح له بال مخافة على أهله والعيال وأسفا على ذهاب تلك الأموال وأسفا على فراق الحلة والبعد عن تلك المحلة ومعاناة الجللاء والنقلة والأرض به راجفة وريح الهروب عليه عاصفة ، وهو يصبر نفسه ويتصبر ويتجرع مرارة الأسف ويتحسر ، وينادي بالويل على نفسه كل ساعة وهي إلى الفرار نزاعة لاتروض إلى البقاء والاستقرار ولا تميل إلى المكث في هاتيك الديار حتى نادى عليه منادى الدل والصغار إلى متى التصبر والاصطبار والحلول والقرار وحتى متى تقدم في ذلك رجلاً وتؤخر الأخرى والجللاء هو الأولى لك والأخرى ، وصاح به قلاع الحصون إلى متى هنا السكون

فقد آذن ليل الباطل بالزوال وأعلنت سحب الشرك بالارتحال وتفتشت غياهب الزيف والضلال ولاح نور الهدى والهداية وانجلت دياجي الضلالة والغواية وتلاّ عمود الصباح وأشرق لأهل الإسلام السعد ولاح وغدا البلاء على الباطل وراح وأعلن عليهم لسان الفتح وهم يسمعون (ولنخرجهم منها أذلة وهم صاغرون) فلما حان من شمس الباطل غروبها وأن لأهلها جلاؤها وهروبها وأن تن في روضة الرياض قواعد الدين وتمحق دولة الفسدين ويظهر لأهل الإسلام النصر والظفر والتسكين وتعلو كلمة الحق على الباطلين وتمحي آثار ذوى المكر والعقدين (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين) جمع جميع أعيان بلده وأخير بحقيقة عزمه ومقصده وأنه يريد الهروب والجللاء ، وأن قواده ملئ رعباً ووجلاً فصاحوا كلهم عليه وأقبلوا بأجمعهم إليه ، وقالوا ما حملك على هذه الأفعال وما الموجب لها من الأحوال أهذا لنا مكر وخداع حتى تعرف منا الصدق بإجماع أم حدث بك من الجن اتزاع فاستعد بالله من الشيطان فلن تراع ، فقال دعوا عنى هذا الهذيان فليست الرياض لى بأوطان وليس عيالى فيها يسكان وما شاء الله كان ، ولم يرعو من ذلك المقال والمحاولة عن الارتحال ، ولم يستطع إلى ذلك سيلاً ولا وجد من قلبه عليه دليل بل انتفخ سحره ولبه وطاش قواده وقلبه وتعظم منه في الحشا (ومن بين الله فإله من مكرم إن الله يفعل ما يشاء) فانفضوا من حوله سراعاً وعرفوا أنهم لا يدركون به دفاعاً فازدادوا ذعراً وارتباعاً وتحققوا أنهم منها مخرجون وأنهم له متبعون (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) فتردوا رداء القنوط والإياس وكل ساعة ينتظرون حلول النعمة والياس (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) فلما انتصف ربيع الثاني خرج عبد العزيز حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الرياض وحربها وتدميرها وخرابها وقد جرد أهل الإسلام لذلك صوارم الاعترام ونهضوا كافة وليس لهم دونها مرام ، وقد ارتجوا الفتح من الملك العلام ووطنوا نفوسهم على حصارها ليالى وأيام ، ولم يكونوا بما في الغيب مشعرين (ادخلوها بسلام آمنين) فلما وصل حرس الله مهجته وأيد عزه ودولته في مسيره ذلك إلى قريب عرقة انبلج له عمود الأنس والسرور وانسلخ مدحهم ذلك الذي مجور وطلع له طالع السعد و برق له بارق الفخر والمجد وتبدى له في أفق ذلك الطريق نواجع المنيرة واللفظ والتوفيق ، وكان بذلك جذيراً وحقيق وناداه لسان البشر والبشير

إلى ، تسمى وتسير ؟ وجميع عدك في تدمير وإلى كل بلد في مطير ، فأرخ ذبول المني والإفساد فقاءوا إليها وآبوا ، وقد رمحوا في ذلك وماخابوا وسكنوا بها فطابوا ،
 فقد جاءك القصد والنبي وزال عنك النصب والعناء فسميك إن شاء الله مشكور وأنت م وكانت جميع تلك الأموال والنخيل ذوات الأغلال فينا من الله ذي الجلال لكونها
 ذلك مأثور ، وقد ضوعفت لك في هذه المدة الأجور وصارت لك العقبي على ذوى الفجور لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب ، فكانت لبنت المال من غير ارياب وحسن تملكه
 والغلبة والنصرة على أهل الفساد والشرور ، فقد خلت لك القصور وتأهبت إلى لقاء لها وطاب ؟ وأقام بها عبد العزيز أياما ونصب فيها أميرا وإماما وكتب الشيخ لعبد العزيز
 الصدور ، وقد أقفرت تلك الدور بمن كان بها يتعدى ويجور ، وقد حقت كلمة العذار في تلك الأيام رسالة أرسلها إليه فقدمت في الرياض عليه وقال فيها : أحب لك ما أحب
 على الفاسقين ، وجاء وعد الله لحزبه الفائزين (وزيد أن تمن على الدين استضعفوا الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين) فحمد الله تعالى على هذه الأنعام وشكره
 هذه المواهب الجسام والعطايا الوافرة العظام وقال وهو خاضع لربه مستكين حامدا رب العالمين (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل
 صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) فسار يريد ما هيا الله تعالى له من مكان وما خوله من تلك الأوطان وشيعه في ذلك الطريق الأمن والأمان وحفه في
 الأنس والتهان ووصل إليها قبل غروب الشمس بأكل فرح وأنس وطيب قلب ونفس فدخل تلك البلد فإذا دهام قد ولى منها وشرذ ، وذلك أن دهام بن دواس لما حاق به
 من ربه لباس وقرب أن يسقى كؤوس الأحزان ويلقى المذلة والهوان وتكون الدائرة عليه لأهل الإيمان جمع كافة ماله من أعوان وما أراده من الشأن فكل بقى متحصرا حيران
 بعض أنامله ندمان ، فخرج هو وأولاده وأعوانه وغالب أهل البلد شأنهم شأنه ولم يبق في البلاد إلا القليل حفاقة من فعلهم الويل وقصدوا جميعا الدم ونوى سكنها وعزم
 وجد في الطريق ومن معه ومات نحو أربع مائة من الخلق ممن تبعه لأن جلاءهم كان في القيظ فزادوا حرارة مع ما بقلوبهم من حرارة القيظ فصلتهم لواعج القيظ وجرنة
 وحرقتهم عواصفه وحدته. هذا والمسلمون قد جدوا في أثرهم المسير ينقدون بالماء كل ضعيف وقير ويقتلون كل شيطان مرید وكل ذي بأس شديد حتى وصلوا إلى الدمام
 المعروفة وقطعوا تلك المفاوز المخوفة ونادى عبد العزيز فيها بالأمان لإمن كان مشهورا بالسوء بإعلان ، فعند ذلك ظهر من كان محتفيا وبان ، ولم يقتل إلا عبد المحسن بن شاخص
 وصالح المشوري وبراك بن حميدان ومحمد بن سليمان ، ولم يقتل غيرهم إنسان ، وأرسل عبد العزيز إلى أهلها الذين ناروا وخرجوا مع دهام وساروا يدعوهم إلى الرجوع
 فلم يكن أحد عنه بمنوع إلا من تميز بالشر والفساد وتوغل في طريق العناد وتسربل

لنفسى وقد أراك الله في عدوك مالم تؤمل ، فالذى أراه لك أن تكثر من قول الحسن البصرى كان إذا ابتدأ حديثه يقول : اللهم لك الحمد بما خلقتنا ورزقتنا وهديتنا وفرجت
 عنا لك الحمد بالإسلام والقرآن ولك الحمد بالأهل والمال والعاقاة كبت عدونا وبسطت رزقنا وأظهرت أمننا وأحسنيت معافاتنا ومن كل ماسألك ربنا أعطيتنا فلك الحمد
 على ذلك حمدا كثيرا طيبا حتى ترضى ولك الحمد إذا رضيت .

خاتمة

يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب ويرتدع بها كل عدو محارب ويتعظ بها كل خائف من الله مراقب ، ومن نال من التوحيد رفيع المراتب
 وحى أن الله القادر الحكيم والآخذ الشديد الأليم أقام دهام بن دواس يصادم أجناد الدين ويبدل جده في حرب ثلاثين من السنين والأعوام لا يكاد يهنا له طعام ولا
 تستغرق عيونه في دجى الظلام بل يذو المنام إلا أنه أظهر الاستعانة وأبدى الاسكانة في ثلاث سنين للدخول مع المسلمين وأقام في بلده الأحكام والشعائر ولكنه يترص بأهل الدين
 الدوائر فكان إذا أتاه من الدرعية أحد قام في توقيره وإكرامه وقعدوا ظهر له في الاسلام الغبطة والرغبة وإن كان قد ملئ من بغضه قلبه ، وإذا رأى أحدا من جماعته مبديا
 التوحيد والديانة أخفى له الذلة والإهانة وكانت هذه الثلاث سنين متفرقة من السنين في عشرين والذي قتل من الفريقين في هذه المدة أربعة آلاف في الحساب والعدة ألف
 وسبع مائة من المسلمين نالوا الكرامة ، وألقان وثلاثمائة من الضلال صارت عقباهم الندامة ، قال المصنف :

كشف الحق ظلمة الاغلاس وجما الدين جملة الأرجاس
 وأزال الصباح ديجور ليل طال ما ساعد الأسى في احتباس
 فظلام الضلال والشرك ولى وضياء الرشاد والرشد راسي

وتجلى غيايب البني لما
وراي القبول والنصر هبت
ومنادى السرور أضحي ينادي
وليالي الموم ولت سريها
زانها الصبر في القفا فاستنارت
وطيور الافراح بالفتح غنت
حين أم الإمام بالفتح ساع
فاستزاد الإسلام حوزا وفوزا
ومضى المم والعنا وتجلي
كم بدا من أبي سعود سعود
قد علت رتبة الشريعة لما
وسما منهج المحجة سكا
وتبدى الهدى فأضحي سناه
وأضاءت بذلك بلدان نجد
وأنت بعد ذا الفتوح وأضحي
فانستقرت قواعد الدين فيها
وأتى التوحيد يتلو جهارا
وبدا الدين وجهه مستيرا
خلد الله في النعيم إماما
وغدا معلنا بدعوة حق
أوضح السبل للأنام وأحيا
وجلا الوقر عن مسامع قوم
ساعده عصاة الحق حتى
عصبة لآتهاب هول المنايا
عزروا الدين بالقنا والقواضي
بذلوا للجهاد فيه نفوسا
كم تجلت لهم خطوب شمس

أذن الزيع والردى بانتكاس
فالأعادي قلوبهم في ارتجاس
بالهنا والني بغير التباس
وتقضت بلا قنوط وياس
بضياء السعود من غير ياس
فوق أفنان غصنه المياس
نخبر عن جلا بني دواس
وسرورا وعاد باستيناس
يوم أخلى الرياض ذو الإبلاس
وقسوح ومفخر لأناس
شاد أركانها بأقوى أساس
واستبان معالم في اندراس
ساطع النور لامع النبراس
ومضوا بعده بغير احتراس
طالب الدين في مزيد التماس
واستمرت سكانها في اقتباس
سورة الفتح لانتصار الناس
حين ميّطت براقع الأدناس
أظهر الدين بعد طول ارتكاس
والورى في مناهج الخناس
ميتا غيبوه في الأرماس
والعمى عن بصائر في انطماس
لبسوا للحروب أقوى لباس
كلهم في اللقاء صعب المراس
وأزالوا عنه قذا الأنجاس
روضوها لموت بعد شماس
خلوها بكل لدن وقاس

أيد الله نصرهم وعلام يبقاء الإمام في إيناس
وأدام الإله نصر سعود ناصر الدين لابنى العباس
وفيها وقع الطاعون في بغداد والبصرة وما بينهما من البلاد وتزايد أمره
وهتاقم وجل الخطب وتعاظم ، وكل يوم يموت من البشر ويدفن في تلك الحفر
مئات من الأنام وطال ذلك عليهم ليالى وأيام حتى فنى أكثر أهل البصرة ومن والاها
من قرى الهجرة ويذكر أنه مات في ذلك الطاعون مائة الألوف من جميع البلدان
متفرقون ، وفيها أرسل عبد العزيز حرسه الله تعالى إلى زيد بن زامل رئيس الدلم
ببند العهد والأمان وليس هنا إلا الدخول في دائرة أهل الإسلام والإيمان ، فلم يثن إلى
ذلك الشأن منه عنان ولا التفت إليه مختالا بما لديه وسعى في حشد الناس والأحزاب
لما أراد الله تعالى عليه تعجيل العذاب وأرسل إلى رئيس نجران يستجيشه ويستدعيه
وبعده على محييه الأموال وعينه ويضعف أمر هذا الدين ويوهيه فلم يرعو إلى ذلك
للتقال وقصد زيادة الشرط في المال والتوثق قبل الشروع في الحال .

ثم دخلت السنة الثامنة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها أيضاً أرسل زيد بن زامل
إلى رئيس نجران يدعو إلى ذلك الشأن ، ويحثه على القدوم في ذلك الزمان وتعجيله
قبل طوارق الحدثنان ، فلان إلى ذلك فؤاده لأن طلب المال هوام ومراهه وغارت
لليل المال عيونه وحارت في ذلك أوهامه وظنونه وصارت أنامل يده يناديها عثونه
فتأمل ساعة وفكر ثم أجمع عزمه ودبر وحرر مقصوده وقدر وحقق مطلوبه وقرر
فأرجع إليه الرسول يريد أن يبين له المبدول ويعرفه بالعائد والموصول وفائدة الحصول
حتى يكون بعد ذلك الحصول وينجح السير والوصول وينجز لكم المرام والرسول
فأرجع إليه بما راض جأشه عليه وأن ذلك يتمثل لديه فوقع بينهما المصارطة وانبرام
العقد والمراطة ، وحصل التقرار بعد المعاودة والمفاوضة على قريب من ثلاثين ألف
وتمتعيل بها المقايضة وطلب زيد بن زامل من رئيس نجران أن يرسل إليه أرهان
حتى يرسل إليه الذي استقر واستبان ، فأرسل إليه الرئيس رهنا من جماعته وأعيان
البلد وخاصة وعجل بهم له في ذلك العام رغبة في تعجيل الحطام وأداء ذلك الشرط
والإتمام ، فلما قدموا على زيد أولئك الأقوام جد في تحصيل ذلك المال واستيفائه من
البلد بالإذلال وأقاموا على ذلك ليالى وأياما لا تذوق عيونهم في الدجى مناما ويعانون
ذلك جهدا وسقاما وضيقا وإلزاما ويرتجون لهم مآبا (فذوقوا فلن يزيدكم إلا عذابا)

فلما نزل ذلك المال أرسل به في الحال لقصد نبح المرام بقدم أولئك الطعام . وفي
 نزل عريعر مع بني خالد وغزوة على بريدة وأعمل فيها مكره وكيد وأقام بها بعض
 أيام وهو يحاول في أهلها بالحديفة والإبرام وتلين الجناح لهم في الكلام ، فحاشت
 ذلك قلوبهم وحاطت بهم ذنوبهم فاستدعى عريعر أميرها عبد الله بن حسن للخروج
 إليه والمواجهة حتى يكون الخطاب شافهة فاغتر بذلك وظهر وسار إليه وابتدر
 فعند ذلك حجر عليه وأسر ، فدخلت المدينة على حين غفلة من أهلها ولعل ذلك من
 شوم ، وكان ذلك على حين غفلة بلا تثبت ومهلة وبئس هذه الفعلة وما أقبحها من
 خصلة فجالت في البيوت أولئك الأعراب وكسروا لتلك الأبواب فلم يجد أهلها من
 ذلك مهربا ولا ألفوا للنجاة مطلبا وثمر راشد الدريبي لذلك إزاره وقصد في ساعة
 قصر الإمارة وكانت قبل ذلك منه جاليا وذلك البلد منه خاليا وفر من يخاف من
 المسلمين على نفسه من المبطلين وتفرقوا في البلدان حتى جاءهم من ربهم الصلة والإحسان
 فكتب عبد العزيز أهلها الذين خرجوا منها ونفروا هاربين عنها وهم آل عليان
 على أنهم يقبلون عليه وقيمون عنده أحسن الله قصده فأسرعوا إليه المجيء والإفطار
 وقابلهم بغاية الإكرام ورعا لهم تلك الدمام وأقاموا في نهاية الاحتشام وأقام عريعر
 في ذلك المكان بعض أيام وليال ، ثم شمر في السير والارتحال فسار منها وطمعن عنها
 ومعه عبد الله بن حسن ذلك الأمير ، ولم يزل عنده في حكم الأسير حتى جاءه قضا
 العظيم الكبير وحن أن يسقى ذلك الكأس المرير وينفذ فيه الإرادة والتقدير ويتجرع
 كأس الحمام بعد ذلك العز التام ، فنزل به في أرض الحامية السام نحر من ذلك المقام
 السام وضمه ضيق اللحد وصارأ كلة للدود بعد ذلك القنا والقنابل ومسايرة الجيوش
 والجحافل ، وهذه سنة الله في جميع المخلوقات والعبيد ومفاجأة الحمام بغثة لدوى البأس
 العتيد (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد) . وفيها غز
 سعود حرسه الله بالمسلمين يريد الدم ، والسعد قد قارنه وألم ، فسار حتى قرب إلى
 وشارف المهجوم عليها فأناع على حين غفلة من الناس وقد هجع أهل الأندلس
 والأحراس ، فعبا عند ذلك من الكمين ما أرادوهيا أهل الغارة من أولئك الأجناد
 فلم تستقر الشمس طالعة حتى صارت خيول المسلمين إلى الغارة نازعة فوافت كثير الأغنام
 فاستاقها على التمام وخرج بعد ذلك من أهل البلد من فيه نجدة وكان استرداد تلك
 الأغنام قصده ، فناوشهم المسلمون القتال والسكر قد بذلوا فيه طاقة الحال حتى ظهر

كمين عليهم وبدأ فصاح بهم صائح الذل والردى ، فانكسروا ولكن بعد ما جهدوا
 وجدوا فانهمزموا مدبرين وما ألوا على الساقة وما ردوا ، وقتل المسلمون عشرة من
 رجالهم ودخلوا بلدهم بكسافة بالهم وتشتيت حالهم ، وقتل من المسلمين رجلان
 عوض بن ذيب وراشد بن مطيع ، ثم بعد ذلك ارتحل سعود ، فلما وصل إلى الحار جهر
 سرية من المسلمين وأمر عدامة بن سوري عليهم أجمعين وأمره أن يقصد الزلفي
 ويأخذ ما يجده هناك ويلقي ، فسار من ساعته ومن معه عدامة فوافاه ركب من أهل
 الزلفي أمامه فشن عليهم الغارة ولم ينبج أحد منهم بنيارة ولا أواه حين شمر فيه إزاره
 فكل منهم تخرج حمامه وكان الموت غايته ومرامه وكانوا نحو العشرين قتلوا أجمعين .
 وفيها وفد أهل حرمة والجمعة على الشيخ وعبد العزيز يريدون الإسلام فعاهدوا على
 ذلك والتزموا القيام بجميع الوظائف والشعائر والأحكام ، غير أنهم طلبوا منهم عدم
 المطالبة بالجهاد حتى يتوفر أهل تلك البلاد وكان مرادهم الإمهال سنتين ثم يشمرون
 بعد ذلك من غيرمين ، فلما عرفا منهما الحقيقة والرغبة ساعداهم على الموافقة والطلبه
 ثم كانت إلى بلادهم الرجعة والأوبة بعد ما أدرك كل مطلوبه . وفيها وفد محمد بن رشيد
 الحزاني وأعيان أهل الحريق يريدون الإسلام الذي هو أسهل طريق ، فقدموا على
 الشيخ وعبد العزيز سلك الله بهما مسلك التوفيق ، فبايعوا على الإسلام والتزموا القيام
 بجميع الأحكام ثم بعد ذلك رجعوا إلى بلادهم بعد حصول مرادهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والثمانون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز بالمسلمين
 يريد الخرج ، فجد السير حتى إذا قارب الضيعة بعد المهجوع أناع بهم الجوع ويعي أهل
 الغارة والكمين ، فلم ينجل الظلام ويضمحل الإظلام إلا وقد أخذ من التعبئة أحسن
 نظام ، فعند ذلك شن الغارة على أهلها وأخذوا من الأغنام ، فخرج عند ذلك أهل البلاد
 وناوشوا المسلمين الجلاذ حتى بدت لهم من الكمين أسنة فأطلقوا للفرار أعنة وولوا
 جميعا مدبرين ، وأقاموا في البلاد محتصرين ، وقد قتل منهم تلك الساعة اثنا عشر رجلا
 ورجع المسلمون على أعقابهم وقد أدركوا أملا . ثم إن المسلمين أخذوا في قطع الأشجار
 والنخيل فقطعوا من ذلك ما ليس بالقليل وذلك جميع نخل الشدى . ثم ارتحل عبد العزيز
 بالمسلمين ونزل بالدم ونوى حصار أهل زميقة وعزم ، فأقام عليها للحصار وأشرف
 أهلها على الدمار وخرب من نخيلها وزروعها وقطع من أصلها وفروعها ثم انصرف
 راجعا إلى بلاده بعد نيل مراده واستأذن الغزاة في إعطاء تلك الغنيمة آل عليان

فأجابوه بطيب لسان وجنان ، وقد استشهد من المسلمين ثمانية رجال منهم فهد بن سنان
رحمهم الله تعالى . وفيها سار رئيس نجران يريد أهل الإيمان ومحاصرتهم كافة في البلدان
فأقبل معه من سائر الأعراب ما لا يقدر على حده حساب ولا تحصره الأبواب ، وقد
انضم إليه والتأم كل جلف وطعام وأشخاص كالأنعام بل هم أضل منها في الأفهام ،
وكل من بلغه ذلك السير والسيار سارع إلى المسارعة والبدار خصوصا سكان الفياض
والقفار فأقبلت معه وبهده خيب الله قصده أصناف قبائل البادية كلها على أهل الحق
عادية وجدوا لأهل التهيئة سيرا (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا) وساعده
في ذلك الأمر والشان كل رئيس وساحم شيطان من أهل نجد وغيرهم من الحضرة
والبدوان وأعانوه على طمس هذا النور وإطفاء مصباحه الضئ في الديجور جميع أهل
المعاصي والفجور بأنواع كثيرة من الأموال وأمدوه من النقود بما لا يخطر على البال
ولا يحصره لسان القال ، وبرزوا في ذلك الكبر المتعال وحاربوا ذا العزة والجلال ،
فلم تنجح لهم آمال ولم يحصلوا من القول على حال ، وأرسل له بطين بن هريعر من
النقود ما ناف عنه على القصود فذكر أنه أرسل له بما يزيد على ستة آلاف مشخص
وأظهر له من أحمال الطعام من الحسا وأشخص ، فقدم عليه من الحساء ثلاثمائة من
الزاد فزال عنه الجوع والهلم والأسى ، وتلاحقت عليه الأمداد من الجموع والراد وهو
مقيم على الحائر من تلك البلاد وكل يوم يجري بينه وبين أهلها القتال والجلاد ، وقد
قتلوا منه في تلك المدة قريبا من أربعين رجلا في العدة فزال ولله الحمد عن أهل تلك
البلدة كل رعب وخوف وشدة وزهر من معه من أجلاف الأعراب وعرفوا أن
من قصده خسر وخاب وما أطمعهم في الحياء معه والاقدام إلا ما صدر عنه قبل ذلك
العام وما عرفوا ما في ضمن تلك المرة للمسلمين من العز والمسة وما انطوت عليه من
الحكم والأسرار ما لا يحيط به الأفهام والأفكار بل يحسبون أن ذلك لعقة غسل
فرجعوا بخيبة الأمل وظنوا أن المسلمين أكلة جزور فأبوا بالثبور والعتور ، وكان
عبد العزيز حرسه الله تعالى في تلك المدة والإقامة قد أرفه حده واعتزاه وصل
جده واهتمامه في تجهيز الجيوش والأمداد في كل قرية وبلاد ، فأرسل إلى الرياض
مددا فأقاموا بها أمدا وخرج سعود بلغه الله القصود بالمسلمين فعمد إلى ضمها وأقام
في نواحيها وغاراته تراوح الأعادي وتغادى البوادي العادية وتفاجىها ، فأغار
هو وجنده النصور على اليمن ذوى الكفر والفجور وكانوا بأرض العرمة يسمعون

وفي شهابها تلك الأيام يقيجون ، فلم يرتفع بعض الأيام للشمس سنا ويحل تلك الأعراب
الباغية من عيونهم وسنا إلا وهو قد أشرف عليهم ودنا ويحل لهم الكرب والعنا
نشئت عليهم فرسان المسلمين الفارة ، وكل شمر للقتال إزاره وجرى بينهم ذلك اليوم
طعان وقتل من كل الفريقين فرسان ، ثم رجع سعود بمن معه إلى ضمها وانهمزم
أولئك اليمنان عن رعى ذلك المكان ، فاجتمعوا مع رئيس نجران على الحائر وأقاموا
مع ذلك العدو الجائر حتى وقع بينه وبين أهلها الصلح فسار عنها ولم يحصل مما دام
على نيج ، وقصده هو ومن معه وساعده من الحضرة والبدو وتبعه بلدة ضمها وكان
سعود قد سار عنها وظعن منها فلم تأت تلك الأقوام وهو في ذلك المقام ، بل وضع في
البلاد من الرجال عددا يكون لأهلها عوناً ومددا ويزدادون بهم همة وجلدا ، فلم تنزل
بهم أولئك الجيوش الرعاع وتحف بتلك الزوج الرفاع وتمسلاً لجفاج تيك البقاع
إلا والمسلمون قد استعدوا للدفاع وأخذوا من الأهبة شأنها وحصنوا تلك البلد بروحها
وحيطانها ، فجد ذلك الرئيس الشيطان وأتى من الحرب بىكر وعوان ولم يبق جهدا من
نفسه ومن معه من الأعوان فهد في ثاني يوم نزوله عليها وقرب جميع أجناده إليها
وأبرزوا من الاجتهاد وطلائع الصبر في الجلال سيما النجدة والقوة والشجاعة والفتوة
ماظنوا أنه يرهب أهل البلد ويرعب ذوى البأس والجلد ، ولكن الأحد الصمد ثبت
أقدام أهلها حين شد القوم في حملها وتوغلوا بين أشجارها ونخلها ، فأرسل الله عليهم
السكينة والثبات ، فلم يكن لهم والله الحمد إلى الدل التفات بل صدقوا العالم الخفيات وخالق
البريات والسرائر والنيات ، فرموا أولئك الأشرار بمصيب البنادق بين النخل والأشجار
فكانت شهب الرصاص كأنها عليهم مرسلات أو من فوقهم منزلة فخرجوا هاربين سراعا
ولم يدركوا نفعا ولا انتفاعا ولم يستطيعوا حينئذ دفاعا ، وقتل المسلمون منهم خلقا كثيرة
وأوقعوا بهم جراحات غزيرة وأسقوهم من الأسف كأسا مريرة فانهزموا عنهم وارتحلوا
منهم بحالة ضريبة وذلة واضحة شهيرة ، فلم تكن بعد تيك لجميع الأعداء عين قريرة
ورجعوا كلهم خائبين قد أسفوا على ما قدموا أجمعين ، وأصبح أهل الإعانة محتزين
وعلى بذل المال متدبين وودوا لو أخرجوا إلى حين وصاروا بمن خسر الدنيا والآخرة
ذلك هو الحسران المبين ؛ ثم بعد تمزق هذه العساكر المجرورة وتشقت هذه الجيوش
الزهرية المكسورة وتفرق تلك الأجناد المذعورة قصد كل قبيل قبيله ونحى كل

في كل يوم يشنون الغارة على أمير بريدة وتؤذيه وبقوا أياماً لا تسرح لهم سائمة ولا تبقى لهم عين نائمة وبوادر الحرب كل يوم عليهم قائمة وفرسان ذلك الثغر لاستيلائهم رائمة ، فلم يجد أميرها راشد الدربي من الأسباب إلا بعثه إلى جذيع بكتاب يستعينه ويستنجده ، فلم يكن إلى ما يريد به يسعده فرجع منه الرسول بخيبة المأمول ؛ فلما جد به الحصار والضيق وضائق عليه مناهج التسديد والتوفيق لم يجد إلى سلامة عمره منهجاً ولا طريق ، سوى أخذ الأمان على عمره وحق به شؤم غدره ومكره فأرسل إلى عبد الله بن حسن يطلب لنفسه خاصة الأمان وخروجه من تلك الأوطان فأعطاه عبد الله ذلك بإعلان وبإعلان إلى مواجهة عبد الله بذلة وهوان ودخل عبد الله بن حسن وجماعته البلد فقتل من قوم الدربي كل من عثر عليه ووجد ، فقتل في ذلك اليوم والحين من أولئك الجماعة نحو الحسين واستولوا على جميع ما فيها من الأموال وتأمروا عليها عبد الله بعد الفراغ من تلك الحال ، وصارت تلك القضية وصدور هذه اللوحة السنية إتياناً لأهل القصيم وما فيها من البرية من غمرة الضلال الويبة الردية ، فأظهروا الإسلام ودانوا بجميع الأحكام ثم بعد مضي ذلك بأيام وليال وفد عبد الله بن حسن مع رجال من وجوه أهل القصيم على الشيخ وعبد العزيز لأجل المعاهدة والتسليم ، فتلقوا بأنهم إقبال ، وقبول وفازوا بأعم مطالب وسول ، وعاهدوا على الإسلام والقيام بالأحكام على التمام ، وأقر عبد العزيز كل أمير بلد في بلده أميراً وزادهم حشمة وتوقيراً ، وأمر عبد الله بن حسن على جميع بلدان ذلك الوطن لا يعارضه منهم أحد فيما أرادوه وقصدوه ، واستمروا على حالة مرضية سنين ثم تغيروا واقلب كثير منهم لأجل فتنة يأتي ذكرها بعد حين . وفيها غزا عبد بن حجاز مع جماعة من أهل الوشم فوافاهم بطين بن عريعر بأرض النبقية فقتل غالب أهل تلك السرية ونار باقيهم وسلم ووهى عز بطين بعد تلك القضية وهدم ، وتضمض أمره وخاله وتشتت عزمه وباله ، ونقم عليه لقبه أفعاله إخوانه ورجاله وأخذ سلطانه في الضعة والانحطاط وحق به أمر الله وأحاط . وفيها قدم زيد بن زامل على عبد العزيز في الدرعية فجاءت من غير إشعار ولا إخبار القضية ولا معاودة ولا أخذ أمان ولا مفاوضة ولا روية فلم يشمر عبد العزيز إلا بقدمه ومفاجأته له وهجومه مع أناس من أعيان قومه فبايعوا على الإسلام فتراضت تلك النفوس التي لشت في التكبر والإعظام وألفت في ذلك منهج آبائهم القدماء ، فدانوا بشريف تلك

ذي جيل جيله وعهد كل ذي وطن إلى وطنه وحن كل ذي سكن إلى سكنه ، فقتلوا قبائل المجمان وحملوا معهم على سريرته رئيس نجران ، وقد أرقعه المرض والأسقام وأضنت جسمه مواد الآلام ، وكان ذلك الرئيس في الشر قرين إبليس ، وقد قتل أولئك الهج من الناس مما يبدي لهم من حساب الرمل والتخمين والأحداش ، واقتن أولئك البوادي وساروا له بالأموال الروائح والأغادي ، فلم يشك أحد من جميع تلك الطوائف أن ذلك الرمال لأسرار الغيب حافظ عارف وعلى ما يحدث من المسكونات محيط واقف فكانوا إذا أرادوا القتال حملوه على سريرته في الجبال وقصدتهم بذلك الاستنصار ورفع ما يحفهم من الأصار فبات في أثناء انصرافه وشاهد جزاء سعيه وإسرافه تحسني عليه صرامة الحزن جميع أصهاره وأسلافه وفقد تلك السكينة والتنجيم كافة خلانته وألأفه ، وفاجأه وارد الحمام قبل وصول بلده وما فاز بمراميه . وفيها غزا سعود بالمسلمين فأغار على الضبيعة ولم يخرجوا إلى قتال ، فكان الرمي بينهم من بعيد وقتل من الكل بعض رجال فقتل من المسلمين موسى بن حماد وعبد الله بن غانم ثم انصرف المسلمون منهم ورجعوا عنهم . وفيها مات مشاري بن سعود وكان له في الجهاد مقام محمود . وفيها أيضاً غزا سعود متع الله تعالى به المسلمين فسار يريد بريدة ومعه آل عليان الذين خرجوا منها هاربين فجد إليهم المسير ؛ فلما وصل إلى قرب البلد ولم يشمر به من أهلها أحد لكونه نزل ليلاً بساحتهم وكان وقت هجعتهم وراحتهم فلم يستقر به القرار في أرض تلك الديار حتى عبأ جيشه وكينه وقام ينتظر الصباح وحينه ، فحين أسفر له منير ذلك الضياء وفرغ من صلاة الصبح وقضى نهض في إنجاز مآذيره ومضى ، وكان والله الحمد له في ذلك السعي رضى ؛ وذلك أنه شن الغارة عليهم صباحاً ، فلم يخرجوا إليه كفاحاً ولم يجدوا دون الحصار في البلد صلاحاً ولا ألفوا دونه مراحاً مع أنهم لم ينالوا من ذلك فوزاً ولا نجاحاً ؛ فأقام المسلمون على البلد أياماً وكل يوم يقع بينهم قتال ومراعى ، فلما أعيا المسلمين أمرها ، وجهد أهل البلد حصارها وحصرها ، ولم يبالوا بما نالوا من الضرر والإضرار ومنازلة تلك الجموع والحصار اقتضى رأى سعود أن يبني تجاههم للمسلمين حصناً يكون لهم ثغراً وأمناً ، فأمر ببنائه فبني في تلك الأيام وزيد في بنائه بجودة الأحكام ووضع فيه عدة من أهل الإسلام أميرهم عبد الله بن حسن ثم رجع سعود ومن معه إلى الوطن وأقام أهل ذلك القصر

الأحكام والتزموا بجميعها القيام وطلب عليهم كثير من أنواع السلاح وعدة من الخيل المطهمة الملاح، فلم يلقوا بذلك نجاحا ولا جناح، ولا رأوا به حوبا ولا بأسا ولا رفعوا للإباء والامتناع راسا، فأتوا سريعا بما طلب وأرسلوا بجميع ما أريد وكتب وحقق عليهم وحسب فلما وصل إلى عبد العزيز جميع المطلوب وأحضر لديه المقرر المكتوب أخذ منه جزاء الله خيرا بعضا وبعض تركه لهم رفضا مسامحة لقلوبهم وتطيبا وتأليفا لأولئك الأشرار وترغيبا.

ثم دخلت سنة التسعين بعد المائة والألف، وفيها قتل زيد بن زامل فواز بن عبد من أهل الحوطة، وذلك أنه أتى ابن زامل في بلاده لما أراد الله كرامته واستشهاده، فطلب منه المحاكمة للشرع وسرعة انقياده لمشاجرة بينهم سابقة، فلم ينقد له ولا وافقه بل نفر عنه ولاطابقه، وأنبه على ذلك الكلام وقال أنقاد في بلادى إلى الأحكام، وينفذ على في الشرع النقض والإبرام، وأنا رئيس من في هذه البلدة من الأنام فكيف أهان وأسام ويلوى عني وأضام؟ فجرد عليه صارما غير كهام، وجرتعه كأس الحمام، وارتنى برداء القدر وتسربل بالحزى والدل والإهانة، فلم يحصل له والله الحمد الإعانة، بل مزقه الله تعالى وأعوانه، وملك الله تعالى المسلمين ترأته ومكانه، واستولوا على ساحته وأوطانه واحتوا على رعيته وحيطانه، فسبحان من لا يعجزه شيء ولا يفوته شيء سبحانه، فلما صدر عنه هذا القدر والفتك وظهر منه هذا المكر والهتك وبلغ ذلك على الجزم واليقين عبد العزيز إمام المسلمين، أمر بغزو المسلمين عليه وإرسال الجند إليه، فجند المسلمون في الوصول إليه، فلم يلبث إلا قليلا حتى أحاطت به الجيوش في النزول ونزل بساحته الجحافل والخيول، فلم يستقر بهم هناك القرار، بل لم يقيموا بها شطرنهار حتى شمر للجلاء الساعد والإزار وحاقيه ما اقترب من الآثام والأوزار، وما صنع من العلو والاستنكاف والاستكبار، فهرب على ظهر فرسه مع ولده وبعض خواصه الأشرار، فدخل عبد العزيز وحزبه البلد فلم يفر منها على أحد، بل أعطى أولئك الأمان إلا أصحابا من تسدى وخان وماله من خاصة وأعوان، فأمر على جميع أولئك القوم والملا بالخروج عن تلك البلد والجلاء، وأمر عليهم سليمان بن عفيصان واستمر على ذلك شطر زمان وعليهم سيمة الإسلام والإيمان حتى أراد الله الرحيم الرحمن أن ينحطوا إلى حضيض الدل والهوان، وينخرطوا في سلك أهل الضلال والخذلان.

وفيها قدم أهل منيخ وأهل الزلفى على الشيخ وعبد العزيز لأداء السلام ونجديدا لعهد الإسلام، ووفد معهم سليمان بن عبد الوهاب ولم يكن له إلى منيخ رجوع وانقلاب، بل حسن له في الدرعية السكنى والمآب، فقبولوا بالقبول والإكرام والبشاشة، وكان من الشيخ إلى أخيه سليمان أعظم تحنن واهتشاءة، فذكر حديثا حيث وأراشه ووسع عليه قوته ومعاشه، وكان هذا شأنه مع غيره طيب الله في ضريحه مهاده وفرشه، فكان ذلك سببا لإتقاد سليمان وصدقه مع أهل الإيمان وتحقيقه بهذا الشأن، فقام في هذا الدين بتحقيق وجزم ويقين، وأقر على نفسه واعترف بما قدمه قبل وأسلف، ووفى بما عاهد عليه وما أخاف، ومات والله الحمد على حالة رضى بعد ما جرى منه وما مضى، فلم يوافه القضاء إلا بعد ما رفض ما كان عليه وانقضى. وفيها وفد أهل اليمامة وأميرهم البجادي حسن، فقدموا على الشيخ وعبد العزيز في ذلك الوطن جددوا للإسلام عهدا، وأرسلوا معهم معلما في ذلك البدأ وهو حمد العريفي، فسار معهم لأجل نشر التوحيد والتعليم، ومكث عندهم حتى صدر منهم ذلك الأمر العظيم والخطب الجسيم، وذلك أن أهل تلك القرية شرعوا ينسجون أردية القدر والقرية وينظمون أحوال الحياة والردة بلامرية، ويذبرون فيها مظلم الأراء ويديرون أسباب التعدي والاجترار ويحاولون الفتك بمن عندهم من أهل الدين، حتى اجتمعوا عليه يقيين وتعاهدوا عليه مجتمعين وتجاهروا به غير خفتين، فلما تحقق منهم ذلك حمد العريفي وابن داعج وعرفوا أنهم من غير شك يريدون الردة، وأنهم ينفونهم بالقتل غدا أو بعده خرجا منهم هاربين وكانا للسلمية طالبين، ثم بعد ذلك أسرعا إلى عبد العزيز بذلك الخبر، فأمر المسلمين فورا بالتجهز للغزو، فخرج سعود بهم وظهر وجد السير إليهم ليلا ونهارا لا ينسخ إلا وقت الراحة اضطرابا أو جنوح الشمس اصفرارا، حتى وصل إلى السلمية فألقى الرجال ووضع فيها من المسلمين عدة رجال، وأرسل إلى السلم والضيعة ونعيجان مرابطة كثيرة من أهل الإيمان خشية معالجة الردة والافتتان، وبقي أياما كثيرة يكتب أهل اليمامة من جهة تلك القضية، ويحث حسن البجادي على إخراج أهل الشر من بلاده والأعدى الذين صدرت منهم تلك السعاية، واجتمعوا على المسلمين بالفتك والنكابة، فوعده الامتثال والإخراج وليس دون ذلك من إرتاج ولا عن جلائهم من إفراج ولكن بعد ما ترحل عن هذه البلدة يعني السلمية

وتحط الأتقال في الدرعية وكان هذا منه خديعة ومكرًا وقد حاق به شؤم فعله قسرا، وما أغنى كيدته وما نوى بل حطه في قعر الإذلال والحزى فتوى، وذلك أن سعودا لما جاءه منه الوعود بأنه ينفي عن بلده الليمامة كل من لا يحسن له بها الإقامة ولا يعرف أهل التوحيد قبل ذلك إسلامه ولا تبين له قبل صلاحية واستقامة وبعد ما شرع في الارتحال تكون منا الطاعة والامتثال رضى بذلك منه وما جال في خلد ماصدر عنه، وما شعر أن وراءه من العذر نسجه، وأن بارتحاله تبدو له النتيجة، فحينما ما أخذ سعود في الارتحال والمسير شرع حسن مع جماعته لأسباب الردة في تدبير، فلم تنخ له في البطحاء الركاب وتحط الأتقال أولئك الأصحاب إلا والردة قد أحكت لها الأسباب ووجل إليها من كل باب وأظلم أهلها مدلمهم العقوبة والعذاب. وحاصل ماصدر وتحقيق ماجرى وظهر أنه خرج مع أهل النجدة من أصحابه وكافة رجاله وأحزابه يريد من في السلية من المسلمين، وكانوا بذلك الأمر مشعرين ولقدومهم مستعدين وللقائهم متأهبين؛ فلم ينور الصبح بالإسفار حتى نهجم أولئك الأشرار وكان لهم إلى حبل النخل البدار، وراموا أن يساقوا المسلمين على القلعة المسورة، فلم يكن والله الحمد لهم عليها مقدرة، فبذل دونها أهل التوحيد العذرة وأرخصوا ذلك اليوم الأعمار، وكان لهم فيه الغاية من الثبات والاضطبار، وطال بينهم القتال والسكل شمر الساعدوا الأذيال وأنف من المعرة والإذلال، وبذل في ذلك جده وجهده وتبين فيه أهل البأس والنجدة وأنجز الله تعالى للمسلمين وعده، فحمى الله تعالى عباده المؤمنين وصرف عنهم كيد المعتدين (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) فرجعوا على أعقابهم من حيث جاءوا وانقلبوا بالعار والحزى إلى مكانهم وفاءوا، وقتل من المسلمين اثنان ورجع أعداؤهم بالهوان. وفيها صاح إبليس بأهل الحرج وتنفس وسول لهم الخروج عن الحق ووسوس وزين في الارتداد منهاجه وحث على إغوائهم أعوانه وأفواجه، وأقبل عليهم بخيلة ورجله ركضا، فقاموا بذلك وأسرعوا إليه نهضا، وفتح لهم اللعين ذلك الباب وطرح بهم في مفازة الهلاك والعذاب وجمع عليهم من أنواع الدل أسباب، ثم نادى فيهم بالحرب والذهاب فقال: ليس لي إليكم رجوع ولا إياب، فقد صارت عقباكم الندامة، وليس لكم على ملامة. وحاصل ما جرى منهم من قبيح الأفعال وما وقع بهم من الإهانة والإذلال، أنهم لما حسنت لهم الردة وحقق كل منهم فيها قصده لم يجدوا قيا ورئيس، سوى قرين إبليس وهو زيد بن زامل، وكان إذ ذاك عن الأمر غافل وعباد بروه وراموه جاهل، وليس

(٧ - تاريخ نجد - ثان)

للرياسة حينئذ يأمل، فأرسلوا إليه بالقدوم فقد جاءك ما تريد وتروم، فأسرع إليه بالإياب فلمنى أنك بغير ارتياب، فلم يرعو إلى ذلك الباطل والأذى، وقال من رام هذا فقد وسوس وهذى ولا أقدم عليكم إلا إذا ولكن أرسل إليكم ابني وهو نائب فيكم عني ويقف على حقيقة الحال وما صار إليه المال، فخرج ابنه يريد الدلم ونوى ذلك وعزم، فلم يرعهم حتى قدم عليهم وهجم، فأرسلوا عند ذلك إلى آل صرة وكانوا قريبا منهم ليقضى الله فيهم أمره، وأعلم بذلك أيضا أهل الليمامة فعجل كل منهم بجيئه وإقدامه واجتمعوا يريدون للمسلمين الذين في البلاد وليس عندهم خبر بمن ناوا وكاد بل هجموا عليهم من غير تأهب ولا استعداد ووقع معهم في جوف البلاد المقاتلة والمقابلة والجلاد، قتل من المسلمين نحو عشرة رجال ونادوا غالب المسلمين من غير إمهال، وتفرقوا في بلدان المسلمين وبقى أهل الباطل في الدلم مجتمعين، ولما جاء زيد بن زامل ذلك الخبر وتحقق من أهل بلده ماجرى وصدر أسرع إليهم بالمسير والارتحال وقدم عليهم بعد مضي أيام وليال، وما تصور في ذهنه أنه يخرج منها بهوان وإذلال، ويعجل له الإخراج منها والجلاد والانتقال، وحين وصل خبر ذلك الأمر الصادر والفعل القبيح الهادر إلى إمام المسلمين متع الله تعالى به في تمكين جهاز إليهم سعودا وأصحابه وعجله في المسير وأحزابه، فجد السير حتى قدم إليهم هو ومن معه عليهم فأناخ في بلد السلية لأجل إخراج من فيها من رعية، فأقام فيها نحو يومين حتى تجهز للارتحال ونهيا منها للجلاد والانتقال جميع أهل التوحيد بسكينة وتأيد، ثم سار مرتحلا بعد ما نال منها أملا، وخرج معه من غير الرابطة حمائل كثيرة من أهل السلية بجميع ما لهم من أهل وحيوان وأثاث من غير تلبث ولا ارتثاق ولا مبالاة بذلك الوطن ولا أكثرات، بل هم لما عند الله محتسبون (وما عند الله خير وأبقى للذين آمنوا وحلى ربهم يتوكلون). وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى وأفاض عليه جوده دوالي يريد الحرج وآل مرة الدين فيها ومن ساعد على تلك الردة ومقوتها، فجد حرسه الله في ذلك يريد جميع من هنالك، وقد اجتمع في تلك الأراضي جميع من له في الردة ارتياض وعن له إلى بعثها انتهاض، وقد ملا تلك القيا في الفجاج من له في الباطل والزيف انتهاج، واحتسبوا في ذلك للقتال والمقاومة وتأهبوا للجلاد والسادمة، بل هم كل ساعة إليها في انتظار وليس لهم عنها بد ولا اضطبار، فتقرب

إمام المسلمين إلى الله رب العالمين بالدعاء بالنصر على المبتلين ، وحش إلىهم النجاشي وأعمل في النص الركائب حتى قاربهم حين المجود وكانوا عفاة رقود ؛ فعند ذلك عبر أهل القارة والسكين حتى أخذ الفجر يبدو ويستبين ، فلما انكشف غيب المنجى وزال وجد الضوء في الاشتعال ، وفرغ من سبحة الصبح شرع فيما كان فيه له السرور والنجح فأمر أهل القارة وغاروا فرجوا في سعيهم ومباروا وبادروا إلى أمره وناحوا فاستاقوا جميع الآبال وما كان لهم دونها إهمال ، فلما شعرت قبائل العرب والبادية أقبلت جميعها عليهم عادية ، فاختلطت الفرسان والأبطال وكان بينهم أعظم مجال وكان المسلمون قد وطئهم في مضيق شعب من الشعاب ، فلما نهدت إليهم أولئك الأعراب وعاجلهم بالفرز والانتداب ، فأمسكوا من الشعب المضيق ولم يكن للمسلمين فيه فسيح طريق ، فرمى من المسلمين بعض الناس وكان سبيل الحصول الضرر والبأس فانكشف أهل الدين وجد في ساقهم فرسان المبتلين ، وأخذوا يجاهدونهم ساقا والكل قد بذل فيه الطاقة واحتمى أهل الإسلام في ذلك المكان والقام وصبروا على مصادمة أولئك الفرسان الأجلاف وثبتوا لطعامهم في حالة الانكشاف ، غير أن المسلمين قتل منهم نحو الأربعين على سبيل الحسد والتخمين ، وفك أهل الباطل غالب الإبل واستاق المسلمون على عجل ، ورجع المسلمون إلى بلادهم ، وأكرم الله تعالى من تقدم باستشهادهم . ولما وصل عبد العزيز إلى الحائر جهز سرية إلى الجيمة ثمانين راكبا ففعلوا فيها إبلا ثم رجع كل إلى أهله آتيا ، وقتل من المسلمين الشهورين عبد الله ابن حسن أمير القيصم وهذلول بن نصير .

ثم دخلت السنة الحادية والتسعون بعد المائة والألف وفيها غزا المسلمون وأميرهم سعود يريد الحرج ، فذكر لأهل تلك البلاد أن هنا غزوا للمسلمين ، فتأهبوا له في الاستعداد ونفر منهم كل جرى الفؤاد ومن مارس الحرب والجلاد ، فخرجوا إلى لقاءه قبل غارته واعتدائه ، فتوافق الفريقان وتصادف الجمعان في أرض السهبا والكل منهم قد روض على الصبر قلبا ورام لعدوه استيلاء وسلبا ، وقوى جأشه حتى ينال غنيمة ونهباً ويفك نفسه مما أحاط به داهية وكربا ، فطال بينهم المجال واستحضر القتال والقتال وقتل من الكل رجال ، ثم حصل بعد أن جهد كل منهم الانفصال ورجع كل إلى بلاده ولم يحصل على نيل مراده . وفيها غر على أهل سدير ومنيع بنسج أرد

الردة ويرود ، وسعابة في فتح بابها الریح السدود ، وتبين من أناس فيه قيام وعود ، وأتى الشيخ وعبد العزيز الأمير من حقق له ذلك النسيج والتدبير ، وحقق له أن ينشد على لسان التحذير :

أرى خان الرماد وميض جمر ويوشك أن يكون لها ضرام
فإن لم يطفها عقلاء قوم يكون وقودها جثث وهام

فلما أعلم الشيخ وعبد العزيز عثمان بن عبد الله بن قام فيها وقعد ، جهز عبد الله ابن عبد الله في السير إلى تلك البلد ، فسار في يومه ذلك ونهد ؛ فلما وصل عبد الله ومن معه من المسلمين إلى بلدان سدير ومنيع ، أمر على الحسيني وعبد بن إبراهيم وحمد ابن عبد الله من أهل حرمة ومن أهل سدير صعب بن مهديب رئيس الحوطة ومنصور ابن حماد رئيس العودة وعياله بالجلاء عن ذلك الوطن الذي نوا به إيقاع الفتن ، ليكون تلك الأمور المسطورة والأحوال المشهورة المزبورة جميعها منسوبة لهؤلاء الجماعة المذكورة ، فأتى بهم إلى الدرعية لأجل نسخ تلك القضية ، فلم تقم أولئك الغزاة في الأوطان بل بادروا بالخروج إلى الحرج بإعلان ، فجد عبد الله بن عبد الله بن عبد الله من المسلمين في ذلك المقصد ففاز بالمكان الأسعد ، وذلك أنه صبح الدلم بالقارة وأشعل فيهم ناره ، فقتل ستة رجال وعقر عليهم كثيرا من البقر والآبال . وفيها نارت للردة في حزمة نائرة وأضرمت للحرب نائرة ، وذلك أن ذوى القلوب الشريرة الفاسدة والأفئدة المغولة الحاكمة ، والنفوس التي هي للمسلمين في الحقيقة حاسدة ، وللحق منكرة جاحدة حصل بينهم تواطؤ وتوافق وتساعد وتطابق على إشعال نار الردى وإطفاء مصباح الهدى ، فصارت منهم الأيمان والمعاهدة والحلف والمعاقدة ورئيسهم في ذلك العذر وناسج أردية الحياة والمكر جويسر الحسيني ، فوطأ لقلوبهم وسا سدير وهم سويد بن محمد وآل ماضي وحمد بن عثمان على العذر بأهل الإيمان وأن أهل كل بلد تقتل من المسلمين من بها قام وقعد ، فأعطوه على ذلك ما أراد وأطاعوا له بالمراد ، فلم يكن لهم والله الحمد عون ولا إسعاد ولا ظفروا برشاد وخابوا وأبوا بسخط رب العباد ، فلما أرادوا أن يبادروا بالإنجاز وبما جلاوا الفرصة بالانتهاز الأسلاوا إلى كبار المسلمين الذين في الجمعة أن يأتوا إلى حرمة يعلون ، فهنا متعلون واستمعة ، وقد انتظم العقد والإبرام وأتقن مرادهم بالإحكام على قتل أولئك الأقوام ،

ولكن أراد الله تعالى إذلال أولئك العتاة اللثام ، فلم يجي أهل الدين والاسلام ولم يحصل منهم إلى حرمة إقدام ، فجاء أهل الدين والإسلام إلى حرمة وهم محمد بن شبانة ومحمد بن عثمان الثميري وكنعان بن عيسى وغيرهم ، فلما كان لهم الحجي والإقدام أرسل جويسر ومن معه من الأقوام إلى أميرهم عثمان بن عبد الله ، وكان في نخل له يعلمونه بقدم تلك الجماعة ويودون تعجيله وإسراغه ، وقد أعدوا له ستة رجال لقتله ساعة الحجي والإقبال منهم أخوه خضير وابن عمه عثمان فتكفلوا لهم بذلك الشأن ؛ فلما قدم يريد البلاد وكان أولئك له في طريقه بمصراد ، ولقتله في تأهب واستعداد ، قاموا عليه فقتلوه ونال جويسر وقومه منهم ما أملوه ، ثم بادروا إلى حبس من عندهم ومن استدعوه ومن قصدهم وهم محمد بن شبانة وكافة إخوانه ، وشمروا إلى الجمعة الأذبال وخرجوا يريدونها بلا إمهال ، وغايتهم قتل من بها من المسلمين وإمساك قلعتها للتحصن والتحصين ، فلم يصلوا إلى فنائها بالإقدام حتى كان لأهل الدين من في البلد إلى القاعة سرعة وإقدام ، فأقاموا مدة يحاولون الولوج فيها والدخول ، فلم يكن لهم إلى ساحتها وصول ، فرجعوا منها بخيبة السؤل ، وأرسل أهل الجمعة بعد انقضاء القضية إلى عبد العزيز رسولا على مطية يخبره بما صار ، فعجل إليه التسيار حتى وصل إليه الخبر عن الواقعة ثاني نهار ، فأمر سعودا والمسلمين بالتجهز بمجتمعين فجد سعود لنيل المقصود وبادر في الأهبة في الحال وخرج على غاية الاستعجال ، فلم يلق عصا الاستراحة حتى كانت حرمة مناخه ومراحه ، فطنب على تلك الهضاب رفيع تلك الحيام والقباب ، وبني عليها أياما مقبها وكل يوم يناولون من القتال أمرا عظيما ، لا ينفكون عنه ليلا ولا نهارا ، والكل يبدى على ذلك الجلد والاصطبار ، وقتل بينهم من الرجال ذوو عدد في تلك المصابرة والأمد ، فلما جهد الحصار أهل البلاد وأضنام القتال والجلاد وتحققوا أن سعودا لا يكاد ينصرف عنهم بغير المقصود ، وأيسوا من باطل الوسائس والآمال وجزموا أنهم لا يحصلون على طائل ولا حال ، طلبوا من سعود الدخول في الإسلام والإقبال وأبدوا له الندم والأسف والإذلال ، فأسقط عنهم النكال ، وتلقاهم بالقبول وكان لهم إلى مرامهم وصول ، واشترط عليهم أن ينقوا جميع الأشجار وهو جويسر الحسيني فأسرعوا في البدار فبايعوه على الإسلام والتزموا له جميع الأحكام ، وأمر عليهم ناصر ابن إبراهيم وأطلقوا محمد بن شبانة وإخوانه الذين معه ، ثم لما عزم سعود على المسلمين

والإقبال عزل رئيس الجمعة ، فأمره وأهله بالارتحال لما صار منه من تلك الأفعال ، ثم لما وصل إلى جلال عزل سويد بن محمد عنها فأمره وأهله بالانتقال منها ، وأمر في الجمعة عثمان بن عثمان وفي جلال ضويحي بن سويد ، وسار رئيس الجمعة إلى القصب وأقام فيها وقصد سويد شقرا ، ورجع سعود بمن معه من المسلمين ، ثم أمر عبد العزيز على حمد بن عثمان وسويد بالحجي إلى الدرعية ، فكانت لهم سكن والكل نوى فيها حتى مات فظعن . وفيها سارت للمسلمين فرسان يريدون التارة على الدلم ، ففضى الله تعالى وحكم أن أهل الحرج يوافقونهم قبل الإراكة ، فلم يسع المسلمين الانصراف والانقراكة بل كل أمل من عدوه مرامه وإدراكه ، فحالت تلك الفرسان وجرى بينهم الطعان وقتل من المسلمين منيف بن نصير وابن شهبى وأصيب من الحرج عدة رجال ورجع المسلمون بعد ذلك الحال .

ثم دخلت السنة الثانية والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم عبد العزيز حرسه الله تعالى يريد الدلم وقد صمم على حصارها وعزم ، فجد السير إليها حتى أتاه عليها وكان وقت لذة الكرى فما أبصره أحد ولا درى ، فتوهل بعض الحلال ونال منها المراد والأمل وبقي ينتظر الصباح حتى يحصل له من مراده النجاح ؛ فلما أسفر ضوءه ولاح وفرغ من صلاة الإصباح نهده إلى الحرب وأشعل جمرة الطعن والضرب وأحاط المسلمون بجميع تلك الحلال وأحكموا الأسباب لأخذ الآراء والعمل ، وما يشعرون أن أهلها يمتنعون إلى حين (وأمل لهم إن كيدى متين) فجدوا إلى تحصيل الطلوب وإدراك النى والمرغوب ، ولم يحيطوا علم بأن ذلك غير مقدر لهم ولا مكتوب ، فأرجف أهل البلاد وأيسوا من أنفسهم في مصابرة الجلاد وطمع أهل الإسلام في الفتح لما عاينوا من علامات النصر والنجاح ، وذلك أن أهلها لما خرجوا لقتال المسلمين ونهضوا إليهم ضحوة مجتمعين والتقوا معهم في تلك الحلال فكسروهم الله تعالى وهزمهم على رجل فولوا سراعا على غير مهل فعند ذلك داخل أهلها الدلم والحلل وملا قلوبهم الرعب والوجل حتى إن بعض أهل تلك الأوطان طلب لنفسه الأمان ولكن أمر الله غالب ولا يفوته سبحانه هارب ، وكان من قضاء الله تعالى للقدر وحكمه النافذ المراد أن زيد بن زامل كان ذلك اليوم في الإمامة عند أولئك القوم ، فلما سمعوا الرمي في تلك البلاد فزع هو ومن فيها من العباد ونهضوا إلى ذلك سريعا وأقبلوا جميعا وكان

غالب مقاتلة المسلمين بأهل تلك البلد يهبطون ويحللهم محققين وطلّى أخذهم مشرفين ، فانصب زيد ومن معه على محطة الجيش المجتمع من غير فكرة ولا خبرة ولا اختبار ولا تدبر ولا استخبار ، بل قضاء الملك القهار وقدر ميسر من الأقدار وذلك أنه عدل من المحلة التي يسمع بها اللفظ الأصوات وعليها المقاتلة والرماة ورام أن يدخل البلد من الباب يظن أن ليس هنالك أحد ، فإذا الجيش بجذائه نازل بقربه وفنائه ، ولم يشعروا إلا بالجلبة والصياح وتشريع أسنة الرماح وإطلاق أعنة الجياد الملاح ، فاندعر الجيش وطاش واندحش حيرة وارتعاش ، وأخذ زيد من ركاب الجيش نحو الحسين وقتل حينئذ بعض المسلمين ، ثم اجتمع المسلمون وتزاجعوا سريعا وتلاحقت مقاتلتهم جميعا وقربوا إلى البلاد كافة وخرج أهلها للقتال بعد الدلة والخافة ، فوقع بينهم في تلك الساعة قتال وقتل بينهم رجال ثم بعد ذلك وقع التفرق والانفصال ، وسار عبدالعزيز حرسه الله تعالى ومن معه من المسلمين فأنخوا على نعجان أجمعين ، وبقوا أياما لها محاصرين حتى فتح الله تعالى على المسلمين منها بعض الحلل فأخذوها وفرا أهلها على عجل وقتل فيها رجال وفاز المسلمون بكثير أموال ورجع المسلمون إلى بلادهم وقد أكرم الله نحو العشرين من المسلمين في تلك الغزوة باستشهادهم ، وقتل من جميع أهل الخرج فيها قريب من ذلك . وفيها نزل سعدون بن عريعر الخرج وأرسل لعبد العزيز يطلب الصحبة فواقفه على ذلك وشرط عليه أن لا يقرب البلد إن قصده مكر وخديعة يزين لأهل البلد الردة ، ثم بعد ذلك نزل مبايض فبان قصده فنبذ إليه عبدالعزيز عهده ، فأقام مدة ثم خاف من المسلمين فارتحل في القميط وتوعر في مضابة الدهنا والصمان وتوسط فيها ذلك الزمان قتاله وقومه أعظم النصب وتعبوا أشد التعب ومات ما عندهم من الأغنام وكابدوا طلائع الحمام وأوهن الله تعالى كيده ومارام .

ثم دخلت السنة الثالثة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عزم أهل حرمة على الردة ونووا وخلعوا ملابس الدين وطووا ، ونشروا للخيانة والردى علما وسعوا إليها أمما وهيشوا لأسبابها وفتح بابها أمرا محكما وعقدوا رصينا في زعمهم الفاسد مبرما وذلك أنهم أرسلوا إلى سعدون رئيس بني خالد بما دبروه فكان على ذلك الشأن واجد وعلى القيام فيه والنصرة له مجد مساعد ، فاستدعوا أيضا أهل الزلفي فكان كل منهم على ذلك مستلقي ولا إنجازه كل حين منتظر مشق ، فلما لياهم أولئك الأقوام وأجابوهم على

المساعدة في ذلك المرام ، وأوعدوهم على يوم من الأيام ينفذ فيه ذلك الإبرام ، ويصدر فيه المقد والأحكام وتراق فيه دماء ذوي الدين والإسلام ؛ فلما قرب سعدون من البلاد وتحققوا لإنجاز المرام وعرفوا أنه يصبحهم غدا عند أهل الباطل والردى فآلبسوا أناسا منهم ثياب النساء النوانى ، وأمرهم أن يسيروا إلى الجمعة من غير توائى ، ويصعدوا إلى بروج القلعة حتى يدهموا المسلمين في البلد ثم تكون لهم فيها منعة فلما بادروا إلى ذلك الأمر وهجولوا لنيل ذلك القصر وصعدوا إلى تلك البروج فأمسكوها حتى بدا من جماعتهم الحبيء والخروج ، فتنبه أهل الدين لكيد المعتدين فسددهم الله تعالى وأعانهم وخذل تلك الطائفة وأهانهم فلم يظفروا بمرام وتقض الله تعالى جبل ذلك الإبرام ، وأقبل سعدون بن عريعر وبني خاله وأهل الزلفي وأهل حرمة فأنخوا على الجمعة أياما وحاصروها وراموا بها من القنك مراما ، وكان تلك الأيام حسن بن مشاري مقيا في جلاليل مع جماعة من المسلمين ، فلما حاصر أهل الجمعة أحزاب البيطليين نهده هو ومن معه إلى الجمعة ليلا فكانوا لأهلها مسددا ونالوا بهم نبالا وأقامت أولئك القبائل والأحزاب في حصار للبلد وإضرار وخراب وعمدوا إلى قطع النخيل والأشجار رجاء أن يدين أهلها إلى السلم والنزولة والانحدار إذا شاهدوا هذا الإضرار ولا يكون لهم على ذلك صبر ولا قرار ، فثبت الله تعالى المسلمين وأوهن كيد المعتدين وكان أعظم من امتحن في ذلك الأمر قبل وبعد فبذل في ذلك غاية الصبر والجهد ، وأوذى فيه وابتلى وصدر عنه في القيام ذلك الأمر الجلى أحمد التويجى رحمه الله تعالى ؛ ولما وصل عبد العزيز الخبر عن ذلك الحال وما دبره أهل الباطل والضلال وما اجتمعوا عليه من الردى أمر بالنفير والمسير على ذوي الهدى ، فخرجوا بعد الاستعداد والأهبة ولم تكن لهم سوى الأحزاب مراد ولا طلبة وأمر عليهم عبد الله بن محمد فأسرع إلى ذلك الأمر واتجد ؛ فلما وصل الخبر إلى تلك الأحزاب أن المسلمين في قدوم وإياب وليس لهم غيركم طلاب ، عاجلوا بالارتحال وبادروا للمسير باستعجال ، وشعروا في الرجعة والانقلاب ولم يظفروا بما راموا بحسن مأب ؛ فلما وصل عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين إلى حرمة وكانوا إذ ذاك نائمين ، فعبا الجيش والسكريين ، فلم يسفر بضوءه النجر وتقض صلاته ذات القدر حتى أخذ كل حزب مكانه وثبت على القتال جنانه ؛ فلما شعر أهل البلاد بما دهم ساحتهم من العباد وما حاط بهم من الهلاك والحلم والآنكاد

انذعرت قلوب ذوي الشر والفاد وارتعش منهم اللب والفؤاد وتمنوا أنهم لم يكونوا لما قدموا فاعلين (ولا يرد بأسمه عن القوم المجرمين) فأحاطوا بهم من كل ناحية وجزموا عند ذلك بنزول الداهية ، فأقام المسلمون لها محاصرين ولفتحها آمليين ، كل يوم يهدون إلى القتال والقتل ويحذون في تقطيع الأشجار والنخل ، فقطعوا نخل المويس جملة ولم يكن قطع غير بغير أناة ولا مهلة ، فأيس من الأعمار من في البلد من الأشرار وزل بهم الجهد والحصار وأزعجهم ذلك التخريب والدمار ، وآخر يوم القتال هجم عليهم المسلمون فيها من بعض الأقطار ووقع بينهم الجلاذ والجلد والاصطبار ، وبذل المسلمون عند ذلك النفوس الغالية وآثروا الباقية على الفانية ، وقتل من الأشرار من منيته دانية وهم عشرة رجال كل بالغ حده في الشر والضلال منهم مدبج المي ومحمد بن إبراهيم ، ثم رجع المسلمون إلى بلادهم وأبقى عبد الله بن محمد رجالا من المسلمين وخيلا في الجمعية حتى ينال أهلها بذلك عزا وتحصنا ومنفعة وليضيقوا على أهل حرمة المعاش فلا يكون لهم إليه سبب ولا انتعاش . وفيها في شهر رجب غزا عبدالعزيز يريد السلية فلما قاربها شعر به من بها من البرية ، وانصرف راجعا بعد ما كان بها طامعا ولم يصدر منه على أهلها منازلة ولا غارة لأمر اقتضاه رأيه واختاره وتهد من ساعته في ذلك الطريق لإرادة الله له بالتوفيق ، فجد السير والمسير يريد فرقاطا في أرض عروى نجد من مطير ، فصباحتهم فرسان المسلمين والإسلام واستقبلتهم مقاتلة أولئك الأقوام وحمل بينهم الطعان وثبت الله أهل الإيعان ، فشدوا عليهم وصمموا الجملة إليهم فولوا هاربين وأخذوا تلك الأسلاب أجمعين وحازوا من الآبال فوق المراد والآمال ، ثم رجعوا إلى بلادهم من غير إهمال ، وقتل من المسلمين ثلاثة رجال منهم عدامة بن سويري . وفيها غزا سعود أسعده الله تعالى وأفاض عليه بره ووالى ، فسار بالمسلمين يريد حرمة ويرجو الله أن ينزل بهم البأس والنقمة فجد السير إليها ليلا ونهارا فلم يجد دونها قرارا حتى أناخت تلك الجموع المؤيدة المنصورة بساحة تلك الطوائف المكسورة ، وأقام أياما عليها كل يوم يهد للقتال إليها ويقع بينهم جلاذ وقتال وتقتل بينهم رجال في كل جولة ومجال ، فصابرهم على ذلك أياما وليال وهم في غاية من الذل والإذلال ، واستولى المسلمون على النخل وحللها فأيس أهل البلد من رجائها وأملها وضيق عليهم بعد ذلك أهل الإسلام واحتكك عليهم قضاء ذلك المقام وحق بهم قضاء الملك الملام

وتحققوا أن البلد يدخل عليها من أقطارها ، وقد ذل جميع حمايتها وأنصارها ، فلم يجدوا منها من يتهجون ولا عوناً يرتقبونه ويرتجونه سوى النزول على الإسلام وحقن دماء أولئك الأقوام وإزالة ما يحش على أهل الدين ويحذر ، فدأبوا بذلك وثبت الله الأمر وتقرر قتلوا وعاهدوا واشتروا من سيعود جميع ما في البيوت من الأموال والطعام وتعاقدوا ، فأمر بهدم جميع القه ور وإزالة ما فيها من الدور ومجلاء آل مدبج كافة فطاروا إلى البلد من الخفاة ، فأضحوا على ما أسلفوا من الأعمال متندمين ، (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين) .

ثم دخلت السنة الرابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى نصرا وتمكين ، فحث الأعوجية والحياد وقصده الزلفى لأجل ما جرى منهم من الفساد ، فشر إليهم السير وفاجأهم قبله النذير فلم تصل إليهم تلك الجيوش والأجناد إلا وهم في غاية من الأهبة والاستعداد ، فشمروا الإزار والدليل ، للخروج إلى لقاء غارة الخيل ، فاتهزوا لذلك واتدبوا وأسرعوا إلى مطاعتها وطلبوا فانتحمت الفرسان واستمر بينهم الطعان وقتل بينهم رجال في ذلك المعرك والمجال ثم وقع منهم الانفصال ، ورجع سعود ومن معه من المسلمين إلى بلدانهم أجمعون . وفيها غزا المسلمون وأميرهم عبد الله بن محمد ، فسار بالمسلمين إلى الزلفى وقصد فأعجل الركائب في نيل ما هو طالب فلم يصل لذلك المحل حتى سبقه النذير على محبل ، فكانوا متأهين للقعود ، وكل يوم ينتظرون الهجوم ، فلما أغار على تلك البلاد لم يحصل له منها مراد فانصرف عبد الله راجعا ، فلما وصل إلى رغبة رجع مع أهل العارض ورجع أهل ندير وأهل الوشم يريدون بلدانهم وإذا سعدون بن عريسر مع جموع بني خاله لم مواف معارض ، فألبقت عليهم تلك الجيوش والجموع ولم يكن أحد منهم مسلما ممنوع ، فحالوا على جميع ذلك الجيش وسلم الله تعالى من له بقية من العيش ، ونارت خيول المسلمين وولى الباقي فرسان المبطلين ، وقتل من المسلمين نحو من الثلاثين منهم حسين بن سعيد أمير العودة وعبد الله بن سعدان من كبار أهل شقرا ، وفي ذلك اليوم غارت خيل لبني خاله على فريق من المسلمين سبعان فاذا عندهم أناس من أهل ضرما يرفون من غزو عبد الله ركائب وفرسان ، فحين غارت خيول بني خاله خرج كل شهم شجاع مجالدا لهم ساعة وزمانا وأسر المسلمون منهم فرسانا منهم سعدون بن خالد وفدى نفسه بثلاثة آلاف زر أضحي لغالبها ناقد . وفيها سار سعود بالمسلمين

يريد الخوطة نجد السير إلى تلك البلاد وأعمل في ذلك غاية الاجتهاد ، فأناخ وسط الليل حولها ولم يشعروا بذلك أهلها فرتب أصحاب الكمين وأهل الجيش أجمعين ، فلم يضيء الفجر بإسفار ويخرج أهل الحاجة للانتشار إلا والغارة غادية وغرر الجياد عليهم بادية والأصوات عالية بعد ما كانت هادئة ، فأسرع الخروج أولئك الأقوام وكان لهم إلى اللقاء إقدام ، فطال بينهم المجاورة والاتحام وكل ارتدى برداء الصبر والاعتزام ، وقتل من أهل البلد في ذلك المجال خمسة عشر من الرجال ، وقتل من المسلمين بطي المطيري ، ورجع المسلمون إلى بلادهم .

ثم دخلت السنة الخامسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار المسلمون وأميرهم سعود بلغه الله تعالى المنى والمقصود ، فحث على السير جواده وركابه ، وكانت الدلم مراده وطلابه ، فتوغل في تلك الأراضي وقد هدأت بلدة الإغماض ، فعند ذلك قام في أداء أكيد الاقتراض من التهيئة والتعبئة عند إرادة الانتهاض ، فلم يكن له عن ذلك صدود ولا إعراض ولا انحراف ولا ميل إلى الراحة حتى أشعل الفجر مصباحه ، وركض الصبح على الدجى وبدره بعموده وبخا ، فعند ذلك أذن للكتوبة وسأل الله تعالى فيها أن ينيله مطلوبه ؛ فلما فرغ من صلاته نهدي إلى تبيثاته وأخذ الكمين مكانه وحرص على الصبر جماعته وإخوانه ؛ فلما أخذت الشمس في الإسفار كان له إلى الغارة البدار وقبض جميع من في الدلم من القاتلة وراموا الجلال والمقابلة ، فأورث فيهم أهل التوحيد والإيمان مشعل النيران وأرووا من نحورهم أسنان المران ، فطاشت لذلك قلوبهم وزاغت أبصارهم ووعبت كفاتهم وأنصارهم ، فولوا عند ذلك الأدبار ، ولم يكن لهم على ذلك الهول اضطبار ، وانهمزوا على أعقابهم مدبرين وبرحوا في بلادهم متحصنين . وأقام المسلمون أياما في قتالهم وحصارهم مجتهدين في حربهم ودمارهم كل يوم يصاحبون قطع نخيلهم وأشجارهم ، فقطعوا خضر بن عشبان في ذلك الزمان فحرتهم الدلة والمهوان وعلتهم هموم وأحزان وقتل منهم في ذلك الوقت والأمد رجال من غير حصر وعدد ، ثم إن سعودا حرسه الله تعالى نوى بناء قصر في ذلك المكان ويجعل فيه من أهل الدين والإيمان من يضيق على أهل تلك الأوطان ، وصمم على ذلك الرأي والبنا ، فقال بذلك الرفعة والثنا ، وقد كان بذلك الرأي والده مشير ، وهو مبارك المشورة مسدد التدبير ، فرفع قواعد بدع الحق الشامخ العال ، فكان لله الحمد سببا لهدم بدع النقي والزيف

والضلال ؛ فلما فرغ من بنائه وإتمامه وقضى من تشييده وإحكامه ، وضع فيه من الأبطال عدّة ، وجعل فيه خيلا ومن آلة الحرب عدة ، وكان جميع من فيه ذوي بأس في اللقاء والشدة ، وصبر عند الإقدام ونجدة ، وأمر عليهم محمد بن غشيان وكان ذا شجاعة وحدة ثم انصرف سعود راجعا وفي يده راغبا طامعا . وفيها غارت من المسلمين خيل من قصر البدع فتوافقت مع خيل لأهل البجامة ، فجاولوا معهم ساعة فقتل للمسلمون فرحان بن راشد البجادي وجرعوه حمامة . وفيها ارتد جديع بن هذال بعد ما ادعى الإسلام وعاهد وكان عليه من إقبال ، فولى هاربا وفي الضلال راغبا ونهجه طالبا فأراد الله أن يوافقه مطير في ذلك السير فناوخه أولئك العربان ، وقتل جديع وأخوه وثلاثة معهم فباءوا بالخسران . وفيها حزب أهل البغي والعسدوان وذوو التعدي والطغيان على قصر البدع الذي فيه ابن غشيان ، وذلك أن هذا القصر لما أسس وبني واهتم بأمره واعتنى ، واختير من الرجال حماه وفرسانه والرابطون فيه وسكانه ، فكانوا أولى بأس شديد وإقدام ليس في اللقاء عليه مزيد ، ومصابة في الطعان والإقدام وعدم الخوف من الحما ، ولم يتبين من أحد منهم في اللقاء إحجام ، وكانوا في غالب الليالي والأيام يعدون على أهل الحرج وينالون منهم اللرام ، ويقعدون لهم المراصد ويأخذون كل قادم وقاصد من الأقارب فضلا عن الأبعد ويقتلون كل صادر ووارد ، واستمر عليهم ذلك الحال وتجرعوا منهم غصص الوبال ، وأقاموا في أكسف بال لا يطعمون لذة المنام في دياجى الظلام ، قد حاربوا الرقاد وصالحوا السهاد والحرب توقد عليهم غاية الانتقاد ، فلما سقمت منهم الأجسام وضاق عليهم في بلادهم المقام وحالت وجوههم ذلك الزمان ، وتغيرت منهم الألوان وضوت منهم الأبدان ، وعميت عليهم مناهج الحيل وسدت عليهم مناهج جميع السبل ، ولم يلقوا في إزالة ذلك القصر سبب استعانوا في ذلك بأفكار العجم والعرب ، حتى جاءهم شخص من تلك النواحي بمن تسمى بالمعرفة وانتسب ، فشكوا له حالهم ومصائبهم وما نزل بساحتهم وأصابهم ، فقال : ثكلتكم الأمهات وعدمتم الترفهات معشر الحق والسفاهات وأرباب الجهل والترهات ، لم تلدكم النساء للحروب ومكافات الخطوب وإعمار دتم للغى والهوى والبطالة ، فلمستم مساعير الحرب ولا رجاله ، أغرتكم من هذا القصر أحزان حتى ذهب منكم اللب والجنان ، أغشيتكم منه الدلة والمهوان وتشبهتم بالقواني ذوات الأخدان وتلفتم بمروط النسوان ؟

فقالوا سبحان الله يا أخا العربان : كيف ينطق بالتأنيب منك لسان وتسرع إلينا بهذا الإغلاظ والهديان ونحن الكفاة الشجعان ؟ ولكن قد التفت حلقتا البطان واحتكتك علينا الأوطان ، فقص أن يكون للراحة منك يدان . فقال :

بشراكم بالفرج فما بكم من حرج سوف أريك فكرة ليس بها من عوج
وتبصرة وهمة تلقى العدا في رهج إذا رأوها ذهبت قلوب تلك الهمج
أبدى من العز لكم غرار فيع الدرج ففكرتي منقادة وقادة كالسرج
فقد تولى عنكم غيب خطب مزعج وجاكم مرادكم فأصبحوا في بهج

فقالوا دعنا وهذه التعممة واتركنا وهذه الجمجمة ، فبين لنا بالإفصاح حتى نفوز بالأرباح فقال آتوني بأقوي الأخشاب حتى أصنع لكم ما بقي من الرصاص من الأبواب ، وأجعلها مثل الصندوق وأعلاه مطبوق ، والرجال فيه مداريع وبأيديهم المفاتيح والمصاريع ، ويحمل ذلك الصندوق على عجل وأهله فيه قعود على مهل ويدفعونه أولئك القعود فيسير بالدراريج غير مردود ، فإذا وصل إلى السور يفتح ويحصل المراد وينجح فيهدم السور وينقض ويوهى أساسه وينفض ، وترى أحجاره وتقتل بعد ذلك أنصاره وتدخل فيه الأجناد ولا يبقى فيه أحد من أولئك العباد ، فلما أخبرهم بهذه الحيلة وقاه ، أقبل منهم كل يقبل فاه ، وقالوا (إنك اليوم لدينا مكين) فاحكم بما تريد من أموالنا وتستكين ، فقال : ذلك بعد ما يتم المراد ويحصل لكم الإسعاد ، فعبجوا إلى بالأخشاب والأعواد ، فأسرعوا في الاستعداد وآتوه بما طلب وأراد ، وشرعت الصناعات تصنع في الحديد وأقاموا على ذلك أياما بلا تعديد وهم في تعب شديد حتى فرغ من أمره ذلك الشيطان وأبرز كيده من غير توان وقمديه أناس متدرعون عتاة مرده وأخذوا يدفعونه ويعطى مقوده وهيثوه إلى السور ومرصده ، فلما توسط في الطريق عند القصر ومشهده أبي إلا الوقوف ، وكأنه عن المسير مصروف ، فعجل الله لكثير من فيه الجثوف وحاولوا في ذلك أعظم حيلة ، فلم يكن إلى ما راموه وسيلة وقالوا قد زال الفرج وجاء الترح إن بقي هذا العجل في هذا المكان والحل هبط من في القصر ونزل فقادوه علينا وأوصلوه إلينا ، فكنا كمن ألقى نفسه في الهلاك ووضع لإتلافها جباله وأشراك ، وكان القوم الذين فيه لا يقدر على رده ومن جاء من الأحزاب قتل قبل أن يصل إلى حده ، فخاروا وخاروا وخسروا وباروا ويوم تعدوا وجاروا ، وبقوا

ساعة وزمانا يمانون هما وأهزانا ، وقد تسربلوا بلباس الإحجام وأبنت أن تسير إلى ردة الأقدام حتى جرى بينهم عتار وملام وتنادب وبكاء بدموع سيجام ، فانتدب له رجال وناداه بعض منهم وقادوه قريب الحال ، ثم بعد ذلك شبوا عليه النار وقالوا لا نستطيع تشاهده منا الأبصار ، فلما غربت الشمس ذلك اليوم وأقبل الإظلام أصبح أهل الحريق والحوطة وأهل الخرج بالتمام وساروا يريدون الهجوم على القصر والصعود وقد تعاهدوا على ذلك بالآيمان والعقود ، فوالوا إليه بالحامل والكل للصعود آمل ، فنزعوا في الرقي والصعود ، وقتل منهم جمع غير محصور ولا معدود ، وبذلوا جلد الاجتهاد فلم يشفوا بمراد ورجعوا وقد قتل منهم خمسة وعشرون وباءوا بالخزي والهون ، ثم لما أعياهم ذلك انقصر وعناهم ونكد عليهم معائشهم ودنياهم وحاروا في أقصاهم وأدناهم ولم يحصل لهم فيه مناهم حدد منهم جماعة من آل زامل وآل بجاد إلى سعدون بن عريعر في تلك البلاد وطلبوا منه المساعدة والإسعاد ، فأجابهم إلى ذلك المراد فتواعدوا على الخروج معه ، فخرج بعد ذلك هو والبدوان ممن تبعه ونزل على البدع مع تلك العربان ، ثم بعد ذلك أقبل جميع أهل البلدان وهم أهل الحريق والنجامة والحوطة وأهل الخرج فاجتمعوا على سعدون وهم لهدم ذلك القصر رائمون ومع سعدون المدافع ، فاشتعلت بينهم نار الحرب والكل دون عمره يدافع ، وبقوا يرمون بالمدافع السور ، فلم يقع فيه من الرمي محذور وكان عن الهدم موقى محظور ، حتى تبين لهم البأس وعرفوا أن الله تعالى قد نصر أولئك الناس وأنهم عن الوصول إليهم لا يقدر ، فعند ذلك عزم على الرحيل سعدون وقالوا هذا لا يكون فبعدك يقع علينا عذاب الهون ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، اختاروا منه جافية تسلكون فاستم بعد ذلك تلامون ، فظعن وارتحل ، وكل قصده من محل وتفرقت وقته الحمد تلك الدول ، وبقى سعدون بمدافعه مهتما وعلى إتيانه بها نادما مغتبا ، لا يدري كيف يفعل ويصنع وهو إلى الهروب قد أسرع وعلى الانهزام قد عزم وأزمع ، فهو يجد فيه ويرجع فافتضى رأيه الشنيع أن يتركها في النجامة على سبيل التوديع ، فسار وتركها في النجامة ، فأخذها أهل الإسلام حين كان للدين بها إقامة . وفيها غزا عبد الله بن محمد بالمسلمين فسار يريد النجامة ، وأرسل عيونهم أمامه وطلائمه قدماه ، حتى أتاه عند البلد وسط الليل وكان له على تعبئة جيشه ميل فرتب الكمين ، فلما أخذ الضوء ينير ويستبين أغار الجيش على البلاد ،

خروج أهل الجبل وتطاعنوا قليلا وصبر أهل الدين صبرا جميلا حتى ظهر كمين الموحدين ، فأسرع أهل الباطل مولين وعلى أعقابهم منزهين وقتل من أهل البلد دون العشرين منهم أحمد بن رشيد وعبد الله البجاري ، ثم بعد ذلك انصرف عبد الله بن محمد ومن معه من المسلمين فأغاروا على الحريق فألفاهم يحشون مجتمعين ، وكان لهم جماعة معهم مجنبيين فناوشوا القتال ثم انهزموا بالخيال وقتل منهم عشرون من الرجال ورجع أهل الإسلام بأحسن حال . وفيها غزا سعود بالمسلمين زاده الله تعالى عزاء وتمكين ، يريد أسلافا مجتمعة من قبائل العربان من آل ظفير وعزة مقيمين على ماء مبيض في ذلك الزمان ، فانتضى سنان الهمة والعزم ، وجرد صارم الجذ والحزم إلى ذلك الأمر والشأن حتى وصل إليهم بعد آن ، فشنت عليهم الغارة للفرسان ، وكانوا على أهبة واستعداد للقاء الشجعان ، فجال معهم المسلمون وهم على العزم والصبر ثابتون ولأنفسهم على الموت موطنون ، فلم يدرك منهم أهل الدين وأهل الإسلام في ذلك اليوم غاية ولا مرام وانصرفوا عنهم بسلام ، وكان هذا أمرا من الملك العلام ليرى خواص الأنام ، ماخفي في الغيب من الأسرار والحكم والأحكام ، فارتحل سعود عنهم ونزل بأرض تميم ، ثم أرسل إلى مدد من أهل سدير فأقبلوا سراعا إليه وقدموا فوزا عليه ، فظعن بعد ذلك وارتحل وجد يريد تلك العربان الأول ، فأسرع النزول مع أولئك الدول ، فلم يعد إليهم بعد ذلك اليوم إلا وقد جاء الإمداد من العربان أولئك القوم فحين رأوا أهل الإسلام قادمين ، فرحوا بذلك لأنهم كانوا على انصرافهم ناديين فأبدوا بالمسلمين الاستهزاء والاستخفاف ، ولم يدخل قلوبهم منهم مخافة ولا إرجاف ، بل جزموا أنهم لهم غنيمة وأنهم مهما شددوا عليهم شملوا للهزيمة ، فكان البلاء موكلا بالنطق فصور الله عليهم ذلك وحقق ، فحين حمل عليهم المسلمون طاعنوه ساعة ثم جدوا في الفرار لا يملكون ، فتولى المسلمون أكتافهم حين حقق الله تعالى انكشافهم ، وقد قتل منهم في ذلك الحال فوق المائة من الرجال ، وغنم المسلمون ما معهم من أمتعة وأثاث وأموال وجميع السلاح والأغنام والآبال ، وكان دهم أبا ذراع بمن كان لروحه في ذلك الحين انتزاع .

ثم دخلت السنة السادسة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار عبد العزيز حرسه الله تعالى من كل مكروه وبلغه ما يرجوه بالمسلمين يريد الحوطة ، فحث الجبل إليهم حتى قدم إليهم وكان وقت القدوم والإقدام حين عسعس الظلام ، واستقام غيب

الظلام ؟ فلما أناخ وأقام لم يسرع إلى لذة الراحة والنام بل أخذ في التدبير والاستعداد للقاتلة أهل تلك البلاد ، فلما قضى من ذلك المراد والغرض ، وأدى من الدعاء ما أوجبه الله واقرض ، بادر إلى القتال وانهض ، فأغارت الفرسان على طارفة البلد ؟ فلما عاينوا ذلك لم يتخلف عن الخروج منهم أحد ، فالتقوا أهل الدين وكانوا من الصبر على يقين إلا أن الله تعالى ليس لأمره راد ولا يقاومه سبحانه أحد من العباد ، فحين صمم المسلمون عليهم بازوا وقصدوا البلد وناروا ، وقتل منهم في ذلك الوقت والمجال خمسة عشر من الرجال ، وأقاموا في بلادهم في جهد وضيق لا يتيسر لهم إلى الخروج طريق ، والمسلمون في تلك المدة قد بذل كل منهم في التخریب وقطع النخل جهده ، فقطع جميع نخل الرحيل ثم كان للمسلمين إلى نعبان ميل فساروا إليها وأقاموا حوالها وقطعوا شيئا من النخل ثم انصرفوا إلى أهلهم راجعين . وفيها جرى ذلك الأمر العظيم والخطب المدهم الجسيم وهو ارتداد أهل القصيم ، فقدر المولى الرحيم أن يرتعوا في ذلك المرتع الوبيء الوخيم وذلك أن كافة أهل القصيم بالإريدة والرس والتومة لما أراد الله تعالى لهم المسكنة والدلة ، وقضى عليهم في سابق الأزل بالهوان والمذلة وأن يلبسوا ثياب الحزى والعار ويتدعروا بمدارع أهل النار ويتحلوا بحلية الأشقياء الفجار ، ويسلكوا مسالك الأشرار (وينجى الله الذين اتقوا بمفازتهم) من شر من أراد بهم الفجور والإضرار ، ونوى بهم قاصمة الظهر وأصرروا على ذلك غاية الإصرار فرجع آيبا بالحجة والأوزار اجتمعوا على القدر بأهل الدين وقتل من عندهم من أهل التوحيد وخصوصا المعلمين ، فحضر كافة رؤسائهم وكبرائهم وقدمائهم في ذلك الوقت والزمان يوم الجمعة في خفي مكان فتفاوضوا الأمر وأبرموه وشدوا عقده وأحكموه وتعاطوا بينهم الأيمان والعهود وحققوا الوفاء بالعقود على قتل أهل كل بلد من عندهم من المسلمين موجود ، في يوم معين عندهم معدود وزمن مؤجل معروف وقته مشهود ، فحين تم ذلك الأمر واقضى انصرف كل إلى بلده ومضى ولم يكن عند المسلمين من ذلك خبره ، إلا أنهم على ما يصدر عنهم في حالة يقين ورضى ، فأرسل أهل تلك الأوطان إلى سعدون بن حمير يخبرونه بذلك الحال والشأن حتى يقدم ومن معه من البدوان ، فكان قدوم ذلك الرسول عنده هو المني والرسول فبادره بإعطاء البشارة بعد ما أعلمه بالمأول وأنه يربيع الحصول ، فبادر إلى الأمر في الحال وآذن في جميع البوادي بالارتحال ، فأقبل

بنو خاله كافة وعززة وجدوا في السير والإقبال تعجيبا لذلك المرام الذي لم يخطر له على بال ، وقد داخله من السرور والاستيناس ما لا يعرف حده ولا يقاس ، وقال الآن نحان للزمان أن يبق فتنهنز القرصة ونشتفي وقد قرب أن يطلع لي بأفقي نجد نجم العز والفخر والمجد وينتشر صوت صيتي في الأقطار فأكون حامل راية الشرف والافتخار فتتخط لهيبتي رقاب الملوك فلا يروم أحد لمنهجي سلوك ، ولم يختلج في لبه أن شمس عزه قد آذنت للغروب بدلوك ، وأن جيشه مقدر عليه أنه موتور به مقتوك وأنه يرجع من حيث جاء معثورا مقروحا منهوك فسار بمن معه من الحماة والسكاة والأنصار يريد أهل تلك الديار حتى ينتجز منهم ماذر وصار ولسان الحال يتلو عليه ولكن لا تأمل ولا اعتبار (إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) وحين قارب أن يلقي عصي السير والترحال ويحط عن الظهر الأثقال في أرض تلك البلدان أسرع أهل الشر والعدوان وشرعوا الأسنة على أهل الإيمان ، فقتل أهل الخير إمامهم في الصلاة منصورا بالخيال يوم الجمعة وهو للصلاة مرید ، فقطعوا منه الوريد وقتل ثنيان أبا الخيل وقتل آل جناح رجلا من أهل الدين مكفوف البصر وصلبوه بعصبة رجله وفيه رمق من الحياة ، وقتل آل شماس أميرهم على بن جوشان وفعل بقية أهل البلدان مثل ذلك الفعل والشان ومن لطف الله تعالى بأهل بريده وسلامتهم من الشيطان وكيد ، وتوفيق الله لهم وكرامته وحفظه لهم وعنايته أن سليمان الحجيلاني وابن حصين وغيرهم عزموا على الردة وثبت ذلك عند حجيلان ؟ فلما أقبلت تلك العربان بأدر حجيلان إلى قتلهم فقتلوا ولم يدركوا ما أملوا ، ثم أرسل إليه أهل عنيزة على سبيل السلام والإكرام وإظهار المبادرة في الامتثال والاعتزام من عندهم من معلة الأحكام ومفهمة التوحيد الذي خلقت لأجله الأنام وهما عبد الله القاضي وناصر الشبلي وقالوا هؤلاء إليك قرية ومن تقرب إلى الله تعالى بهم كفر ذنبه ، وهم منا إليك هدية وليس في قتلهم علينا ولا عليك عار ولا وزر ولا خطية ولا مسبة عند الناس ولا رزية فجرد عليهم صارمه وبأسه وأسقى كلا من صرف الحمام كأسه ، فلبس من الحزى لباسه ، فقتلهم حين جاءوه صبرا فنال من مولاه حربا ووزرا وحقق الله تعالى لأهل الدين شهادة وأجرا ؟ فلما استقر في تلك الفجاج الفسيحة الوسيعة مع تلك الجيوش وأسلاف الهاثلة النبعة لبس أهل الخير

والفساد وأهل الشقاق والنفاق والعداء تمن أهل تلك الأوطان والبلاد ملابس السرور والفرح ، وزال عنهم ما كان في قلوبهم من الهم والأسى والترح ، وجاءت منهم جموع وأجناد وأنصار وأمداد ، كيف لا وهم الذين قدحوا في ذلك الزناد وأوروا جمره الفتنة أعظم الإبراء والإيقاد ، وأر برأشي المواضي من شعور أولئك العباد (لا يغرنك تقلب الدين كفروا في البلاد ، متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) ولما نزل بذلك الحل عجل الله لأناس من جماعته الأجل ، فبادروا إلى بريدة في الإسراع وراموا ههنا حصول الأطماع ، فلم يؤب إليه منهم إلا الأقباع فداخله الرعب والارتبايع حين أرسل إلى بريدة يريد الحياة ، فأرسلوا إليه تلك الرءوس وقالوا هذه ضيافته وحشيمة الإقامة والجلوس فتبسط غيظا وغضبا وآلى إن ظفر بأهلها أن يقطعهم إربا إربا ويوقع فيهم من القتل والمهلك أمرا عجبا ، وشر إلى أهلها في المنازلة وكانت منه إليها معاملة ، ولم يحسب أنها تبقى إلى أمد بعيد ، فضلا عن كونه يرجع عنها ولا يفيد ، بل جزم أنها مفتوحة عن قريب وأن سعيه لا يضيع ولا يخيب ، فأب أول يوم المنازلة بالخيبة والحرمان والقتل والذل والهوان ، وقتل جماعة من قومه في ساعته تلك لا يومه ثم عاود الحملة يوما آخر على السور ، فرجع منقوصا موتور ، وقتل من أولئك الجر السود وكل من رام الهدم للسور والصعود ، وبقيت قتلاهم لا تنتقل ولا ترفع للدفن ولا تحمل بل بقي غالبيتهم ملقى مهمل ، غير أنهم صاروا للعاديات مأددة ، فهي إليهم تلك الأيام كل حين قاصدة وصادرة وعائدة ؟ فبقى أياها حائرا متقدما ثم أجمع رأيه وعزمه محققا مصمما أنه يسوق عليهم جميع الآلات والخلق مزدحما ويلجها بعد هدم بروجها وأسوارها مقتحما ، وأنه يعاقب من الجيوش من لم يره متقدما ، فنفض إلى إنجاز ذلك العزم وإنقاذ تلك المهمة والحزم ، وبادر على تودة من الصباح متيمنا بالسكور في النجاح وحصول الأرباح كما يروى في الأحاديث غير الصحاح « بورك لأمتي في بكورها » وليس على راويه من جناح ، فأقبل بكيد عظيم مهول ، يحق للألباب عند رؤيته الإزالة والذهول ، فصر أهل الدين وصاروا ، وجد أهل الباطل وكابروا ، وراموا اقتحام البروج والسور ، وهدم تلك الحصون والقصور ، والهجوم على أهل تلك الدور فثبت الله لأهل الحق القلوب ولم يكن أحد منهم مذعور ولا مرهوب ؟ فرجع والله الحمد مذعورا مرعوبا مهزوما مغلوب لما أغنى عنه ذلك الكيد شيئا وكانت له الدلة والمقتلة فيثا ؟ ثم بعد ما صدر منه ما صدر

وجرى منه ما تبين وظاهر ، عمن من الغيظ الأتلة ، حيث لم يرجع بما كان أملة ، وبقى على أفعاله السالفة وقضاياه التي هي للشرع مخالفة ، متحسرا متأسفا متندما متجيرا متحسفا فتفاوض مع أولئك الرؤسا الذين هم لا يزالون عنده جلوسا ، فيما يدفع عنه ألم الحزن والأسا واتفق الرأي السديد الجامع ، والأمر الذي هو المراد قاطع ، وللعذر مذلة قانع ، وللمقاتلة مزعج رادع ، أنك نصبت لأجل هدم السور مدافع ويأتي لها بحكم ومدافع ، فلا يبقى لأهل البلد عن ذلك دافع ، وبصير لك معاند ومشاقق متابع ولحكمتك متقادا طائع ؟ فأجابهم أن هذا هو الرأي السديد وسيتميز هذا قريبا غير بعيد ، فشرع في أسباب ما كان لهم به محجب وإنجاز ذلك الأمر الذي هو في زعمهم صائب مصيب ، وجمع له أهل تلك الأوطان من جميع البلدان من أنواع الصفر جملة ، وأنجزوا له في قريب مدة ومهلة فلم تمض من الأيام مدة حتى اتفق عنده من ذلك عدة وشرع في صبا الصانع فكان في إحكام هيئتها طامع وأقام يعالجها في إحكامها أياما فلم ينل من ذلك مراما ، بل حاز ذلة وخيبة وآثاما ، وأطال في ذلك الأمر مكثا ومقاما ، وكما صبا أبت وكما أفرغها في القلب خبت ، فلم يتم لها حال ولا استقامة ولم يدرك منها مقصوده ولا مرامه ، وعرف في باطنه إن لهذه شأنا وإن لم يفهم بذلك لسان ، وكل يوم أو غالب الأيام يجري قتال وجلاد مع أولئك الأقوام وأهل الدين والهدى لم يبالوا بمقام أهل الردى بل هم كل يوم من الحزم في مزيد ومن البأس والنصرة في تجديد ومن الله تعالى في إعانة وتأيد ، فكان حالهم عبرة من الله تعالى للعبيد وآية يستيقنها قلب كل جبار عنيد ؟ وفي أثناء تلك الإقامة بنى قصرا وأنجز إتمامه وجعل فيه عدة من الرجال وذوى البأس في المجال وكان موضع ذلك ليس إلى الحلة إليه من سبيل فانتدب المسلمون إليه ليلا فقاتلوا من مرادهم نيلا ، وقد أعلمهم أهل الإسلام أنهم يريدونهم جنع الظلام فمجلوا لهم بالإعلام وبأدروهم في ذلك القصر فهدم وأزيل وبقى كل من فيه مجندلا قتيل ولم ينج منهم سوى واحد وكان بالخبر عن قومه وارد ، وفي أثناء تلك المدة أغار سعد بن عبد الله أمير الرس مع جماعة من قومه على سارحة أولئك الأعراب فأخذوا غنم سعدون وكانوا نحو أربعمائة في الحساب تسمى تلك الغنم الدغيموات كثير من غنم تلك البريات ، وفي أثناءها أيضا عدا أهل بريدة على بيت من الشعر جعله عبد الله بن رشيد للحرب من التيه والبطر ، وكان فوق النهر مشهورا وفيه آلات

للحرب ورهبة ، فأضحى لديهم مجرورا وقتلوا فيه أربعة رجال ورجعوا في ضحوتهم في أحسن حال ، فلما مضت من الشهور مدة نحو خمسة في العدة وتحقق له من مراده الحرمان والحيلة وأراد لأهله الانصراف والأوبة عزم على اقتحام البلاد والدخول على أولئك العباد ، وقد صنع من ترسا من الحشب يسمى عجلا عند أولئك العرب يرد الرصاص عمن فيه فلا يضره ولا يؤذيه ، فلما ساقوه إلى مرقب البلد وكان في ذلك المرقب عشرة من العدد تكلموا مع أهل المرقب ، وذلك أن عثمان آل أحمد استفتح وهو مع ساقاة العجل وجد في الدعاء واجتهد ورفع صوته وقال بفصيح اللسان والمقال : اللهم انصر من هو منا طر حقا ، فأمن على دعائه وأولئك الخلق ، وصار أهل المرقب عند مبعاه من المؤمنين فكانوا هم أهل الحق فلذا صاروا من سطوتهم مؤمنين وحاولوا فيهم نكاية فلم يحصلوا على غاية ، واجتهدوا أن يدركوا إليهم وصولا فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا ورد كل منهم خاسرا خائبا ذليلا وترك أكثرهم ذليلا ثم بعد ذلك حمل على البلد حملة هائلة وأصبحت تلك الأمم عليها صائلة وعلى جميع أركانها جائلة ، وإلى تسور الأسوار مائلة ، يساقون بالسيف من أعقابهم في مسيرهم وذهابهم فازدحموا عند السور والبروج ، فلم يفوزوا منها بصعود ولا عروج بل قطعت عندها الخناجر وأعان الله تعالى من بها من محاصر ، وكان له عوننا وناصر ، فطار عند ذلك الاقتحام وهول ذلك الازدحام كثير من الروءس والهام من تلك الأقوام ، وانقلبوا بخيبة المقصود والرام من ذلك البأس والإقدام ، فلم تسر إليها بعد ذلك أقدام ، ورجع أهل الحق بالفوز والأجر الجسيم والعناية والقبول من الله الكريم كما قال سبحانه في الذكر الحكيم (فاتقبلوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) وارتحلت قبائل أولئك الأحزاب والعربان عن ذلك الموضع والمكان بأمر عظيم من الحزى والمهوان ، ولما سارت تلك العشائر خرج حجيلان ومن معه مسارعا مبادرا فلما جأ بريدة آل شماس وقتل من وجد بها من أولئك الناس ، فأوقع بها النعمة والبأس وخرج غالب أهلها ثائرين مع تلك الجيوش السائرين وعرفوا أنها ليست لهم بدار مقام ، فهربوا مع أولئك الأقوام وشددوا في الانهزام ثم بعد صدور تلك القضية للانصراف العساكر بالرزقة ضاق وسيع الفجاج على من ساعد ذلك المنهاج وانزعجت قلوبهم أشد الانزعاج فلم يجدوا عن الدخول في حوزة الإسلام بدا ولم يصبروا سواء

قصدا ، فأقبلوا على حبيشان يريدون الإسلام والإيمان وأعطاهم الأمان وأجابهم إلى ذلك
الشان بعد ما شرط عليهم النكال فكل بذلك دان ، وأقبلوا إليه مسرعين وحدانا
ومجتمعين ووفدوا بلدا بلدا ولم يبق إلا أهل غزيرة بعدا . وفيها غزاركب لأهل بريدة
في أثر سعدون يطلبون الاختلاس من تلك البوادي ويريدون فواقفوا ظهرة مع
النفيقي بأرض المستوى فكان ذلك الركب لجميع الظهرة محتوى وقتلوا جميع الرجال
وأخذوا مامعهم من الأموال ، وقد كان مع تلك الظهرة لأناس من أهل المدينة مال
كثير فأمر بأدائه عبد العزيز الجليل منه والحقير فأدى تاما من غير نقص ولا تغيير
لأنها كانت أوقافا وأحباس ، فلم يرد أخذها لأولئك الناس وإن لم يكن فيه معرفة ولا باس .
وفيها ارتداد أهل الروضة لما كان من سعدون إليهم أوضة وأقبل إليهم بالعساكر والأجناد
عجلوا بالردى والارتداد وخلعوا ذلك العهد شفاوبا وخسروا ولم يفوزوا بقصد فلما
ظهر منهم ذلك الحال والشان بادر أهل التوحيد والإيمان إلى قلعة البلد فشمروا كل
ساعده فيها واجتهدوا وتحصنوا فيها ، وأقبل سعدون وجموعه فطاف بها هو ربوعه وجد
تلك الأجناد مع أهل البلاد في محاصرة أولئك العباد ، وأقاموا على ذلك أيام حتى حاول
في قطع مائهم أولئك الأقوام ، فلما شعروا بذلك فزعوا وخافوا على أنفسهم وجزعوا
فطلبوا لأنفسهم الأمان وخرجوا بعد الاستئمان ، واستولى سعدون وآل ماضى على البلاد
ثم نهضوا بعد ذلك إلى أهل الداخلة ، وكان فيها محمد بن غشيان وأناس من أهل
النجدة الفرسان فحاولوا إليهم الوصول فلم يكن لهم إلى ذلك حصول ونالوا من أولئك
الحماة ورصاص المجيدى الرماة ما أذهل منهم الألباب وردهم على الأعقاب فلم يكن لهم
على الإقامة مصابرة ، ولا على تلك العصابة مكابرة ، فانصرفوا بالحية والحرمات وقد قتل
منهم أشخاص غالبيتهم من الأعيان وثبت بلدان سدير على الدين والإسلام بعد ما كان من
سعدون القدوم والإقدام والأمور الهائلة العظام ، وكان إذ ذاك حسن بن مشاري
رحمه الله في جلال مقيم فصانهم الرحمن الرحيم عن تعاطي أسباب الجحيم . ولما بلغ
عبد العزيز حرسه الله ما صدر من أهل الروضة وجرى وعلم به يقينا ودرى أمر
سعدونا أن يتجهز والمسلمين حتى ينقذوا أولئك المحصورين فبادروا في الأهبة والجهاز
وكان ذلك سريع الحصول والإنجاز فظهر سعدون يريد التعميل إليهم والانتهاز وحين
وصل إلى نادق نزل حتى يتلاخق الجموع والدول ثم يسير بتمام أهبة على عجل فيدرك

عند ذلك الأمل ، فلما بلغ سعدون ظهور العصابة المنصورة وأن ألوية الغز عليهم خافعة
منشورة ورايات الإمداد مرفوعة على رؤوسهم مشهورة ، حصل له الرعب والإرجاف
فلم يكن له عند ذلك صبر ولا اشتلاف بل أخذته الذلة والارتعاش ولم يحصل لأهل
البلد منه بعد ذلك انتعاش بل ولى مدبرا وانجاش ، فلما ارتحل وشرع في السير انتدب
أهل الإيمان من قرى سدير مع مامعهم من الإمداد مثل حسن بن مشاري وابن غشيان
وقومهم من الأجناد ، فبادروا أهل الروضة بالقتال والجلاد ، فخرج إليهم أهل الشر والفساد
وطال بينهم القتال في ذلك المجال وقتل منهم عدة رجال منهم أميرهم عون بن ماضى
ثم ولوا مدبرين وأقاموا بعد ذلك منحصرين ثم أقبل سعدون بجيوش المسلمين فنزل على
أولئك القوم المحصورين فأخذ جميع الحبل التي كانت في النخل ومكث أهل البلد في
البلد حلتهم متحصنين في محلتهم وفي قلعة البلد أناس من آل ماضى ورجاجيل
لسعدون بن عريعر ، فطال عليهم الحصار وشرع سعدون في قطع النخل والأشجار ، فلما
تحققوا بهم نزول النعمة والباس من رب الناس وغلبهم القنوط والباس طلبوا من
سعدون الأمان والحق بأهل الإيمان ، فأجاب طلبهم وأبى دعوتهم ونزلوا على حكمه
وما اقتضاه منير فهمه ، فعاهدوه على الإسلام والتزموا بجميع الأحكام واعتذروا من
سوء ذلك القيام وقبح ذلك المرام ، واشتروا منه جميع ما في البلد من الأموال بدراهم
نقد ، وهاله في الحال وأمر بجلاء آل ماضى ومن ساعدتهم من الرجال فخرج عنها
جميع أهل الشر والفساد وأمر عبد الله بن عمر على تلك البلاد وانصرف
سعدون راجعا .

ثم دخلت السنة السابعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها سار سعدون بالمسلمين
يريد أهل الخرج ذوي الفساد والهرج ، فلما وصل إلى قرية الحائر أخبر في أثناء طريقه
وهو سائر أن آل مرة هنالك فأمر على الدول بالرجوع وانصرف عن قصده ذلك
وسار بالجيش يريد فريقا من مطير يدعون الصبية فعمد إلى ذلك الفريق وطلبه
وحث الجياد في السير لئلا ينتذر فريق مطير وكانوا على المستجدة ، فبذل في التعميل
بجهده فلم يفتوهم إلا غارة الخيل وكانوا في سرعة اللقاء كالسيل وشدوا للارتحال في
الاطمان والهروب عن ذلك المكان وبقيت حماة الفرسان مشجرة للذب عنهم في الطعان
حتى أعيام الأمر وعالمهم وغشيتهم من مرارة المرات ما هالهم وكدر بالهم ، ثمزق الله تعالى

رجالهم وشتت حالهم ، فأخذوا بذلك السكان عن قريب ولم يكن لهم في السلامة نصيب ، وقتل منهم رجال كثيرة وشجعان شهيرة مثل خلف الغنم ودخيل الله بن جاسر ، وغنم المسلمون مامعهم من الأموال وانصرفوا في أحسن حال . وفيها غلا الزاد جدا وبلغ في الغلاء حدا وأخذ الناس من ذلك الجهد والبلا وكان سببا للفناء والبلا وطال ذلك على أهل نجد وسكانها ولم يروا مثله في أزمانها وعم ذلك جميع بلدانها فسقموا من الجوع ، وليس إلا إلى الله الرجوع واستمر ذلك سنين وبقوا تلك المدة مستئين وقد حالت عليهم السنين والأحوال وشاهدوا أشد الأهوال ومات من ذلك كثير من النساء والرجال فضلا عن البهائم والأطفال فكان كثير إذا شرع في الصلاة خر وسقط حتى يظن رائيه أنه من الجن قد اختبط ووسوس في عقله واختلط ، فالتجئوا إلى مولا لهم في كشف ما أتهم ودفع ما نزل بهم ودهم ، فأجاب جل وعلا دعاء ذلك الملا وهو الذي يجيب المضطر إذا دعاه وينجح أملة ورجاء ، فأنزل الله تعالى في قلب عبد العزيز الرأفة والرحمة والتحنن بضعفاء تلك الأمة ، فأمر جميع البلدان في تلك السنين والأزمان أن أهل كل بلد ومكان يحصون ما عندهم من الساكنين والضعفاء ويقتونهم من الطعام ما به قوام وكفاف ، فامتثلوا أمره وقوله واتجهجوا عمله وفعله وقام حرسه الله في الناس حين حلول البأس أعظم قيام فأفاض من الإنعام على أولئك الأنام خصوصا أهل الحاجة والأرامل والأيتام وشمر بالإحسان منتدبا وجد في المعروف والبر محتسبا وكان لأجره من الله مرتقبا ، ولم يزل على تلك الحالة مستمرا حتى كشف الله تعالى عن الخلق ضرا ، فقال بذلك ثوبا وأجرا وحاز مجدا وغفرا . وفيها مقتل زيد بن زامل ، وذلك أنه أغار على أهل سبيع وهم إذ ذاك على الرياض فأخذ عليهم إبلا ثم انصرف من ساعته من غير ارتياض ، ففرغ على أثره سليمان بن عفيصان وليس معه إلا جماعة يسيرة من أهل الإيمان فجده السير في طلبه وحث المظني في عقبه فأدرك ابن زامل مع قومه وكانوا يزيدون على ثلاثمائة راكب بأرض يقال لها الحنية من نجد فشن عليهم الغارة فقال بذلك أعظم قصد ، وقتل زيد بن زامل وانهزم جميع من معه من القبائل وأخذ بعضا من ركا بهم وفك الإبل وولوا على أعقابهم ، ورجع سليمان ومن معه بالنصر والأمان . وفيها أهدى عبد العزيز حرسه الله تعالى على سرور وإلى مكة المشرفة خيلا وركابا وكرمه بذلك وشرقه وقصده بذلك التشريف والإكرام وإهدائه ذلك النفيس الذي هو أجل

الحطام الرخصة لأهل الدين والاسلام في أداء واجب الافتراض والالتزام - خامس أركان هذا الدين على التحقيق والجزم واليقين الذي منعه من سنين وكانوا على أدائه متوجدين ، فجاء الأمر منه في ذلك بالرخصة ، فشمر المسلمون وانهزوا الفرصة فنجوا ذلك العام وكانوا نحو ثلاثمائة من الأنام .

ثم دخلت السنة الثامنة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها عدا يراك بن زامل وأهل اليمامة على متفوحة فسبق النذير أمامه ، فلم يردوا أهل البلد حتى تأهب كل منهم واستعد فحين أغاروا عليهم بادروا في الخروج إليهم فاعتنقوهم سراعا وأرهقوهم بأسا ووقاعا وجالدوهم فجلدوهم وفرقوا جمعهم وبددوهم وقتلوا من القوم المعتدين نحو خمسة عشر وفيهم أناس من المرتدين ، فأتى سعود بذلك الخبر فجرد عزمه لطلبهم وظهر وجد في أثرهم فلم يدركهم فرجع وصدرو . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين يريد الحسا فأعمل في ذلك العيس وجد في السير والسرى فلم ينسج ما سوى الكتوبة والتغليس حتى هجم من ذلك الوطن وقرى تلك السكن على قرية يقال لها العيون فألفاهم وقد استولى السكرى على العيون ، فدبر أحواله وشؤنه وأهل القرية لم يأتهم عنه خبر ولا يظنونونه فلما أن نسخ حالك الديجور شعاع الضياء والنور وفرغ في صبحته من دعائه وسبحته نهض إلى ماهيأه وأراد ووطىء ما خرج عن الحصن من مساكن تلك العباد وأخذ جميع ما في تلك الدور والبيوت من الحيوانات والأمتعة والقوت ، وبقى ابن مهنا وجماعته في الحصن متحصنين وناوهم المسلمون القتال وكانوا من الخوف على أعمارهم يجتهدون ، فلم يدركوا منهم مراما ولم يطيخوا عندهم مقاما ، وانصرف المسلمون عنهم ورجعوا منهم ، وقد قتل ناصر بن عبد الله وعبد العزيز ديان . ولما أقبل سعود بلغه الله تعالى المقصود من الاحسا راجعا ولأمله طامعا اقتضى رأيه السديد وفكره المصيب الرشيد أن يعبر على اليمامة فألفاهم وقد خرجوا جميعهم أمامه وساقهم القضاء والتقدير ونفوذ حكم الإرادة والتدبير لما أراد الله عزه ونصره وإكرامه وأن يحل بأعداءه . لذا الدين بأسه وانتقامه ويسقى كلا من أهل الشر كأسه وسهامه وحمامه ، فاشتاق نقوسهم إلى الخروج للتنزه والابتهاج ومطالمة أزهار الرياض في تلك الفجاء ، فلم يستقروا في تلك الرياض حتى وردوا من النايأ الحياض ، فدهمتهم القرسان فقتل أهل الدين والإيمان في ذلك الموضع والمكان فراموا عند ذلك الشجاعة ومد كل

إليها باعه وحسبوا أن لهم بها استطاعة ، فلم يكن لهم ذلك ولم يقدر ودنا لهم أجلهم
 الحتم المقدر ، فجالت عليهم الخيول وهب على المسلمين الصبا والقبول ، فشمروا عند ذلك
 للهزيمة الديول وولوا على أعقابهم مدبرين وقصدوا بلادهم متمزقين وقد قتل المسلمون منهم
 نحو الثمانين على التحقيق لا التخمين . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين وقصد عنبر
 من بلدان القصيم وحث أسير في ذلك مشعرا لا ينيخ إلا في الضرورة ولا يقيم ، فلم
 وطى ، في جنح الدجى من تلك البلد أرضها وقضى من صلاة الصبح سقتها وفرض
 أغارت على طارفة البلد فرسانه وطافت بفنائها شجعانه ، ففرج إليها من أهلها كل ذو
 بأس شديد واستمروا مع المسلمين في تصدير وتوريد وبذلوا من الشجاعة ما ليس
 فوقه مزيد ، وقتل بينهم في ذلك المجال بعض من الرجال منهم من المسلمين ثنيان بن زويد
 وغيره ، وجري بينهم مع سعود كلام في الصلح فلم يتم المقصود ثم بعد ذلك انصرف عنهم
 وارحل منهم .

ثم دخلت السنة التاسعة والتسعون بعد المائة والألف . وفيها غزا سعود فأخذ
 معاويذ لأهل الحريق كانت مودعة عند سبيع . فأخذها من ذلك الفريق . وفيها غزا سعود
 بالمسلمين يريد أرض أهل الجنوب وكانت فرقان اليمن له المطلوب ، فألح السير إليهم
 حتى قدم عليهم فألقاهم في أرض الروضة يرعون وألقى رئيسهم في قصر الروضة
 فأخذه وقتله وقرب الله له أجله ، ثم غارت خيوله ورجاله على أولئك الأعراب وغشيتهم
 من عظم العذاب أعظم سحاب ، فلم يكن لهم على المفاصلة قدرة ولم يكن لهم في الرجال
 حيلة ولا فكرة ، فولوا مدبرين على الأعقاب وشمروا في الهزيمة والانقلاب ولكن
 الله تعالى قضى أمرا وقدر ، واختاره ودبر ، وذلك أن المسلمين لما كشفوا ذلك الفريق
 وراموا أخذهم على التحقيق أقبلت عليهم من فرقان السهول كراديس من الخيول
 فرجع عنهم حينئذ المسلمون لأنهم إذ ذاك لم يكونوا لهم يعرفون وفك الله أولئك
 الأقوام بعد ذلك الانهزام ، ولم يعرف السهول جيش المسلمين إلا بعد ما ألغواهم مدبرين
 وكانوا معهم داخلين ولحكتهم تابعين فكانوا على تلك القضية نادمين . وفيها قتل
 براك بن زيد آل زامل بنو عمه زويل ومعه عبد الله بن محمد بن راشد وظنوا
 أنهم يدركون حكم العلم والرياسة ، فسدت عليهم تلك المقاصد ولم ينل كل منهم ما
 قاصد وطردهم أهل البلاد وكانوا ذوى بنى وفساد فقصدا الدرعية وطلبوا خط

الدين السوية ولم يكن يرد عن دخولها أحد من البرية ، ثم بعد ذلك الحين هربوا إلى
 الحساء مرتدين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له المقصود فشمروا مع المسلمين يريد
 الحرج فذكر له وهو في أثناء ذلك النهج أن هنا ظهيرة كبيرة وأما من أهل الحرج
 والفرع كثيرة ومعهم من الأموال وأصناف الأحمال ما لا يخطر على البال ، فأقام سعود
 ومن معه على التلها يرصد تلك الخلق المجتعة حتى أقبلوا يريدون الماء وكانوا إذ ذاك
 على ظمأ ، فشن الغارة عليهم المسلمون فأخذوا السابقين الذين هم للماء مسرعون
 وقتلهم قتلة رجل واحد ثم أتاحت الظهيرة ورام كل منهم أن يجاله فاستمروا معهم
 ساعة في جلد ووقع المصاربة والاجتهاد حتى تبين لهم أنهم لا يظفرون من السلامة
 بمراء ، فعندها طلبوا من سعود السلامة على الرقاب فأعطاهم ذلك وأجاب ، ومنح الله
 تعالى عباده المؤمنين السلامة والنصر والتكفين ، وغنموا تلك الأموال وفازوا بالأجر
 والإقبال ، وقتل في ذلك المجال نحو سبعين من الرجال منهم ابن زيد زامل وابن زيد الهزاني
 وسنان بن شاهين وغيرهم مشاهير ، وقتل من المسلمين نحو ثلاثة رجال . وفيها قدم
 ربيع وبنو ابن زيد وهما رئيسا المخاريم وجماعة من قومه على الشيخ وعبد العزيز
 راغبين في الإسلام طالبين منهج الأمن والاستسلام ، فعاهدوا على ذلك الطريق وكان
 لهم في القيام بذلك هداية وتوفيق ، فقد هدى الله تعالى بهم أناسا من أهل الشرك
 وفريق ، وصاروا ردما في الوادى لا يروم رأس الباطل هدم الحق فيه ولا يطبق .
 وفيها غزا سعود بالمسلمين متعهم الله تعالى بنصره سنين ، فجد السير يريد الدلم من
 الحرج وسأل الله تعالى أن يسهل له ذلك النهج ، فناداه منادى الإقبال بلسان الحال وهو
 ينص في نيك السيد الفساح : سرفليس عليك جناح ، وقد قدر لك الخير والصلاح ، وأعد
 لك الريح والأرباح وتقدمك النصر والفلاح وهي لك في فتح البلد مفتاح ، فاطو
 القفار في الدجى فعندك من حسن الرجا ضياء ومصباح فسار لذلك وشمروا وحث الجياد
 الضمر فلم يطل لركابه إراحة الجران ولم يلق لحيلة رسن ولا عنان حتى استقر في تلك
 اللذان ورأت بالبيان ملتف تلك الجنان ، حينئذ ذاق طعم الكرى المقل والأجفان
 بعد تعبته الكفاة والشجمان وتدير جميع ما له من شان ، فلم يضمحل سواد الظلام
 ينشر سرعان الأنام إلا وفرسانه عادية منيرة وسنابكها للعثير منيرة فكانت لمن
 القته مردية مبيرة غير مؤمنة ولا مجيرة فعند ذلك علت في البلاد ضجة العباد وغشيتهم

بالسباب لهذا الدين معروفا وبالقبض له مشهورا موصوفا. وفيها تبين ذلك الحال واشتهر وشاع بين الناس وانتشر، ورجفت قلوب أهل الجنوب وحل من البأس والكروب وغياها الخطوب ما لم يدع لهم قلوبا لم يثبت لهم لها، فكل منهم أرسل إلى سعود بالطاعة ولبي فأقبل أهل الحوطة وأهل الحريق وأهل الجمامة والسامية وكافة الخرج على سعود فأحكموا للإسلام اليهود واشترط عليهم في النكال ما شاء من النقود، فكان جميع ذلك لديه محضرا منقود، ثم انصرف بذلة لمولاه واستكانة مكثرا لخدمولاه وشكره سبحانه وقصد أهله ومكانه، ثم بعد انقضاء هذه الأمور وصدر ما هو من بور وفدوا راغبين في الإسلام أهل الإفلاج فأثروا الشيخ وعبد العزيز طلبا لسلوك ذلك المنهاج فمأهذوا على الإسلام والتزام جميع الأحكام فحسن منهم ذلك القيام.

ثم دخلت السنة التي هي للمائة ختام وبها يكون الثاني عشر للقرون تمام، ويتم بها العقد والانتظام. وفيها دبت بين بني خالد الفتن واستحكمت في قلوبهم الشحنة والإحن وسعوا في أسباب الحوادث والحن، وجدوا في أسباب القطيعة بما قدروا عليه من الأمور الشنيعة فأضاعوا شجرة الأرحام وقام فيها ذوو الأحلام فأراقوا بينهم الدما وسلبوا البيض الدما، وغدا بعضهم للبعض ساليا ولهلاكة مريدا وطالبا، فأصبحت الأرض من أفعالهم تعج والخلق تجأ إلى الله وتضع وتدعو الله عليهم بالإذلال وتعجيل الوبال ولسان حال القضاء ينادي على أولئك الضلال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وفيها جرت وقعة جضعة بين بني خالد، وسميت بذلك لأن المهاشير وآل صبيح خانوا لعبد المحسن والتفق ورئيسهم ثويني فأخذوا من يلبهم من العربان فوقعت بينهم النبهة وبدأ كل منهم في الآخر الرغبة فثار سعدون وجماعته على ظهور الخيل وقصد المسلمين وترأس عبد المحسن ودويحس في بني خالد والحسا، فصار ذلك لمر الإسلام ولا علاء كلمة الحكيم للإسلام أعظم مقدمة وطليعة ولا ستيطان التوحيد فيها ذريعة فلم تكن بعد ذلك قوة للأعداء الأسباب عن ذلك مانعة ولا منيعة وبشارة بالفتح معجلة ونصرة للدين لوقتها ففعلوا، فأقبل سعدون وقومه وأرسل لعبد العزيز يطلب منه الأمان فنهأ عن الحجى إلى البلد حتى يقف على ما عند ثويني من الخبر باستيقان ويتحقق حقيقة الأمر والشأن في البلد وبين ثويني قبل ذلك مهادنة ومصاحبة فأراد أن يسد من ذلك أبواب المطالبة

أصوات الفرع والارتقاء والحزن والالتياح، فأقبل جميع من في البلد من المقاتلة والأقزاع وراموا عن خذل النخل مجالدة ودفاع، فلم يجدوا إليه من سيل ولم يلقوا لهم به كفيل، فرجع كل منهم خاسئا ذليل وقتل رجال من أولئك القبيل، واستولى سعود على جميع النخل وحلها فنالت نفوسهم سؤلها وأملها، ومكث أهل البلاد كافة محاصرين في القلعة من الخافة وسحاب الدلة عليهم مظلة ونواب الجبل بهم مظلة وشجعانهم من الرعب مستذلة وأقدامهم إلى الهروب مستقلة لا يجدون ساحة من الراحة، وحزب الدين مشمر في الحرب صباحه ورواحه وقد أظهروا للتجلد علامه وظنوا أنه يخفف مقامه وحسبوا أنه يكون وسيلة لاسأمة والتضجر ولا يزالون يعلمون النفوس بالحال منه والمأيوس تعلق المسجون بالآمال والمحبوس حتى انقطع منهم الأمل والرجاء وعراهم الخطب ولبغا وشاهدوا منه مد لهم الدجى وناء عليهم بكلكله وسجاء، وذلك أن سعودا لما رأى ما هم به من الحصار وأنهم لا يطول لهم مكث ولا قرار اقتضى رأيه وفكرته واستجمع نظره ومشورته أن يبنى قصرا للمسلمين بين النخل وتلك الحلال ويحيد بناءه عن الحلال حتى ينقطع من أهل القرية الأمل وينزلوا إلينا على عجل، فلما فرغ بناؤه وتم ونوى سعود السير ويترك أناسا فيه وعزم، خرج جميع من في القلعة إليه وعزموا على البيعة بين يديه، فحملوا حملة رجل واحد وتقدم كل من هو في الحرب بجباله ومن هو على الثبات والصبر يساعد، فتلقاهم المسلمون بعزم باتر وبأس مجد غير فاتر حتى أدار الله تعالى عليهم الدوائر وكان لأهل الدين معينا وناصر، ولأولئك الفجار مذلا وكاسر فرجع كل منهم على عقبه خائبا خاسرا، وتفى أنه لم يكن للقتال بارزا ظاهرا، وقتل منهم رجال كثيرة منهم تركي بن زيد ورجال غير شهيرة يزيدون على العشرين وأقاموا في القلعة محتصرين وهما بعد ذلك اليوم أن ينزل على سعود جميع القوم ولكن أسر إليهم بعض آل زامل ممن كان مع المسلمين نازل فقال اثبتوا مكانكم والزمو أوطانكم فأنا آخذ لكم الأمان وأحكم لكم عقد الاستئمان، فكان بينهم وبين سعود واسطة ولاحكام العهد وابطلة فأخذ لهم من الأمان عقدا وتم لهم عهدا واشتروا منه ما في تلك البيوت والدور من الحيوانات والأمتعة والسلاح والطعام مما ليس بمحصول واستقرت بينهم الأمان فانتقدوها بذلك السكان ودخلوا في حصن الأمن والأمان إلى دائرة أهل الإيمان وأمر عليهم سليمان بن عفيصان وكانت كافة نخلهما في بيت مال فاء الله تعالى به ذو الجلال وأجلى عن البلاد كل من جد في الفتنة واجتهد ومن كان قبل ذلك

فلم يبالي سعدون لما ناله من القلة والهون بما نهاه عبد العزيز عنه فصار ذلك ألقبال منه فلتقاء بعد ذلك عبد العزيز فلم يشعر عبد العزيز إلا بقدمه وسرعة دخوله البلد وهجومه وكان اصلاته الجمعة خارجا ولسنة التكبير لها ناهجا، فالتقى مع سعدون عند باب القصر فرجع معه إليه وأمر بتعجيل النزول عليه وهىء له ما أاد ثم رجع إلى طاعة رب العباد وقد حصل له من الكرب ما ناله بالفؤاد وحصل له غاية المساءة والأنكاد حين رأى قدوم أولئك العباد ولكنه لما أتم الصلاة وحصل له إن شاء الله من ربه الصلات أسر بذلك الخبر وأعلن للشيخ الذي هو للتوحيد أسن وأتقن، وشرح له الحال وبين له أن ذلك كدر عليه البال بخلا عنه الإمام جميع الشبه والأوهام وتلا عليه ما جلا الرين عن الأوهام من الآيات المحكمات العظام كما يفهمه كل ذى قلب سليم (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتهم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم) فلم يفرغ من قراءتها بالاكمال حتى سرى عن عبد العزيز ذلك الحال وانجلي عن قلبه الكدر حين تبين له المعنى وظهر، فلما بلغ ذلك توبى تعاطف وتجبى وصغر خده وتكبر، وأرسل إليه عبد العزيز باللفظ كلام يستعطفه في قبول ذلك الأنام وبين له أنى لم أنقض للهدنة عهدا ولم أقتل لحبلها عقدا، ولكن لأجد عن قبول هؤلاء مندوحة ولا بدنا وأنا لك بما تريد منهم كفيل فلا تخش منهم أحدا لا عززا ولا ذليل فلم ينجح إلى ذلك الكلام وأنف من الاستعجاب والاستعظام وجد في الحزب وشمر وأجمع رأيه عليه ودبر فأرسل إلى البلدان يستعين على ذلك الشأن وشرع في إحكام الأسباب والآلات وتهيئته عددها المحكمات، وبارز في ذلك رب البريات، ونال من ذلك أعظم الرزما وأقبح الحزى والعقوبات. وفيها غزا سعود نال من مطلوبه كل مقصود فصار بالمسلمين ومعه بنو خالد وآل ظفير مجتمعين، غث السير ليلا ونهارا لأجل تعجيل المطالب وإنجاز المراد له والرغوب وقصده أسلاف قحطان وكانوا مقيمين بأرض الجنوب فأعنى التسيار إليهم ونص اليعملات عليهم حتى طوى بأيديهم صحف الضيافي والقفار ولم يبق دونها تلاقيا ولا اصطبار وسهل لسهلها وحزنها، وحاط بأولئك همها وحزنها ومحل إليهم الإنذار بما قد كان وصار فأخذوا في تعداد وأهبة وكان لهم إلى لقاء المسلمين رغبة ففرحوا بذلك وطربوا وودوا قدومهم وطلبوا وقالوا لظى الخطوب ونار الوهم والحروب لنا معشر أهل الجنوب، والمهيجاء هي المراد والننى ونحن لها وهى لنا، أيا

سعود أننا مثل من لقي من الجنود ومن مارس من البوادي القروء؟ نحن الشم العرائين الكاه وذوو البأس والتجدة في الوطيس والحماة وسيعلم ذلك ويعاين ويدري حينئذ على من هو كائن ويتحقق ويشاهد ما لم يكن معه يعاود ونقض كل منهم مذرويه وكان شؤم ذلك القول راجعا عليه فلما أصبحتهم تلك الجنود والأجناد أظهر وأمن البأس ما يذهل الفؤاد وتدرعوا مدارع التجدة في الجلال فشاهدوا فرسان الإسلام منهم أسنة خداد، وأحساما صلابا صلابا، وقلوبا قوية شداد، خفف الله تعالى المسلمين باللفظ والامداد وأعاد عليهم عادته في أهل الفساد فشد عليهم الحملة أهل الدين والتوحيد وأيدهم الله تعالى بالنصر والإعانة والتسديد وأنفذ في أعدائه الوعيد فشرذموا أعظم تشريد وبددوا أقبح التبديد وصاروا بين طعين وشريد ومقطوع منه الوريد ومزقوا كل ممزق وأجرى عليهم عادته وحقق وغنم المسلمون غنيمة عظيمة وانهزم الأعداء أخزى هزيمة، واستولى أهل الدين والإسلام على جميع الأمتة والأثاث والآبال والأسلحة والأغنام. وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومعه من عزة فرقان فذكر له أن هناك ظهرة عظيمة خارجة من البصرة وسوق الشيوخ خضر وبدوان فأم لهم منار الطريق، وكان من خبرهم على يقين وتحقيق فأسرع بمن معه وتبعه حتى وصل إلى بقعا وأقام ينتظرهم حتى قدموا بعد ذلك عليه ووصلوا بما معهم من الأموال والأحمال إليه، فتلقاهم بغارة مزعجة مزهقة وأسنة ماضية للأرواح مزهقة فطاعنوا ساعة وحينما تم انكشفوا بعد ذلك انكشافا رهينا وكان كل منهم للذلة موثقا رهينا فغنم المسلمون تلك الأموال واستاقوا جميع الأعمال وقتلوا عددا من الرجال.

ثم دخلت السنة الحادية فوق المائتين والألف، وفيها غزا سعود بالمسلمين فزل أرضهم وأقام ينتظر إجماع المسلمين فاتاه رؤساء الروسة من اليمامة وأخبروه أن آل بني يريدون الارتداد وقد دبروا إحكامه وأجادوا على أهل التوحيد إرامه، فشمع بذلك الحين لإيقاد المسلمين وحقق دماء الموحدين فوصلها ليلا وأدرك من التمكن في الليل فلما أصبحوا وتحققوه هموا بلباس الإسلام أن يمزقوه فجأوا نظرهم فيه فكل منهم أن ذلك لا يفكه ولا ينجيه فرموا جميعا بأنفسهم إلى سعود وقدموا إليه النساء والفقير بالمرصود فأنالهم خطر البغية وأدركوا بعض النية والزم عليهم الشيخ وعبد العزيز الذل والذلة وأجلا عنهم أهل الفساد والإذابة ثم بعد ذلك يرجعون إلى بلادهم وأظهروا

لسمود الامتثال وشرعوا في السير إلى عبد العزيز والارتحال ، فلما توسطوا في قلب
 القلعة كان في قلوبهم أعظم هناة ، ولووا إلى الحساء الأعناق وجدوا في الوخذ إلى
 والإعناق وصمموا البعد عن الجامة والفراق ، فأمر عبد العزيز بهدم محلهم التي تسمى
 البنة وقد كانت باللهو صرنة فهدمت ديارهم وحقق دمارهم وأمر سمود عبد
 الرئيس في البلاد وبني حصنا فيها وجعل فيه آلة الحرب والاستعداد وأمر
 الحصن محمد بن غشيان وأقام فيه مدة من الزمان . وفيها جر ثوبى تلك الجرائر وقاد
 المسلمين تلك الجموع والعساكر وتجاوز في ذلك السير طوق البشر في التدبير ورا
 أن يغالب الحكيم الخير المدبر القدير فتطاول في خروجه وتمطى وبغى فيه وتخطى
 ودبر من الكيد والأسباب والشئون ما لا يقدر على مثله . ولا يكون بل يعجز عن
 تحصيله الآخرون وحزم أهل المعرفة بزعمهم ومن يدعى العلم بفهمهم أن جيوشه لأهل
 الدين يغلبون وأعرضوا عن وعد الله للذين هم يؤمنون (وعد الله لا يخلف الله وعد
 ولكن أكثر الناس لا يعلمون) فسار بتلك الجحافل الجمة الغزار والجيوش التي لا يحصى
 عدتها إلا عالم الأسرار ولا يحيط بها إلا الجبار حافة بتلك المدافع والقنايل الكبار
 لا يقوم عندها حصن ولا جدار ولا يثبت عند رؤيتها قلوب الصغار والكبار ،
 يزل يحد إلى نجد السير والسير ويستدعى في ذلك أصحاب الرأي والتدبير من كل رئيس
 بالحرب خير وجليس سعى البطانة شرير يحلل له دماء أهل التوحيد ويحش على ذلك
 ويشير ويدعى مع ذلك أنه من العلم والمعرفة بالمكان الكبير ولم يدرك أنه قاصر الب
 قليل الاطلاع طافح الغور غير غزير وأنه لا يملك من ملك الله فتىلا ولا قطمير وأن
 الله تعالى وعد أهل التوحيد والدين بالنصرة والظهور على المبطلين وفتح البلاد
 والتمكين (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولى المتقين) فلم ينثن لهم صارم عن
 ولا همه بل جد في ذلك الشأن وهم حتى أزل في أرض التنومة جميع تلك الأل
 وأحاطت بهم تلك الهممة وغطتهم تلك الخطوب الدلهمة وحلت بهم الكربة والشدة
 والقمة ، والتجئوا إلى المفرج عند الشدائد وطلبوا حسن تلك العوائد والتحفوا القمم
 والأكفان وقال كل منهم الموت على الشهادة والإيمان وسنة من لنا من السلف
 والإخوان ويأبى الله أن نتضمخ بوضر الدلة والإذعان ونبين عند الله والمؤمنين
 غير صبر في الطعان ولا عند حلول الرزايا والامتحان ونعوذ بالله من عاقبة الشر
 والافتتان وتسويل مكاييد الشيطان والاستسقاء من حوض الردى والدل والهوان

فليس هنا إلا التطلع إلى قصور الجنان وما فيها من الجور والولدان . ولما توى في ذلك
 السكان والحل واستقر به ونوى الإقامة ونزل شرع في مجال القتال وأحدثت بهم تلك
 الفرسان والأبطال وأضرمت عليهم المدافع شرر النار ولم يكن في قلوبهم منها اندعار لما
 أفرغ الله تعالى عليهم من النصر والاصطبار وربط على قلوبهم فكان لهم من التثبيت أجل
 قرار وحث أهل المدافع والرماة وتذب الشجعان والكافة وحرص ذوي النجدة
 والحماة وجلب عليهم بخيله ورجله ورام هدم التوحيد بأمله ، فأبطل الله تعالى كيده
 ومكره وأظهر فيه وفي جنوده بأسه وقهره ، فحاق به سوء عمله فشرب حياض المر
 والهم بالأسف عللا بعد نهله ورأى عقوبة ذلك عاجلا قبل موافاة أجله واستمرت تلك
 الأحوال الشديدة من أولئك الجموع العديدة يقاسون كل ساعة منهم حدة وبأسا
 ولكن لا يرفعون إلى المذلة رأسا وبقوا أياما في ذلك المقام كل يوم تحيط بهم خطوب
 الحما ويتجرعون مرارة السام ولكنهم صبروا تلك النفوس الكرام عن معاطاة
 أسباب الآثام وآثروا دار السلام وما عند الملك العلام على هذه الدار الفانية واشتاقوا
 إلى دار قطوفها دانية ؛ فلما أيس ثوبى من مصادمتهم وتعب من مزاحمتهم واكترب
 من مقامه هناك واضطرب له قليل (ذلك بما قدمت يداك) مد أسباب القدر ونسج
 رداء الحيانة والسكر فأرسل إليهم بالأمان وزين لهم الاستئمان والنزول عن ذلك
 السكان والخروج إلى سائر الأوطان وحاولهم في ذلك واجتهد وكان الوسطة بينهم
 عثمان حمد وكان هو من أولئك الجماعة فظنوا أنه لا يروم بهم مكرا ولا خداعة وإن
 كان نفسه إلى الشر نزاعة فرضوا بذلك وراضوا بعد ما تحدثوا فيه وقاضوا ؛ ولما استقر
 ذلك الأمان بينهم دخلوا عليهم القلعة سريعا فمجلوا للمسلمين حينهم وقتلوا غالب من
 وجد ولم ينج إلا من هرب وقصد ونهبت تلك القرية ونال ثوبى من ذلك خزيه
 وحمل الله تعالى له في الدنيا العقوبة ولقي من قبيح صنعه وزرذ وحوبه ، ثم لما بدت منه
 هذه الحيانة وبدرت وظهرت منه وصدرت ظعن من ذلك الوطن ونزل على بريدة
 واستكن وناوش أهلها الحرب من بعيد وهم أن ينزل بهم بأسه الشديد ويمكر بهم
 ويكيد ، فأخذ الله (إن أخذه أليم شديد) فأرجف قلبه وفؤاده وأظهر له من الرعب
 ما جعله أن يؤم منهزما بلاده وشتت شمله وجمعه وأجنداه وأضاع هدرا عليه من المال
 ولله وتلاذه فولى خاسئا مهزوما مشتتا مبعدا مرجوما ؛ ولما عزم على السير خرج

من أهل بريدة لنهوذ التقدير نحو سبعة رجال وراموا أن يوقعوا في آخر الجيش نكال، فمجلت إليهم من تلك الخيول فرسان فاقطعواهم قبل وصول الجدران، وجد السير يريد البصرة وقد أبدى الله تعالى فيه عبرة وأراء شؤم تلك الأفعال وجعل عاقبته تشتت الحال، حقين وصل البصرة وقدم إليها رأى الخروج على الباشة والتغلب عليها، وساعده على ذلك التسلم وكان لأمره مطيعا مسلم وفي خدمته متقدم ورسمت باسمه الخطب وأبدى من التجبر العجب فحذر عليه الباشة سليمان في ذلك الزمان والتقوا عند سفوان مع تلك البدوان فانهزم ثوبى ونار وهدم الله عزه وبار وقل الله من له من أنصار وعهد إلى الكويت وسار وأقام فيها ذليلا يقاسى الهم زمانا طويلا ثم جاء إلى الدرعية يريد الإسلام فهاهنا على الوفاء بالدمام ثم نكث ذلك الإبرام؛ ولما بلغ عبد العزيز حرسه الله تعالى وصول ثوبى إلى نجد جد في التأهب والاستعداد وجمعه من الغزاة كل نجد فجهز سعود عليهم أميرا حتى يكون لأهل البلد ظهرا وظهيرا؛ فلما انهزم ثوبى وانصرف وقصد بلاده وانحرف جد سعود في أثره بالمسلمين وكانت تلك الجيوش منهزمين فلم يبرح حرسه الله تعالى يجهد في السير الركاب ويجد في ذلك الطلاب حتى أدرك أسلافا من شمر، فشن الغارة عليهم وشمر ورئيس ذلك الفرقة وكبير تلك العربان ابن جدى فكان إليه مهتدى فلما غطاهم من الغارة القبار ركب الفرسان الجياد والهار وأقبلوا لتلقى الأبطال كأنهم في قرن وصمموا على بذل الأعمار دون الأموال والظعن وبذلوا في ذلك مجهودهم ولكن الله لم ينلهم مقصودهم فغلبتهم كلمة الحق، فلما عاينوا من أهل الدين الصدق انهزموا وفروا وما ثبتوا ولا قروا، فقتل المسلمون منهم رجالا كثيرة العدد وأخذوا ما عندهم من العدد واستولوا على جميع تلك الأموال من أثاث وأمتعة وزلال وغنم وآبال ورجعوا بأحسن الآمال. وفي أثناء خروج سعود في ذلك للطلاب ظهر عبد المحسن ودوحس وبنو خالد أهل الحسا يظنون أن ثوبى في انتظار وارتقاب وأن بلدان نجد قد عمها من ثوبى الحراب وأنه مقيم هناك الأحزاب لأنهم قد ثبت عندهم بلا شك ولا ارتياب ونقله إليهم عدول ليسوا بكنة أن ثوبى أزم على أهل الزبير أن لا يخرج أحدا إلا بأمراته وغياله في ذلك التخاذل فامتلأ أمره في الحال وأظهروا مامعهم من الأموال للتجارة والابتياح ولم يجل خدمهم أنهم إليها يسجلون الارتجاع لما يداخلهم من الدهر والرعب والارتياح بل زعموا

(٩ - تاريخ نجد - ١٤٩)

أنهم يقيمون أزمانا عديدة في تلك البقاع ولا يرجعون عنها حتى يدعوها صفصفا قاع، فلما ظهرت بعد ذلك بنو خالد وكل على ذلك معين مساعد، فلم يرجع بنو خالد وأهل الحسا وهم إذ ذاك قد قطعوا الدهن يؤمون نجدا ويؤمنون بها إقامة وسكننا إلا الخبر اليقين والعلم المحقق المستبين أن سعودا قد جد في السير والتسيار وأن ثوبى قضى عليه العزيز القهار بالدل والانكسار وكتب عليه الجزان والدلة والعار والحزى والدمار، فكان ذلك عندهم من أشنع الأخبار وأفظع ما يطرق القلوب والأفكار، واضطربوا غاية الاضطراب وشمروا منهزمين في الانقلاب، وأرسل الله عليهم رجزا من العذاب، فكان لا يلوى منهم أحد على أحد والسكل قد طار عقله وارتعد وارتدى بأردية الموت واستعد وقطعوا الدهن في ذلك الصيف والصمان والكل منهم صاد ظمآن، فمات كثير من أهل الحسا ونالوا مؤلم الهم والأسى وتفرقوا في ذلك أيادي سبا وكانوا لمن بعدهم عبرة ونبا. وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم ومن حوله من العربان وقصد أهل الجبل، فاستقر بذلك المكان وأقام فيه مدة أيام وليال، وغالب أهل تلك البلاد إلى الدخول في الإسلام في إقبال فقدم عليه في ذلك الزمن كثير من بلدان ذلك الوطن، وعاهدوا على الإسلام ورغبوا في الدخول والاستسلام، ومن أعرض عن ذلك وصد، تصدى حجيلان لحربه وقصد، وتأهب له واستعد وأقبل عليه بالحروب والحراية حتى يدين للإسلام ويفتح بابه، وأخذ أموال من امتنع في ذلك الوقت والحال حتى طاعوا للتوحيد بالاجمال، فلم يشد حجيلان للسير عنهم الرجال حتى تلقى جميعهم الإسلام بأحسن استقبال. وفيها وفد هادي بن غانم المعروف بأمة قرملة على عبد العزيز أناله إلى تعالى في الدارين ما أمله، وكان هادي إذ ذاك في الإسلام راغبا وللدخول في الإيمان التوحيد طالبا، قد انشرح له صدره وتبين فيه حاله وأمره، وبرق له من الدين بارق من الله له ضوء شارق قبل أن يعرف الحقائق ويسلك في أيض الطرائق، فجاء مرغما على عدو منافق ومشارك ضال زاهق وهجر من كان يحبا له مرافق ومن كان على الظل مصادق، ولم يكن ذلك الوقت والحين في رياضة قحطان من العدوين ولا من الأعداء المتهورين ولكنه ترأس بالدين وصار له الاقبال من إمام المسلمين لمصدق على المشركين ونصح في جهاد الباطلين فصار له تمكن عند المسلمين، فعاهد حنين على الإسلام ولقد وفي العهد والدمام وقام بوظائفه أحسن القيام وبدا له فيه طالع

حسن وجاهد فيه من عبد الوثن ، وأخلص لله في السر والعلن ، وتصل عن الضلال الذي ترعرع فيه ونشا والشرك الذي ملأ جميع الحشا (إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء) .

ثم دخلت السنة الثانية بعد المائتين والألف . وفيها تظاهر كثير من أهل الوادي بالاسلام ورغب فيه جماعة من تلك الأقوام ، وسبب ذلك الاعلان والاشتهار وتبين تلك الدعوة والانتشار أن ربيعا وأخاه بدن ابني زيد رئيسي المخاريم في الشرف والأيد لما وقفا مع أناس من قومهم على الشيخ وعبد العزيز وعاهدوا على الاسلام ودخلوا في حصنه الحرير والتزموا الوفاء بجميع الأحكام والقيام بذلك أتم القيام ، وكان وفودهم قبل ذلك العام ، ففع الله تعالى بهم خاسا وعاما ، فلما أرشده الله تعالى وكان له مرشدا وهادي ، وتبين بدعوة التوحيد على أهل ذلك الوادي أصبح كثير من أهل الضلال بل أغلبهم له مغضا ومعادي ، ولرد قوله ومعارضته بالباطل ممار مبادى ، وأطلقوا عليه أعنة الأسنة وحاولوا البقاء على تلك السنن الباطلة الزمنة والطرائق الخبيثة الضالة المنتنة ، فعند ذلك الحال والأمر بنى ربيع له ولأهل الدين قصرا وشرع في تهيشه بنائه حتى آتاه وبناء ، فلما فرغ من القصر والبناء جهر بالدعوة مجدا معلنا ، وبادر بإزالة ما في ذلك الوطن من صنم ووثن ، فأشعل في شجرة ناراً وكانت معبدا لأولئك الأشجار يزعمون أنها تجلب النفع وتدفع الأضرار ، فلم يرعهم إلا دخان تلك الشجرة وقد قضى منها الإحراق وطره ، فعند ذلك تأسفوا عليها وتحرقوا وتجمعوا على الباطل بعدما تشتتوا وتفرقوا وانتدبوا إلى عداوة من يتبين بالدين ونهضوا ثاني يوم على ربيع في قصره مجتمعين وساروا يريدونه ، وهموا بأنهم يذلونه ويردونه وينزلونه من قصره ويهدمونه ويحرقونه الحام ويسقونه ، فخصروهم في القصر ثلاثة أيام فصبر على ذلك أهل الاسلام وقطعوا ما لهم من نخل وبدا منهم قبيح فعل ، وقتل المسلمون منهم رجلا ولم يدرك أهل الضلال منهم أملا ، فلما أيس أهل الباطل إليهم من الوصول وعرفوا أنهم لا يدركون منهم مأمول ، وأن المسلمين أكثروا فيهم الجراح ولم يكن على أهل الدين من جناح وتحققوا أن ليس في مقامهم لهم صلاح وعزموا على السير عنهم والرواح ، أخذوا حمارا مذبوحا وجعلوه في ماء أهل القصر مطروحا ، وكان مأوهم خارج القصر من قريب إلى حد ما يجيد الرامي به ويصيب ، فأتين بعد ذلك عليهم الماء ووجدوا لفقده

ألما وقاسوا منه شدة وظما ، فبادروا إلى الحفير فأظهر الله ماء عين غزير فشرّبوا منه وارتووا وتيقنوا النصر من ربه وارتجوا وحكموا به لقوة رجائهم وقضوا ، فقالوا بذلك الأجر والفوز وحووا ، ولكنهم دفعوا بالتي هي أحسن فأعطوا فرسا من تظاهر بالشعر وأعين ، فقبلوها منهم وانصرفوا ورحلوا عنهم وانكفوا ، فأرسل ربيع بن زيد يخبر عبد العزيز بذلك الكيد ويعلمه بما صدر وجري إذ لم يكن به درى ، فأمد به بكثير مال وزاد ، وأعطاه سلاحا وأهبة الاستعداد ، وأرسل عبد العزيز إلى مبارك بن عبد الهادي بأن يساعد ربيع ويقوم معه على أهل الوادي ، فحين أناه الرسول والكتوب بادر إلى ذلك المطلوب وسار حتى نزل ذلك القصر وشد الله تعالى به لربيع الأزر ، فحاول جماعة الخطاطبة بناء قصر مشرف على ربيع ، وكانت لذلك طالبة وفي إخراجها من قصره راغبة ، فنهاهم ربيع وحذرهم وخوفهم وأنذرهم فلم ينتهوا عن الراد وشعروا في طرق الفساد ونصبوا راية الخرابية وشمر كل منهم في البناء ثيابه ، فحين شرعوا في البناء زادهم الله وهنا ، وقتل المسلمون ذلك البناء ، فحين قتل منهم بناؤهم ولم يدركوا من البناء منهم بعد ما غرم الشيطان ومناهم ، ألب عليهم جميع أهل الوادي وتقلبوا وراموا هلاك الموحدين وتطلبوا وجمعوا لهم كثيرا من الآلات ، وسعوا إلى ذلك بأسباب وصناعات تسمى الزحافات وكانت صناديق من خشب مطبقة لم يدرك من بها ولم يصب ، وفيها من ذوى البأس رجال وبأيديهم مفاتيح تلك الأقفال ، وتسير بحمولة على دراريح يسمونها العجل أهل ذلك الحال ، يرومون إذا قربوا من السور من هدمه بلا محذور ، وكان من به الناس متحصنين بدروع البأس ، وفي كل صندوق ثلاثون من الأبطال ، فساروا يريدون السور من غير إسهال ، فلما قارب الجدار لم يكن لهم إليه تسيار ولا وصول ولا اقتدار ، بل وقفت الزحافات دونه بعد انكسار إحداها وانكشاف الأخرى فتبين من فيها ؛ فأخذ المسلمون يرمونه فقتلوا منهم تسعة ولم يكن فيهم والله الحمد منعة ، وزحفت تلك الجموع وتداعت إلى هدم السور تلك الربوع فرجعوا بالحرمان والخذلان ولم يقدم ذلك الكيد والشان ، وأخذ أهل الاسلام منهم سلاحا ودروع ، ولم يكن أحد منهم بما شاهد من الكيد مروع ولا جبانا ولا مجزوع ، ثم بعد مضي ليال وأيام أراد الملك العلام على بعض البروج الانتفاض فصار لأهل الباطل على أهل الاسلام ركضة واتهاض ، فبادروا في الحال بلا أناة ولا إسهال

وساروا على أهل القصر وراموا بهم وقوع أمر ، فحسى الله سبحانه وتعالى المسلمين وقتلوا ثلاثة من المشركين ورجعوا والله الحمد مجروحين مقروحين ، ثم بعد ما انقضى زمان وأمد تجمع كل من أهل الباطل ونهد وحزب كل منهم وقصد على أولئك الأقوام وذلك حين وقع من السور بعض الانهدام ، فوقع عند السور القتال والازدحام وحمل الحرب وحن الحام وحقن الله دماء ذوى الإسلام ، وقتل من ذوى الشرك والضلال في ذلك الوقت والحال أربعة من شجعان الرجال ، ثم طلبوا من المسلمين النزول والخروج فكان للمسلمين إلى ذلك ميل وعروج ، فأخذوا منهم الأمان بشرط ما أخذوا منهم من السلاح في ذلك الزمان والخروج عن ذلك المكان ، فزل المسلمون منه وخرجوا بعد ذلك عنه ، وقصدوا مبارك بن هادي فكان بإكرامهم مبادى ، ثم بعد ذلك بأيام قدموا على عبدالعزيز الإمام فأكرمهم - جزاء الله سبحانه وتعالى خيرا - غاية الإكرام ، وأمدهم جميعا بكثير من الطعام ووفدهم منه بجيزيل من الحطام فرجعوا من عنده بأعظم المقام وكان لهم في الدين أوفر قيام فبنوا لهم قصرا وشاع لهم بذلك ذكر ، وكان مقابلا قرية تمرة ، فنفذ الله سبحانه وتعالى بسببه في الوادي أمره ، فأقاموا في ذلك القصر مدة شهرين وللدين منهم انتشار وظهور وغارات أبدا لانفارق ولا تبارح بل تنفاجى وتغادى وتراوح جميع تلك القرى والقصور ، فلم يكن لأهل ذلك القصر عن جهاد من حولهم تقصير ولا قصور ، ثم بعد ذلك تقصت أيام وطال لهم فيه ، قام ورغب جماعة كثيرة وقثم في منهج الدين وتجريده والقيام بنصره وتأييده وهم الحناججة والعمور والولامين ، فأرسلوا إلى ربيع ومبارك يريدون الدخول في الدين ويطلبون منهم أنهم يأتون إليهم ويقدمون عليهم ، فأجابهم إلى ما أرادوا وطلبوا فأنيبوا فضيلة الإسلام وحبوا لما أحبوه ورعبوا وحاولوا كغيرهم في إطفائه سابقا وتعبوا ، فلم يحصلوا ما أملوه بعد أن شتموا ونصبوا فعاهدتهم على الحق والهدى والتبين في طمس منار الضلال والردى ، وطلبوا من ربيع ومبارك النزول معهم حتى يجاهدوا معهم العدا ويجالدوا من تعدى عن الحدود واعتدى وراح في طرق الشرك واغتدى ، فكان منهما إلى الدعوة ميل وإزماع وإلى الإجابة لما أرادوا حيل وإسراع ، فخرج ربيع من القصر وسار وكان له في الدراسة عند الحناججة مقام وقرار ، فأعلن عندهم لله تعالى بدعوة التوحيد ، وكان للدين فيهم تصدير وتوريد ولأهل الضلال فيه تنقيص وتكيد ورعب ليس وراءه مزيد ، لا يطيّب لهم في الوادي سكن ولا نظم

عيونهم لذّة الوسن ويدعون على من جر ذلك عليهم رسن ، وأرهف المواضى على إظهاره وسن ، وأحى عليهم الفارة وشن ، فلما طال عليهم الأمد والزمان وقاسوا منه مصايب وامتحان ، ولم يجدوا لهم نفعاً مما كانوا يعبدون ويستغيثون بهم في الشدة ويدعون ويخافونهم أشد الخوف ويرهبون ويؤثرونهم في المحبة على الحق ويرغبون من يكشف عنهم هذا الخطب ويفرج لهم هذا الكرب ، كلا لقد خابوا وخسروا وضل سعيهم وعثروا وأشركوا بالله تعالى وكفروا ، فلم يعانوا ولم ينصروا ، فعند ذلك اجتمع رؤساء ذلك الشأن ومن تظاهر بالفسق والعصيان وتفكروا في الحال والمصير وشرعوا في إرام جبل التدبير ، وهبات قد نفذ القضاء فيهم والتقدير ولكنه في إبانته وحينه يصير ، فلم يلقوا لهم إلى المراد سبيلا ولا ملاذا ولا مرتجى ولا ملجأ ولا معاذا إلا إلى الوصول إلى نجران كي يستجيشوا من هناك من العربان ، فاجتمع رأيهم على ذلك المنوال وظنوا أنهم يدركون من المسلمين به منال ، ويطفئوا نور الله الذي ربا في الضياء والاشتعال وأزال دياجر الإثم والإضلال ، فخرج رؤسائهم الفجار وقوادهم الأشرار وها جماهير كبير الرجبان وحويل كبير الوداعين ذوى العصيان ، فعمدوا إلى رئيس نجران وأخبروه بجميع ما كان وبشواله ماجرى عليهم من أهل الإيمان ، وشكوا عنده بث الهموم والأحزان وندبوه على إغاثةهم سريعا من غير توان وأخبروه أنه إن لم يبادر إلى حسم هذه المادة ويقطع السير والسلوك في هذه الجادة ، وتصير أسنة عزمه مشحودة حادة وأهل الدين من فرط حدة وحدته نادة ، فليس والله دون بلدانك والمهجوم عليك في أوطانك لنا فاقة مانعة رادة ولا جنود لهم مصادرة صادة ، فاختر لنفسك قبل اتساع الخرق على الراقع وراموا من عداوتهم وسخف عقولهم مدافعة النازل الواقع والقدر في سابق الأزل فليس له من الله دافع ، فتعالى وتقدس من لا تحيط بغيه النهى ويقف إذعانا لهيبته المخلصون فيما أمر ونهى ؛ فلما سمع الرئيس مقالهم الفظييع وتخويفهم الشنيع سرى إليه الرعب والوجل ومزج شغاف قلبه ودخل زفره الشيطان والنفس والأمل وما رأى من الحول ومن يسير معه حيث سار من الدول فمز ربا وجل حيث لم يأخذ الظالم على عجل ولا يدعه أيضا همل بل ينتقم منه من مهمل فيما قدر له من الأجل ، فنهى إلى تلك الإجابة واستدعى للسير أصحابه وأزمع إلى ذلك طلابه فكان والله الحمد الدل غايته ومآبه ، فسار مجدا يريد سرعة الوصول

حتى يفوزوا بالمأمول فنزل على الرجبين والوداعين الذين كانوا الخبيث من الساعين، فاجتمع عنده خلق لا تعد ولا تحصى ولا تحسب ولا تستقصى، حين رأى تلك الأم سلك معهم ذلك الأمم وارتحل بمن معه بمن نهج مناهجه، فصار حتى نزل على الخناجعة فتراموا معه من بعيد واقتلوا قتالا شديدا، فلم ينل منهم ما يريد وأقام على هذه الحالة يسدد عليهم سهامه ونصاله وبعد من أسباب السكر ما ينتج الرأى والفكر وكل يوم تطلع شمس وتغيب يحرق ويصدر من القتال فيه بينهم أوفر نصيب، ولكن القريب الحبيب ثبت أقدام أهل التوحيد وكان لهم معينا ورفيق وربط على قلوبهم فلم يمازجها إرجاف ولا وجيب بل كان صدر كل واحد منهم منشرا رحيب، فلما بان له منهم الإفلاس وكان من المراد على ياس رأى أن ليس عليه في الارتحال باس، فارتحل والله الحمد رغما على ذوى الإبلان وأهل الضلال من الناس، فلما ذهب رئيس نجران منصرفا وولى ذليلا منحرفا ورجع إلى بلاده متأسفا وجف قلوب قري الدواسر فكان بعضهم إلى طلب الإسلام مبادر فطلب الرجبين من ربيع الدخول في الإسلام والإيمان، فأجابهم إلى ما طلبوا وأرادوا وعاهدوا على ذلك فزادوا واستزادوا، وأقبل جميع الوداعين وكانوا في الإسلام راغبين وتتابع على ذلك كافة القرى فأغناهم الله تعالى بعدما كانوا فقرا ولكن نفوسهم لم تكن بذلك تطيب ولم يكن لهم إذ ذاك من النور حظ ولا نصيب، ولكنهم يقولون ما برحنا حربا يصاب منا ولا نصيب، فاثقادوا مستسلمين وأذعنوا للدين مكرهين، فلما صدر ذلك عنهم وفد زريع وجماعة منهم على الشيخ وعبد العزيز وأخبره بما صدر، فحمد الله تعالى وشكر وقابلهم بالحشمة والإكرام وأجزل عليهم الصلة والإنعام وطلبوا منه معلما للتوحيد والأحكام، فأرسل معهم عبد الله بن فاضل فكان لوظيفة التعليم فاعل وبقوا على ذلك نحو ستة شهور ثم كان لهم عن الدين إعراض ونفور، ولاشرك ورد وصدور وانشرحت لهم به صدور، واجتمع على ذلك الرجبين والوداعين وخلصوا عرى التوحيد والدين، ودخلوا فيما كان لهم معتاد وسنن الآباء والأجداد وشربوا كؤوس النى والفساد وأقاموا على الضلال في استبداد، وجاء الخبر عبد العزيز بذلك، فجهز لهم سليمان بن عفيصان مع جيش يجاهدكم هنالك ويوردهم من الهلاك مسالك ويقحمهم منه أعظم المهالك، فسار بمن معه بمثل ما قدم عليه مجلا فصب عليهم من العذاب عارض سكوب وشب فيهم لظى الخطوب، ودام فيهم القتل

والقتال حتى أنكأ أهل الضلال ونكد عليهم العيش والبال وضاق عليهم الحال وعابنوا عقوبة الأفعال عاجلا من غير إمهال، فبعد ذلك رفضوا وهابوا ورغبوا في الإسلام ودانوا فطلبوا ذلك من سليمان، فأجابهم من غير توان وشرط عليهم القدوم على عبد العزيز معه في الحال والرضى بما يريد من النكال، فقدموا معه إلى الدرعية راضين بما يصدر عليهم من قضية، فعاهدوا عبد العزيز على الإسلام وشرط عليهم في عقد الأحكام ألفي ريال وألف اتفق أن تسلم في الحال، فالتزموا ذلك وتحملوه ووفوا به وسلموه. وفيها غزا سعود بالمسلمين أدام الله تعالى له النصر والتمكين، خث سيرة ومسراه وكان وصوله عنيزة هو الذي اقتضاه وآه، وذلك أنه نعى إليه صحيح الخبر أن بعضا من أهل عنيزة بحث عن أسباب الارتداد وحفر وتحقق ذلك عنه واشتهر، فعند ذلك أجمع على السير إليهم وظهر، فنزل عليهم بعد أيام وليال ومكث عندهم يستبرى الحال ويتحقق ذلك على يقين لئلا يقدم على ما يريده بتخمين فيخالف قول رب العالمين (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) فلما لاح له شمس الثيق والإيقان من عدول أهل الإسلام والإيمان من سكان ذلك المكان وتحقق ذلك الأمر واستبان، وكان آل رشيد من ذلك النفر واللأمر عليهم بالجلاء وكل من لهم تابع وفي أسباب الشرطامع وأزال منها كل من يحذره ويخشاه وأمر عليهم على بن يحيى لاختياره ورضاه ثم انصرف راجعا. وفيها غزا سعود بالمسلمين يريد بني خالد، فأقام في الدهنا يريد أن يتحسس ويتفحص الأخبار عنهم ويتجسس، فاستقر الخبر أنهم قد أشملوا وثبت عنده فبدأ له عنهم ورفض قصده وانصرف. وفيها غزا سليمان بن عفيصان وجمع من الموحدين وكانوا لأهل قطر في تلك الغزوة مريدين، فأسرع في سيره لأجل قضاء الوطر فلم يلبث أن صبح الغارة آل أبي رميح من أهل قطر، فدعاهم في تلك الأرض على اغترار فلم يتقدم قبله إنذار وحصل منهم للحرب بدار وجولان دون المال والأعمار، حتى أراد الله للمسلمين عليهم الانتصار فانهزموا وولوا الأدبار وقتل منهم نحو الخمسين وأخذ جميع ما عندهم من الغنم والسلاح والأمتعة والركاب ورجع بنيل المطلب وآب، وفي تلك الغزوة صبح سليمان بن عفيصان بلد الجشة من الحسا فلم يشعروا إلا بعد الحرب والهزم والأسى وقدمك عليهم السور وأحاط بهم المكروه والمخظور فاندبوا للقتال وتداعوا للمعجال

ولقاء الأبطال وبذلوا الجبد في الجلال مخافة الاستيلاء على البلاد واستئصال العباد وطال
الحرب بينهم ذلك اليوم وقتلت بعض رجال من أولئك القوم . وفيها أمر شيخ الزمان
وعلمة الوقت والزمان وحائز قصب السبق في الميدان ذو الحجج التي بهرت حين
ظهرت والقواطع التي صدعت حين صدحت والبراهين التي قمعت إذ لمعت وسطت على
الأعداء لما سطعت الزيل عن التوحيد برقه المبين لدوى الأبواب حسنه وموقعه
الجالى دجى الضلال والقالى للغواة الضلال ، كاشف غيب البدع والإشراك القائم في
ذلك حسب الطاقة والإدراك وليس بمداهن فيه ولا تراك ناهج منهج البيان والصواب
محمد بن عبد الوهاب - المسلمين أن يبايعوا سعودا على الإمارة بعد أبيه أطال الله تعالى
عمره وصرف عنه سوء وأجاره وكثر جنده وأنصاره - ومد في أجله طول الأمد
وأجمع له ما أراد وقصد ، فنض إلى كافة الناس وتناوبت البيعة أنواعا وأجناس وأعطوه
المصفقة المحققة من غير التباس ، فانتضج له نهجها واستبان حتى بايع على ذلك كافة أهل
التوحيد والإيمان وتعاقبوا على التزام الطاعة بالإيمان فثبتت له عند ذلك الإمارة
واستمرت وحقت له بعد والده واستمرت وكانت بيعة معلومة مشهورة متفنة بأحكام
الشرع معدودة ، مؤسسة دعائمها على القانون المطلوب الشرعى والمنهج المرغوب الرعى
لا ينزعه أعاده الله من ذلك إلا شرير ظالم ولا يقوم عليه إذ ذاك فيها قائم إلا وهو
متعد غاشم وصل الله تعالى بالائتلاف حبلمهم وجمع على المحبة والاتفاق شملهم وأجارهم
عن ركوب خطر الاختلاف وانتهاج منهج القطيعة والاجتاف وحمائم عن الوقوع فيما
دمر أولئك الجموع وأخلى منهم المنازل والربوع وطهر عن الشحنة قلوبهم وأنالهم
سؤلهم ومطلوبهم وذب عنهم مآذب في الأمم قبلهم من الحسد الذى أهلك الديار
وأهلها ، فلم يبق منهم على أحد وذلك بعد ما عرف أبوه حاله ومسيره وتحقق سيرته
واختبره فترجج عنده ييقين العلم والفهم على التحقيق والجزم ما شرف به من الدهاء
والجزم وما خول من السياسة والجزم وما تلالأ في غرته من طالع السعادة وما لاح
في جبينه من بارق السيادة وما عاناه في رفع منار الهدى من مصادمة أهل الردى حتى
رفع الله تعالى به لدلة الوسطى عمودا وعاد معينها بعد ما كان آجنا مورودا وأورق
به غصن الحق بعد ذبوله وأسفر قمر التوحيد بعد أفوله فرآه أهلا للسياسة وكفؤا
لمنصب الرياسة فحمل أعباءها كاهله فكانت إليه آيلة أهلة . وفيها غزا سعود بالمسلمين

فوافق البيعة أسلاف من عنزة مجتمعين وكانوا إذ ذاك بأرض قنى من نجد مقسمين ولم
يكونوا أولئك نتيجة سيره وقصده . ولكن عر ضواله في طريقه وجده وغنمه الله تعالى
لإسماعله وسعده ، فلما رأتهم من المسلمين أولو التقدم والسبق قالوا هؤلاء أولئك وفق
وعرفوهم على اليقين والتحقيق وكان هذا الطريق أيمى طريق فقد نالوا منه مرادهم
من غير نصب ولا تعب ولا تعويق ، فشن عليهم الغارة المسلمون وأتوا من حيث
لا يظنون فتبادر من عندهم من فارس وشجاع . وانتدب إلى الإفزع وتسربل للطعان
والدفاع وتلاحق من عندهم من العدد ولم يبق منهم أحد ومنهم أنفسهم الغرارة أنهم
يقمعون أهل الغارة فطاعنوا زمنا يسيرا ورأوا أن ذلك لا يجدى ولا يضير وليس
دون الفرار من مصير ولقد صدقوا في العزم والأفعال ولكن عادة الله تعالى في أهل
الضلال سرعة الخذلان والإذلال فانهزموا على الأعقاب وليس لهم دون الدلة والحزى
من مآب وقتل منهم في ذلك المجال عدة من الرجال وغنم المسلمون منهم غنيمة كثيرة من
أنواع المال . وفيها غزا سليمان بن عفيصان مع جمع من قومه أهل الإيمان وقد أمره
عبد العزيز أن يغزو من الحساء العقير فحث لذلك القصد والرام والسير ، فأسرع
في ذلك المنهاج وطوى تلك الفجاس حتى وصل إلى ماء حرض فإذا عويس بن غفيان مع
غزو أهل الحمامة خارجا من الحساء قد عرض وكانوا نحو الحسين وقد خرجوا من
الحساء مغترين ولبدان المسلمين مريرين ، فالتقى معهم أهل التوحيد ونزلوهم منازل
الأبطال الصناديد فبذلوا دون أعمارهم الجهد الجهد وأبدوا من الاقدام ما ليس
وراءه مزيد فأحانهم القوى لثتين قتلهم المسلمون أجمعين كذلك بغزى القوم الظالمين
فأخذوا ما معهم من ركاب وسلاح ثم سار لقصده فرحا مرتاح ، فجد السير حتى صبح
العقير فأخذ ما في الخان من الأموال وصعد القاعة من فيه من الرجال فأقاموا فيها
متحصنين وأصبح بيوت الجريد به محرقين ، أضرم في جميعها النيران سليمان بن عفيصان .
ثم دخلت السنة الثالثة بعد المائتين والألف . وفيها غزا سعود بلغه الله تعالى
القصود ومعه جموع كثيرة هائلة وجنود لا يحصى لها عدد ولا يحصرها أحد ، وتوجه
بني خالد وكان على قائمهم جاهد فجرت إلى مراده السير والسرى وطرده عن عيونه
في ذلك الكرى حتى أراد الله تعالى أن يلتقى الجمعان في أرض بني خالد بمكان وكانت
جموع بني خالد قليلة العدد وأكثرهم متمرقون في أرض تلك البلد ووافى منهم من

العربان والأسلاف قوم دويحس وعبد المحسن من غير خلاف ، فلما طلع عليهم سعود وجنوده كان كل منهم المهروب مقصوده ولم يعزموا على إقامة وبقا فضلا عن مقاتلة ولقا ولكنهم برحوا تلك الساعة يدبرون من الرأي فسيحه واتساعه فأسرعت إليهم من تلك الجنود فرسان وناوشوهم بعض الطعام ولم يطل بينهم ميدان ولم تتفق بمحاولة طويلة بين الفرسان وكان ذلك لموجب وشان ، وذلك أن سعود أحرسه الله تعالى أسره له في ذلك اليوم أن بعض من عنده من القوم يريد الحياة لبني خالد وأنه على ذلك مواعد وتحقيق ذلك الإخبار فلم يكن له إلى اللقاء اختيار فسأل الله تعالى ودعاه وأستخار فأرشدته لحيرته وإرشاده وهياه إلى إرادته وإسعاده ، فانصرف راجعا إلى بلاده ومرا يبلدان أهل القرى فأخذ ما عندهم لبني خالد من الزاد وقتل عيوننا قبل الملاقاة لعبد المحسن ، ولما رجع سعود مع ما أتى معه من تلك الجنود ولم يلتق مع تلك الشرذمة القليلة كان ذلك إلى طغيانهم وعتوهم وسيلة وعلى فتأهم وإذلالهم حيلة وأى حيلة ، ولكنهم لم يحكم الرأي لها عقدا ولم ينظم الفكر لها عقدا ولا أحسن إبرامها التدبير بل القضاء والتقدير . وفيها غزا سعود حرسه الله تعالى بالمسلمين الحاضرة منهم والبادية بعد ما بعث إليهم بالجهاز مناديه فأسرع كل منهم إليه مباديه ، وسار حتى نزل خفيسة الدجاني فينتظر من قومه القاصي والداني ، فلما اجتمعت الجيوش عنده أرسل إلى والده يبين له قصده ويشير عليه بما يشاء ويريد لأن أباه مبارك الرأي رشيد ، فأشار عليه إلى تويني بالوصول ففسي أن يحصل منه المأمول ، فسار إلى ذلك المراد يريد أولئك الشداد وجاءته في أثناء طريقه عيونته حتى تخبره بتوقيفه ، فأعلموه أن جميع الأعداء وأهل الزبيخ والردى كلهم على حمض مجتمعون ، فاجل إليهم ثلاثا يكونوا بمجيئه يعلمون فلم يجتهد أحد قبل الغارة فكانت لهم هي النذارة ، فلما أقبلت عليهم فرسان الإسلام كان لبني منتفق إليها بأس وإقدام وسرعة اختلاط والتحام ، فانكسرت فرسان المسلمين فأمر عليهم سعود أن يفيخوا أجمعين وأخبر أهل الدين والإسلام أن ليس هنا إلا الصبر على ما قدن العلم وتجريد مواضي العزم والهمم ، فعاقبة الفشل والفرار تدم ويحصل بها لفاعلة الندم ، فوطنوا أنفسهم على الزحام وعرفوا أنهم على إحدى الحسينيين الغنيمة أو دار السلام ، فاصطفوا ميمنة وقلبا وميسرة وأقبلت تلك الجوع تصادم كلا منهم فلم يلقوا على المسلمين مقدرة وقد بذلوا دون الهزيمة العذرة فلما لم يجدوا بدا إلى العز والصلابة

وصرفوا أنهم مهما أقاموا ذاق كل منهم حمامه فامتطوا الأقدام في الفرار والانهمزام ولم يصبروا على الزحام ، وكل من أولئك الشجعان رضى بالدل والهوان وأرخص له الأرسان وطاع بها قهرا من غير إذعان ، فغتم أهل الدين والإسلام ما معهم من جميع الحطام على كثرة أجناسه وأصنافه وفرط تباينه واللافه من بعض الحيل والأثاث والأمتعة والحياض والصيوان المشهور الأعلام ، ولما حقق الله تعالى لسعود الإسعاد وأناله من أعدائه المراد وأراد الانصراف إلى البلاد ظن كافة غزاة المسلمين أنهم يصبرون لقرية وأردق بل جزموا بذلك وتحققوه على اليقين لكن أراد أمرا فأراد الله ضده ليخذل الباطل وجنده ويظهر شرف من أراد عزه ومجده ، فلما أتناخ سعود للراحة في القافلة كانت نفسه عن ورود ذلك الماء مصروفة مائسلة وبدا له عن ذلك الطريق لما أراد مولاه له التوفيق وأعرض عن ذلك المراد ، فلم يكن له إليه إلمام لما أراد الله له العز والإكرام فلما استقلت به راحته وثارت وصرف وجهها إلى غير قرية بهتت الغزاة وحارت ووجلّت قلوبهم من ذلك وطارت ، فبادر إليه صالح أبو العلا وأخبره بتعلم أولئك اللاء ، وكان أبو العلا هو الدليل فأخذ يلاطف سعودا ويستعطفه ويستميل حتى أعلمه أنه يريد الشرب من الوفرا ليقضى الله تعالى له أمرا ، فلما علم الدليل ذلك الحال واستولى منه صحيح المقال أخذ يشدد ذلك عليه ويعسر المسير إليه وقال له وهو في ذلك صادق تصل إلى بلادك في أحسن الطرائق قبل أن تصل إلى ماء الوفرا فاختار لنا ولنفسك الطريق الأخرى ، فلم يجد فيه ذلك الكلام فسار حتى ورد الماء تلك الأيام فشرب من الوفرا ونوى بعدها الحفر وجد في سيرة يريد الورد والصدر حتى إذا توسط وغارب البید عن لهم أن على ماء الحفر طلبا رصيد وحزبا يريدهم قعيد ، فلم الله حالهم فلفظ بهم وأنالهم وسقاهم من فيض السحاب شؤبوب وأمطرهم من الرحمة عارض سكوب فاستقوا من ذلك العذب الزلال فطاب لهم الحال ولكن لم يجد خطتهم ذلك الوابل بل كان لإغاثتهم نازل ولربهم هامل ، فنزل عليه يريد جميع الغنيمة فساق الله تعالى من أياديه الكريمة وأهدى له من مواهبه الجسيمة ركبا من سحبان كبيرهم ابن مغجل فقتلوا أجمعين وكانوا قريبا من التسعين ، ثم انصرف إلى بلادهم مؤيدا منصورا مأنوس القلب مسرورا ورايات الإقبال عليه خافقة والأسنة ترفيق الله له ناطقة . وفيها غزا سعود أناله الله تعالى مراتب السعود فسار بالمسلمين

يريد الاحساء نكت السير لذلك المرام والمهجوم على أولئك الأنام حتى أشرف على البلاد وظهر له منها السواد والقتام ، فأناخ على البرز حين غطى الغمام الظلام واستحكم الكرى والنام في مقتل أولئك الأنام ، فلم يتبين من النهار ضوءه وبياضه ويبد من إظلام تقشعه وانتهاضه حتى بدت خيله وحامته وشهت أصوات البنادق رماته وقد كانوا قبل ذلك الوقت والأوان محيطين بفريق العتبان فحينئذ ضوا يريدون الأصوات أجاد كثير منهم أولئك الرماة ، فلم يكن لهم سبيل إلى الخروج بل كانوا إلى السطوح في عروج فدافعوا عن الدخول والمهجوم ، فلم يكن للمسلمين عليهم إقدام بعد القدوم ثم بعد ذلك اجتمع أهل البرز فخرجوا إلى القضاء وجالوا مع المسلمين ساعة ثم رأى سعود الانصراف عنهم وارتضى وأحكمه واقتضى فكره فانصرف عنهم ومر بالمهفوف ولم يرد عندهم وقوف ثم مضى من ساعته يريد الوصول إلى قرية الفضول فأناخ عليهم وسط النهار وشمم للحرب معهم الإزار وأحاطت أجناد الموحدين بأولئك القوم البطلين وأحدثت الفرسان والرماة والأبطال بقرية أهل الزينج والشرك والضلال وغطاهم من فوقهم سحاب الهلاك وحان لهم الاستئصال والإهلاك وأمطرهم من غيم العذاب عارض فكان لنفوسهم الحبيثة قارض وراموا للمسلمين دفعا وظنوا أن البلد تنال بهم امتنا ومنما ، جحدوا واجتهدوا كافة ودعوا آلهم كما هو عادتهم عند المخافة ورفعوا أكف الدعاء والسؤال وأخلصوا النضرع والابتهاج إلى من لم يفرج عن نفسه أدنى الكروب فضلا عن كونه يدفع النوائب والخطوب ؛ فلما فرغ سعود من صلاة المساء له نسيم الصبا فزال عنه الأسا ودعا ربه بحضور قلب وبال أن يحسن له العاقبة والحال ويمكنه من هؤلاء الضلال ، فاستجاب له ربه دعوته وعجل له طلبته وأنجح له سؤله وحقق له مأموله فنهذ إليهم مسرعا ونهض ، وجفه النصر وأقبل عليه الإقبال وعرض ، فشدوا على القرية الحيلة فانتدبوا إلى الفرار جملة ، فلم يلفوا لهم هداية ولا توفيق لكون للمسلمين قد ملكوا عليهم كل فيج وطريق . فعند ذلك كلهم راموا الاختفاء في البيوت والدور فنزل بهم قضاء الله المحتم القدور وحل بهم الأمر المشهور فدخل عليهم في تلك المنازل فوردوا من الحمام أمر المناهل وشربوا منه كأسا وأنزل الله تعالى عليهم بأسا ، فقتلوا قتل النعم وسحبوا سحب الهم وكان أكثر الرجال وجدهم المسلمون وم في بيت من البيوت مجتمعون وكانوا ثلاثمائة نفس فقتلوا جميعا من غير لبس وقتل غيرهم

ذلك اليوم من اختفى من أولئك القوم ، وأخذ المسلمون جميع ما في القرية مما ينقل من المال وأنواع السلاح والحيوان والأمتعة والأواني وبعض الطعام شيء له بال وانصرف سعود إلى بلاده راجعا وقد كان عسكر الحساء ذلك اليوم مقيم ، فلما برزوا أراد منهم السير إلى الفضول مع جميع أهل البرز فأبى كل منهم وما أحرز بل أبدى الذل والرعب وأبرز ونادى على نفسه بالحين والدلة ورضى لها بالمذلة . وفيها توفي الشيخ عيسى ابن قاسم وكان بنشر الدين مجدا قائم وتعليم الناس ملازم رحمه الله تعالى .

ثم دخلت السنة الرابعة بعد المائتين والألف . وفيها وقعة غريميل ؛ وذلك أن سعودا حرسه الله تعالى وأسبغ عليه نواله وإلى جميع المسلمين ومن لهم من البوادي والعربان وسار معه بعض بني خالد الجلاوية مثل زيد بن عريعر وقصد بني خالد وجد في ذلك الشأن وجاءت إلى بني خالد بذلك الأخبار وأسرعت قبله إليهم الأنداز فأرسل عبد المحسن إلى أهل الحساء يريد منهم الدول ويحثهم على ذلك فلم يطع قوله ولم يمثل وحاوهم أخوه ثواب وخوفهم فلم يجد فيهم ، فانصرف منهم على عجل بخيبة القصد والأمل فنزل بنو خالد بأرض غريميل المعروف وكانوا حينئذ جماعة كثيرة وصفوف يزيدون على آحاد الألوف ، وأقبل سعود بأهل التوحيد فنزل تجاههم بتؤدة وتأيد فتقابلت تلك الصفوف وتقاتلت تلك الألوف وبرحوا أول النهار في تجدد واصطبار وجولان بينهم وطراد ومناوشة بعض وجلاد حتى بان وقت العصر وحان وأديت فريضتها على سكية واطمئنان ونشق أهل الدين نسيم الصبا وسبق كل منهم إلى الجلاد وصبا وباعوا على الله ثمين الأعمار آخر ذلك النهار ، فصبر عند ذلك بنو خالد ورام كل منهم أن يقاتل دون ماله ويساعد ، فلم يكن المولى لهم مساعد فزحزحهم المسلمون عن مصافهم العالية وأمست رماهم عن مواقفهم جالية وأمسى المسلمون لأعقابهم نالية وانهزم جميع تلك الأمم ولكن أبيض فرار ومنهزم ، فانهذرت الرماة من رفيع تلك الآكام مشمرة في الفرار والانهمام ، وملك المسلمون محلهم وشتت الله شملهم ولم يرحوا بعد ذلك النزول والانحدار في تسمير الساعد والإزار للانهمام والفرار وكانوا آخر نهارهم وبقية ليهم إلى أسحارهم في هزيمة وانكسار وضياع أموال ودمار ، لا يلبى أحد على ماله وأهله ولا يزوم سوى نجاة عمره لفتح فعله وحق للمسلمين والله الحمد عادة الله ووعدده وعمهم فضله وإحسانه ورفده وتفضل عليهم بتلك الغنيمة

العظيمة ففروا تلك الأموال الجسيمة ولا يكن سعودا نهج معهم منهج الكرم العدود وأحسن فيهم السيرة ولم يؤاخذهم بما سلف منهم من الأمور الكبيرة وسابق تلك الجريرة وما راموا من الأمور الضريرة، فما جار فيهم ولا قطع بل أعطى ومنع ووصل ورفد ولم يعاقب منهم أحد، وأسدى إليهم المعروف وتطول وأبدى إحسانه عليهم وتفضل واختلف حال أولئك العربان بعد ما حق عليهم الدل والهوان فبعض صار وجهه من ساعة الهزيمة الفرار إلى الأحساء فازداد هوانا وتعسا، ولم تزل فرسان الموحدين في أثرهم طالين ولا أكثرهم مدركين فلم ينج بما عنده إلا القليل مثل ابن جرذى وغيره فما كان عليهم من سبيل وبعض صار وجهه إلى سيف قطر وذلك عبد المحسن وعيال عريعر الذين معه وبعض من جماعتهم فكل قصد الزيادة، وصدر واختارها لنفسه بعد التأمل والنظر والفكر، وأكثر أهل البوادي والعربان اختاروا الاستقرار في الحساء والاستيطان فشمروا في طلب الأمان من سعود والدخول في حوزة أهل الإيمان فأعطاهم ذلك وأنالهم فأدركوا منالهم، ولما انقضى شأن غريميل كما سطر. وقيل أراد سعود حرسه الله تعالى من زيد بن عريعر أن يسير معه إلى الحساء حتى يقيم فيها علم التوحيد والدين ويزيل ما فيها من بدع الباطلين، ويحقق على أهلها اليهود في الدخول في الطريق المحمود حتى يستمروا على سنة خير المرسلين ويقبلوا عما كانوا عليه من سنة آباؤهم الذين كانوا لهم مقلدين وبآثارهم وآصارهم مقتدين فأبى عن ذلك وتعلل وتضجر وتعملل، فأراد سعود إليهم الوصول حتى يتم المقصود والسؤل فارحل من ذلك المكان يريد ذلك الشأن، وفي أثناء ذلك الطريق عن في قلبه أمر وخطر صرفه عما إليه بدر فشمروا للظهور والنجدة فظهر. وفيها غزا ربيع المسمى قاعد بجماعة من قومه فشمروا لعزمه الساعد وسار بمن معه وساعده وتبعه يريد بعض البدوان ممن صد وأعرض عن الإيمان، فلما أشرف على بني هاجر وكاد أن يكون عليهم غائر وجمعهم مشتتا كاسر سول الشيطان لأكثر من معه من البدوان وغزاة العربان أن يخلعوا حلة الدين ويفتكوا بالمسلمين، فلما أغار على عرب بني هاجر انخزل عنه أكثر من كان معه سائر وصار غالب أهل البادية على من بقى معه عادية ولم يثبت مع جيش المسلمين سوى ابن قرملة وأحمد بن نجان فكان لهما ثبات على الإيمان، فعند ذلك اشتد الكرب والبلاء على المسلمين من ذلك الملا ووقع بينهم القتال وحمل بينهم

الجهال واستمر الطعان والضرب واشتد الخطب والكرب من آخر النهار إلى هزيع من الليل والأبطال تمحى في ذلك المعرك الحيل، فقتل من المسلمين نحو العشرين وأخذوا منهم مثلهم مأسورين وكانت تلك الوقعة تسمى الليلة عند أولئك البرية فبعد صدور تلك القضية طمعت في الردة النفوس الشريرة وأهل الأفعال الرديئة، فارتد جاهر وحويل ومن معهم من الأقوام وعدلوا عن مناهج الإسلام. وفيها أرسل غالب الشريف إلى عبد العزيز حرسه الله تعالى كتابا وذكر في أثناءه أنه يريد إنسانا عازفا من أهل الدين حتى يعرف حقيقة هذا الأمر المبين ويكون فيه على بصيرة ويقين، فأرسل إليه عبد العزيز الحصين كي يشرح له بلسان الخطاب وجه الحق والصواب ويزيل عن حياءه النقاب فيبدو عند ذلك لألاء السنة فيدعو حيثئذ لمن أوضح هذا السبيل وسنه وكتب معه الشيخ إليه رسالة بين فيها دعوته ومقاله: ونصها بعد البسملة من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام نصر الله بهم سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وتابى الأئمة الأعلام، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد جرى علينا من الفتنة ما بلغكم وبلغ غيركم. وصبيه هدم بنيان في أرضنا على قبور الصالحين ومع هذا نهيناهم عن دعوة الصالحين وأمرناهم بإخلاص الدعاء لله، فلما أظهرنا هذه المسألة مع ما ذكرنا من هدم البناء الذي على القبور كبر على العامة وعاضدهم بعض من يدعى العلم لأسباب ما تخفى على مثلكم أعظمها اتباع الهوى مع أسباب آخر فأشاعوا عنا أنانصب الصالحين وأنا على غير جادة العلماء ورفعوا الأمر إلى الشرق والغرب وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها وأنا أخبركم بما نحن عليه بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام فنحن والله الحمد متبعون لامتدعون على مذهب الإمام أحمد بن حنبل وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك وأنتم تعلمون رحمكم الله أن في ولاية الشريف أحمد بن سعيد وصل إليكم الشيخ عبد العزيز بن عبد الله وأشرفتم على ما عندنا بعد ما أحضروا كتب الحنابلة التي عندنا عمدة كالتحفة والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب أهزه الله ونصره امثلنا وهو إليكم واصل، فإن كانت المسألة إجماعا فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد

فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه وأنا أشهد الله وملائكته وأشهدكم أني على دين الله ورسوله وأني متبع لأهل العلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، فقدم عبد العزيز الحصين مكة المشرفة فأكرمه غالب وشرفه واجتمع معه مرات عديدة وعرض عليه رسالة الشيخ الفيدة فعرف ما بها من الحق والهدى وما نفعه من الباطل ، والردى فأذعن بذلك وأقر ثم بعد مدة أبى وكفر وتمسك بقديم سنته وأصر وطلب منه عبد العزيز الحصين أن يحضر العلماء معه فيقف على كلامهم ويسمعه وينظرهم في أصول التوحيد فأبوا عن الحضور وقالوا هؤلاء الجماعة ليس عندهم بضاعة إلا إزالة شهج آبائكم وأجدادكم ورفع يدك عن معتادك وجواز بلادك ، فطار له وارتعش قلبه . ثم دخلت السنة الخامسة بعد المائتين والألف ، وفيها غزا سعود أدام الله له السعود غسار المسلمين وجدوا السير مشمرين وأنضوا الجياد والركاب في ذلك التسيار والذهاب ، ولم يزل يعنى وينص في ذلك السير حتى قارب أن يشرف على عربان من مطير كبيرهم الحميداني وأسلاف آخرون في أرض الجريسية مجتمعون وقد سبق إليهم الإنذار ولكن لا يرد الحذر الأقدار فعبطت لهم قيلة وكانوا مع ذلك على مهلة ، فرحلوا وهجوا وجدوا فيه وهجوا ونادوا بالويل وضجوا ، فلم يكن لهم عن الأقدار من مطير ولا فرار فخانهم بأرض الجريسية الجبار وخانهم كما هو عادته الغرار فصبحهم الجند الكرار والحزب الذي هم ليسوا في اللقاء فرار والعصابة التي هم للدين أنصار وللتوحيد حماة وأعوان وأصهار ، فاولت تلك البوادي أن يردوا الفرسان العوادي وحالوا معهم في الميدان وصار بينهم قتال وقتل وطعان حتى علاهم البأس الشديد والهلاك الأكيد من حماة التوحيد فأخذوا غير بعيد ونفذ فيهم الوعيد فانهزموا أجمعين واستولت أعقابهم خيل الموحدين وقتلوا منهم نيفا وخمسين وغنم المسلمون مائة منهم من الأموال من الأمتعة والآثاث والزاد والغنم والآبال ورجع المسلمون بنيل الآمال . وفيها مات عبد العزيز بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أحسن الله تعالى له المآب . وفيها أظهر الشريف غالب كيدا لم يظهره قبله محارب ورام أنه لأمر الله غالب فقاد من الجيوش والأحزاب والحضر والعرب والأعراب ما لا يكاد يحصى رقه القلم في كتاب وحشد البدوان من كل شعب وفج وساقهم من كل واد ونهج وجمعهم من كل ناحية وبلاد فأقبلوا يهرعون إليه من كل واد وجاءوا بأهبة واستعداد وسارت له الرسل والركبان إلى

(١٠ - تاريخ نجد - ثان)

جميع القرى والبلدان تطلب العون والنصرة والسكر ساعده وأنجح أمره ؛ فلم يدع بلدا ولا قرية له أو حوله أو يظن منها الإعانة إلا أرسل إليها فورا رسله وركبانه ووصلوه بما يصلح شأنه ويقوى تجبره وتكبره وشيطانه وتمالأ معه الخلق كافة وما كان من الله تعالى مخافة بل جدوا معه وقاموا وسهروا في منامهم الليالي وما ناموا فباخيتهم وما طلبوا وما راموا أبحار رب العزة والجبروت ومن بيده الملك والملكوت ؟ أينادي بالحراية أصل الإسلام ؟ أينادي على هدم أساسه جميع الأنام ؟ أيسعى بالوهن إلى حمى التوحيد ويتداعى على إزالته بعد التشديد ؟ أينشلون إليه من كل حدب وينسل له ذوو الحاجة والأرب ولا يهاب جناب الرب ويرتعب ، كلا لقد عميت الأبصار والبصائر وأنسد نهج الإنصاف فليس إليه عابر وعدل عن منهج البيان فأضحى عياه غابر وترك عين الشريعة فكاد نعيمها أن يكون غائر حاموا على سلف الجدود والأبوة وبذلوا فيها النجدة والقوة وتمسكوا في الحقيقة بتلك السنة والطريقة والتمسوها أشد التزام ، فلم ينكفوا عنها على الدوام رخص عندهم في استقامتها نفيس الحطام وهان لديهم فيها البذل والتسليم والاستسلام بل رخص عندهم ما هو أعظم وأجمل وأنغم وأكل وأجل وأعلى وأرفع قدرا وأعلى الأعمار وجواهرها وأرادوا المناصب وظواهرها فهانت عندهم الرقاب والأعمار وركبوا لها ركاب الأخطار وطرحوها في ميدان القمار وألقوها في ذلك المضمار فكانت عقابهم الحسران والدمار ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله وكل يجازي بفعله ، فلما رأى ما اجتمع في فئاته ورجاله وما نزل في أوديته وشعبه وما ضمه إليه تطلاب ركابه من أولئك الخلق والجوع والأسباب والملا الذي طبق وأوسع الفجاج والفلا ركض برجله وتجر وعسلا وشمخ بأنفه واعتلا وزين له الشيطان أملا وسعى إليه عجلا وتحكم في قلبه أبو مرة ونفذ فيه غيه وأمره وزخرف له مكره وغدره وحقق له في مرامه سولا وحته على التسيار وصولا وكان ذلك إلى تسوية حيله ، فاسترع إليه وحرض عليه قبيله فبادروا إلى الخروج وسعى إلى ذلك النهج المنهوج وأظهر سريعا امثال الطاعة لما رأى عنده من قوة الأسباب والاستطاعة فكانت والله الحمد بضاعته أخسر بضاعة فلما آن أن يبدو لظهوره شمس وحن أن يتبين في جبينه نحوس ويخسف في أفقه نجم سعده ويكشف بدر توفيقه ورشده ويقف الخلق على ما أملوه من مجده وترجع أبصارهم خاسئة بعد مطالعهم لبركته وعينه وجده

ومشاهدتهم: أول صارم عزمه وجدته وأقول كوكب عزه ونصره وقده قد جزموا وحكموا وفهموا وعدوا أنه يفتح نجد بنجده ويكسر حزب الموحدين بأسبابه ووجده والأسرار التي وصلت إليه من جده (سبحانك هذا بهتان عظيم) يشهد به كل ذى علم وعلم وقلب على الحق مستقيم، جهز عبد العزيز الشريف مع كثير من تلك الأجناد والأمم وعجلاه في السير إلى نجد فصار إليها وأم، واثالث أيضا إليه من الأعراب قبائل وأصبح كل سوادهم إليه نائل وأقبلوا بأجمعهم إليه عاجل وارند كثير من أسلم لأجل ذلك التيسار والسير منهم حسين الدويش وعربان من مطير وتظاهر بأسباب الردة في كل بادية وبلدة خلق كثير لا يحصون ولا يعدون ولا يستقصون، وبدا للشرك دخان وضرام وعلا منه بالأفق قتام وجنح إلى الضلال بعد الإسلام من الناس قتام وتبين العناد جهرا والشقاق وتفق والله سوق النفاق بل نجم وقام على ساق، ولكن والله الحمد لم يحصل لأهل ذلك مراد ولا اتفاق، ولم يبد شمس مطلوبهم لإشراق، بل شاهدوا من الهم والغم على نصرة الدين وأهله ما أوصل أرواحهم إلى التراق وأسقامهم من صرف الأسف والحسرة كأسا مريرة المذاق، فلم يبرحوا حتى الساعة في قيد من البلا وأعلاق، وأسر دائم وإفلاق حتى يكون من الثرى تحت أطباق، فسار عبد العزيز الشريف مع تلك العربان وكافة الأعراب والبدوان وأكثر الأسلاف إذ ذاك معه قحطان فنزل سريعا على قصر في السر يقال له قصر بسام ولم يكن فيه إلا قريب العشرين من الأنام، فأناخت تلك الجموع حوله وكان لهم عنده ضوضاء وعولة وأصوات وزعقات وجلبة هائلة وضجات، وحملوا على ذلك القصر أعظم حملات وراموا الصعود إلى تلك الشراقات وراموا الأسباب والسلام والكل على التسور عازم، فأبعدهم الله تعالى عنه وأزاحهم منه فصارت تلك الحملات عليهم خزيا ونقمات وأعقبته هوانا ومذلات، فلم يدرك منهم فائدة ولم يحصل على مراد ولا عائدة، فانصرف خاسئا ذليلا وأقام في أرض السر زمنا طويلا نحو من أربعة شهور ينتظر من أخيه غالب الظهور وفي أثناء تلك المدة المذكورة والإقامة المسطورة عزم على الرجوع إلى ذلك القصر والعود فرجع إليه فلم ينل ما أمل من الریح والقود، فلما نزل عليه وأناخ حوالبه عزم، وآلى وأقسم بالله تعالى أن لا يرج عنه حتى يقتل أهله ويخرجهم منه وعزم على ذلك الأمر وصمم على اليقين فجزم جميع من معه أنهم يستولونهم على يقين وينالون منهم التولى والتسكين، فدهموا

بالسلام الجدار محتدين ولبس الدروع من يريد الصعود لأجل التخصين وأنوا ذلك اليوم بكيد أزعج ألباب أهل الدين ورعبت قلوب الموحدين ولكن أراد الله لهم النصرة والتسكين وإعلاء كلمة المسلمين ونجاة عباده المؤمنين فظهرت حكمة رب العالمين وبان خزي المبطلين وتحقق حينئذ أهل الإيمان والإسلام أن جميع الأنام لا يقدرון على إيجاد ذرة فضلا عن إيصال مضرة فزادهم إيماننا مع إيمانهم وأقرهم في أوطانهم، وقد قتل من جماعة الشريف وقومه في المرة الأولى والثانية في يومه رجال كثيرة وصارت حاله في ذلك شهيرة، وفي أثناء تلك الليالي والأيام أمر عبد العزيز الإمام أهل الإيمان والإسلام أن يرددوا مواضع العزيمة ويصدقوا النية في الجهاد لدى العطايا الجسيمة فقد أقبلت إليكم الفتنة العظيمة والمحنة التي أرجو أن تكون لكم منحة عميمة وأرسل بهذا الإعلام والإخبار إلى المسلمين في جميع الديار وحشمهم على سرعة المجيء والتيسار فأقبلوا بعد الجهاز إليه وأمر سعود بالظهور فظهر ونزلوا عليه وأقلم سعود في أرض ربحين عند البلدان حتى تلاحق به جميع أمداد أهل الإيمان ثم بعد ذلك أمر حسن بن مشاري مع بعض البادية أن يغزوا تلك العربان المعادية التي هي بالشر مبادية فنهضوا سراعا، فلم يفجأ بعض العربان التي مع الشريف إلا بالجليل العادية، فأخذوا بعض الإبل ورجعوا بعد حصول الأمل، وفي تلك الأيام أرسل سعود حرس الله مجده وخلده سعده تعيمشام مع جمع من المسلمين إلى أهل الوادي لكون أكرهم عن الإسلام مرتدين وهم قوم خويل وجماهر، وقد أرسل إليهم غالب الشريف بعض العساكر وأمر فيهم شريفا يسمى شاكر وكان أكبر تلك الأقوام بنى هاجر، فسار تعيمشام لذلك السبيل ولم يكن له دون ربيع ومبارك من تأميل ولا مرام ولا تحصيل، فأسرع بهم اللحاق وحصل بهما له الاتفاق واستضاءت بقدمه لأهل التوحيد تلك الآفاق فلما قدم تلك البلاد شمر مع ربيع ومبارك ومن معهما للجهاد فخرجوا إلى اللددام سائرين ولأهل الباطل المجتمعين فيه قاصدين، وكان أهل الردة وجميع العسكر قد نزل حوله وعنده فقصدهم أهل الإسلام في بعض الأيام وجرى بينهم قتال والتحام والتهبت نار الطعان وثبت الله تعالى للمسلمين الجنان فشدوا على أهل العصيان فانهزموا ولم يبق منهم للجلاد اثنان وبادروا البلاد وقتل منهم ذلك اليوم عشرون في العدد منهم من آل شري أربعة رجال وقتل من المسلمين ثلاثة ورجعوا بأحسن حال. ثم بعد ذلك وصدوره

بأمد غزا سعود بمن معه ونهد وجرد مرهب البأس على أولئك القوم وجرد فأوخذ وأعنى بذلك السير حتى صبح أسلاف مطير عربان حسين الدويش الذين هم للحرب محمد السنان وتريش، فلم يرعهم إلا رجفة الأرض من سبابك العرب والأسنة تلعب في ضياء الشمس مثل ضوء الشهاب والبوار التي تبيض مثل البروق في خلل السحاب أو لمعات النار في الالتهاب فتلقته أولئك المطران وأقبلوا عليهم مجتمعين في قران كأنهم أجنحة النسور والعربان، فرام أولئك العربان أن يسقوا عطاش المران من نحور أهل الإيمان، فأبى الله أن يدنس واضح غرهم هوان أو ينال من ضررهم إنسان أو يصل إلى تلك النحور التي هي ممر لألفاظ القرآن من أيدي الأعداء سنان، فأيدهم الله تعالى بعزه ونصره وخذل العداة بقدرته وقهره، فقتل المسلمون منهم فوق العشرين وأخذوا بعض الإبل ورجعوا سالمين ولما جرى على عبد العزيز الشريف وقومه ما جرى من الدل والخزي بقي حائرا متندما متفكرا فلم يجد له الرأي ما ينتفع له المراد إلا الكذب على أخيه غالب حتى يخرج من مكة إلى تلك البلاد فأرسل إليه الرسل أننا قد أدركنا الأمل وأما أخذنا بلدانا فأنت أنت والأمداد على عجل فقد رعب أهل الوطن والمحل والكل قد جبن وذل فلما جاء ذلك الخبر بادر إلى ذلك وظهر فرجع والله الحمد بالذلة وصدر وناوأ المسلمين ونواهم بالقطيعة فما قدر وبذل وسار بمدافعه وقتابره وجاء والله بالكبر وأتى معه من الأسباب والآلات ما لا يؤمله البشر ولا تعبر تياره الفكر وكانت حاله لكل معبر عبرة من العبر وآية دالة على الوحدانية وصدق هذه الدعوة لكل من سمعها فضلا عن شاهدها وحضر وبرهانها لا محالة لأهل التوحيد من يأتي بعد ومن غير ودليلا فاضحا لأهل الضلال والزيغ والغير فسبحان من حجب عقول من شاء عما أبدى من الآيات وأنشأ وطبع على قلوب الضالة عن إدراك المعرفة له وقذفها في مهواة الدرك الأسفل من الدرك وألقاها تعانى فيه ما أعده لها وأودعها فيه وترك وأخذ بمن أحب ذات اليمين فاختر كل منهم ذلك الطريق وسلك. اللهم لا تهلكنا فيمن هلك واجعلنا ممن دان نفسه وقرنها وملك واجعل لنا من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا وفلك. وكان خروج غالب في شهر رمضان الذي فيه تغلق أبواب النيران؛ فلما خرج غالب ظعن عبد العزيز ومن معه من أرض السر وارحل حتى وافى أخاه غالبا على الشعري فاجتمع معه ونزل واستقر بهم القراء

في تلك الأرض وكل يوم يصدر منهم إلى تلك القرية نهض ويحرق منهم بأس وشدة واصطلام وحدة وسقط للأعمار وعرض، وقد عزموا على استئصال أولئك الأنام ونيل الدين والإسلام ولم يخشوا قبيح الآثام يوم الوقوف والعرض، كيف لا وأكثر البوادي به لا يصدقون (كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون) وأقام غالب وجنوده وكل يوم ترجى سحب العذاب على تلك القرية رعوته ويهددهم بالاستئصال والإهلاك وعوده وأسبابه وآلاته وكيدته على مصداق قوله شهوده ويقسم بالله العظيم الواجب وجوده لا تفارق نجدا حتى تدمرها عساكره وراياته وبنوده ويتم له مراده وسؤله ومقصوده، فأبى الله إلا أن يدوم عليه حزنه ونكوده ويشمت بهوانه وذله وخزيه عدوه وحشوده ويتألم لما ناله بحبه وودوده. فرجع والله الحمد ذليلا متندما هو وقروده وعادت سنائير أشباله وأسوده وأرضت أرناب قفر وبغات نسوره وفهوده فتبارك الذي بيده الآيات البينات ويرفع الأعلام على انفراد بالآلوهية والعبادات ويأبى أهل الزيغ والضلالات إلا إصرارا ونفورا، صرف سبحانه الأحكام للناس وبين، وصرف قلوب أعدائه عن الهدى لما تبين، وأبدع الأرض وما فيها والسموات وحفظها وزين (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) ولما انصرف الشريف غالب مرعوبا غير مدرك لما هو طالب بل مقتول من جنوده كثير من الرجال مشتت الفكر مكدر البال وجاء الخبر سعودا عن رحيله وانصرافه أمر محمد بن معقل مع بعض من المسلمين أن يتبع أثره ويغير عليه من خلافة، فبادر محمد لما أمر وجد في ذلك الأثر فأغار على فريق من فحطان فأخذ عليهم إبلا كثيرة ففرغ عليهم منهم فرسان وجالدوا ردوها فلم يقضه الله لهم فما كان وأخذ من الأفراع خمسة عشر فرسا بخيعة كريمة ورجع بأوفر غنيمة. وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له بالتمكين والسعود فصار بالمسلمين وأدب في ذلك السير يريد شمر وعربان مطير ولم يبرح يحدث في مسيره وينتضي فيه عزما ويجرد له همه وحزما حتى أدركهم عند جبل سلس ولم يفهموا عن مجيئه خبرا ولا علما، فأناع في ذلك المكان عند ماء يقال له العدو وكان عنده عربان يدعون البراعصة والعيات قد نزلوا حذوه، فلما قضى من الصلاة شأنه ودعا الله أن ينزل عليه نصره وسكينته وثبت جلته وأن يذل ويهزم بحوله وقوته عدوانه وصبح أولئك الأسلاف والعربان وشنت خيله أزة على البدوان، فعند ذلك نهض أولئك المردة العتاة الأباليس وكلهم ما بين معلم ومقلص

وشاكي السلاح ملايس ورئيسهم ذلك اليوم حصان إبليس ، فطاعنوا حتى وهنوا وشاهدوا من الأهوال ما اختاروا عنده النمل وركنوا وجدوا في الدفع عن الأعمار والأموال والظعن ، وبذلوا في ذلك من البأس ما لم يبذله أحد من الناس في سابق الزمن حتى كتب الله تعالى عليهم ما كتبه على ذوى الضلال والفتن وأجرى لأرحدين عليهم ما أجرى على إخوانهم من ذلك السنن فشمروا في الانهزام والفرار وحسدوا في الأدبار والانكسار وكان للموحدين عليهم الدولة والانتصار ففتح الله تعالى المسلمين جميع أموال الكفار واستولوا على تلك الأمتعة والأثاث والغنم والإبل وقتل حصان إبليس وولده ولكنه ركب غيره فاذل ولا انحذل بل أخذ يركب العقول ويملو قلوب الفحول فضلا عن صهوات الحيول وقتل أيضا منهم أبو هليلية وغيرهم رجال وانهزموا بأقبح حال ، ولما قطع الله تعالى وصلهم وجذ جبلهم وشتت شملهم تفرقت تلك البوادي والفرسان تندب من حولهم من العربان وتخبرهم بما صدروا كان ، وكانت تلك البوادي ترعى الغنم وقسم البهم في فياض أراضى سلما ، وتحسب أنها تنال بذلك أمنا وسلمنا ، وترد على رغم العداة زلال ذلك الماء ، وقد أغراها الشيطان في نفسها وأغواها وزين لها أن ليس أحد يرومها ويقواها فضلا عن كونه يود مصادمتها ويهواها حتى أوردتها من الهلاك مهواها وحينئذ وقف عليهم وناداهم بدعواها هذا جزاء اغواة ومثواها إنها تهلك النفوس بطغواها فلما جاءتهم الأخبار من أولئك الأشرار بشرح حال تلك الواقعة جرعتهم كؤوس السم الناقعة وكانت ألباهم منها نادة فاقعة فتداعوا إلى النصرة أقواجا وملثوا لها مهامه وجفجا وهيئوا لها سببا ومنهاجا وانضم إليه ممن حولهم كل ذي عمود وكان إلى تلبية الداعي إجابة وعمود ومبادرة للاغاة ونهود واجتماع على ذلك الباطل وشهود وعقود ، وإحكام الثبات وعدم الفرار بأوثق العهود ، فأقبل كل منهم يولى على عدم التولى وبذل المجهود وجاءوا بالنساء والأطفال والطافيل والآبال وجميع الغنم والأموال حتى يصدقوا البأس ولا يكون عنها صدور ، فأوردتهم ذلك البغي الطريق للسدود والنمل الذي كان لهم إلى حياضه ورود ونال المسلمون بذلك الأمر المحمود ، فحين أقبلوا على المسلمين يزحفون وهم على ذلك الماء أجمعون تأهبت للقائهم الفرسان واستعدت لطنانهم الشجعان والكل صدق ذلك اليوم من أهل الإيمان فلم يستتر بالنمل والجبن منهم إنسان سوى بعض فرسان من البدوان ، وكان

ورودهم على المسلمين مساء قبل الغروب وقد أبرموا الحيلة فيه فقالوا ندهمهم قرب الليل فإن كان منهم الهروب اشتفت منهم القلوب وحصل لنا النى والمطلوب وإن كان الفرار منا كان الليل منجاة للمطلوب فلا يدرك الطالب منه مرامه ويجد السير والسري والليل أمامه وقد نشر على السارى أعلامه ويعمى أثره وأعلامه فحملوا على أهل التوحيد حملة ليس وراءها مزيد وقيد زين لهم إبليس أن يجعلوا الإبل لهم عن الرصاص منترس ، فساقوها أمامهم وصبر المسلمون حتى قاربت خيامهم فملوا بعد ذلك على من ساق تلك البهائم فهزمهم وصارت الإبل لهم غنائم وقتل من الشركيين كثير في تلك الحملة منهم ابن الجربا من غير مهلة وأبرزت فرسان الكفر والإشراك من التهور في الشجاعة ما لم يصل إلى أدناه ذراك ولم يذكر له نظير في العرب والآراك ولكن تلقتهم الحماة بالصدور وسمحوا كما هو العادة بالأرواح والتحور وصدقوا في الاشتراء والابتياح وقالوا والله لا نضيع ولا نضاع فأسمى كل منهم ببذل العمر مطواع وإلى الشهادة قلبه نزاع حتى حفرهم مولاها بوعده ونال منهم غاية قصده وأزل عليهم النصر والسكينة وكانت قلوبهم على الثبات راسخة رصينة وأجرى في أعدائه سنته وأجزل على المؤمنين فضله ومنته ، فانهزم أهل الضلال بعد ما أفرغوا الجهد والحال (وما كان لهم من الله من وال) وكان ظلام الليل في بدو وإقبال وولوا على أعقابهم في الأدبار وكان ضوء النهار في إدبار ، وكان ذلك من نتائج الأفكار ولكن الله الكريم بفضله العميم أنال المسلمين من أموالهم ما لا يخطر على البال وأذاق الأعداء أليم الوبال ، فشر المسلمون في أثرهم الأذيال بعد أداء المكتوبات من غير استعجال وتناول بلغة من الزاد على إسهال ، واستمر الطلب في أثرهم أياما وليال والمسلمون في أثرهم مجدون حتى تركوا أغلب الأموال وهربوا بالنفوس يسرعون فتراجع حينئذ المسلمون عنهم وجمعوا جميع ما حووا منهم من الخيل والأمتعة والغنم ما لا يكاد يحصل مثله وينتم فالذى اجتمع عند المسلمين من الإبل يزيد على ستة آلاف ومن الغنم فوق مائة ألف بلا منازعة ولا خلاف ولا غلو في القول ولا إسراف سوى مامات في القلاة ، فلم يكن إليه التفات ورجع المسلمون بالعز والإقبال وباء أهل الضلال بالاذلال وقتل منهم بعض رجال منهم مسلط بن مطلق الجربى الذى زاد في الشر وأربى .

ثم دخت السنة السادسة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود لازال إلى المالى

في صعود فسار بالمسلمين يريد القطيف وبلدانها حين أراد الله تعالى ذلها وهوانها وأن يدمر أهلها وسكانها ويمزق منها أصنامها وأوثانها ويحزى أربابها وأعوانها. فسار في ذلك مجداً ولبغتهم مستعداً، فلم يستكمل الليل راحة وإناخة حتى كان الحظ مراحمه ومناخه، فأمرت رواحله به مناخه وحطت خيله وفرسانه فيه يمينا ويسارا وخطر خطيه في فئانه تبخترا وافتخارا وسابق النصر الاقبال إليه وجارى، وألنى جميع تلك القرى بلا شك ولا امتراء قوما فخارا قد خلعوا من أعناقهم شعار الحنيفة وحلوا آصارا وخرقوا الملة السنية فنالوا به أوزارا وأطفئوا مصابيحها السنية ورفعوا للرفض منارا وأقبلوا على عبادة آلهتهم ليلا ونهارا وزادوا في ذلك غلوا وعلوا واستكبارا، ولقد جاءتهم النصائح فأعرضوا عنها ازورارا (وقالوا لا نذرن آلهتكم) وأصرواعليها إصرارا وبارزوا في ذلك إعلانا وإسرارا من أحاط بالأشياء علما خفية وجهارا واستمرت جياده تجول وتبارى حتى عرف قصده وحققه معرفة واختبارا فأحاطوا بسببات بعد ما تلاأ الضوء وزاد إسفارا وكبروا في نواحيا إعظاما لله وإكبارا فملكت قلوب أهل الضلال حين شاهدوا ذلك الحال ورأوا ذلك القتال مهابة وانذاعا وصبروا ساعة تجلدا واصطبارا وهو أن يحفظوا جوانب البلد فلا يهتك المسلمون منها دارا، فأرغم الله تعالى أنوفهم وعجل لهم هلاكا ودمارا فتسورها المسلمون وهجموا فيها زمرا وأتظارا وقتلوا من فيها فلم يجدوا لهم من آلهتهم أنصارا وأسقتهم قواضب الموحدين وأسنة المسلمين كؤوس الردى فنالوا هوانا وخسارا وشربوا منها عبيطا يزيد احمرارا فقتل منهم ذلك اليوم خمسة عشر مائة إقلا وإكثارا واستولوا على جميع ما فيها من الأموال التي لاتعد ولا توصف ولا تحد استعظاما واستكثارا، ثم قصد المسلمون القديح فقدحت فيه زنادهم فأورت نارا ودهمهم المسلمون فأشعلوا فيها للموت نارا واستولوا على ما فيها من الأموال التي لا تامل ولا تبارى، فعند ذلك أيدت بلدان القطيف جفلة وهزيمة وانكسارا، فاستولى المسلمون على العوامية وعنك وغيرهما لما أخرجوا أهلهم وعمدوا إلى القرصة وراموا بها حصارا، فأحاط بها المسلمون ودعوههم إلى الاسلام فأبوا إلا كفورا ونفارا وأقاموا أياما يقاسون ذلة وجهدا واعتصارا حتى بذلوا للمسلمين ثلاثة آلاف زر قبلوا ذلك وعجلوا بها إحضارا ولما أزال المسلمون ما فيها من الأوثان، ومعبودات الشيطان وكنائس الرفض والطغيان فأصبح أهلها عليها حسارا وأحرقوا

تلك الكتب القيحة بعد ما جمعوا منها أحمالا وأوقارا ارتحلوا إلى تلك الأوطان في غاية من السرور والتهان وقد حازوا أجرا ونفارا. وفيها توفي شيخ الإسلام وعلم الأئمة الأعلام التبحر في العلوم النافعة المفيدة والمعاني التي لم تبرزها سوى فكرته الحجيده ذو الفكر الوقاد والدهن النقاد الغائص على درر التوحيد في قعر البحور الفالق عن جواهره الأصداف حتى زين بها النحور المستنبط من كتاب الله تعالى ما يقصر عن بعضه الفهم ولا يقدر على إبراز شذرة منه ذوو التدقيق في العلم المتفنن في فهم القرآن والاستنباط فلا يقاس قعر تبوئه ولا يتعاص ولا يحاط، المنفرد في نشر أعلام التوحيد القائم فيها لله تعالى بالتجريد المؤيد فيها بالإعانة من الحميد الحميد المسدد فيها بيدي فيه من الدقائق ويعيد النصور من الله تعالى على كل جبار عنيد وعالم ضال مضل مرید الذي بهر علمه حين ظهر وشاع صوت فضله واشتهر وطبق أطباق الأرض صيته وانتشر قامع أهل الشرك والضلال وراوع ذوى الزيغ والضلال معز أهل الدين والإخلاص والجمع ومذل ذوى الإلحاد والأهواء والبدع من أصبح محيا الدين به وأضحى منيرا وظلام الضلال متفشعا مستظيرا وثمر الحق متبسما تبجحا وتبشيرا وأصبحت به السمحاء مرفوعة العماد ثابتة الأطناب والأوتاد قائمة على نهجها في البادية والبلاد يؤمها الحاضر منهم والباد، فأرشد الله تعالى بدعوته كثيرا من العباد وهلك من أراد الله عليه ذلك فأعرض وناد، فلم يحضر للدعوة ناد، المقيم من السنة لاجبها ونهجها القوم منها ماثلها ومعوجها، ناهج منهج الصواب الشيخ محمد بن عبد الوهاب طيب الله ثراه وجعل الجنة مثواه، فلما أراد الله تعالى أن يصب سبحانه الرحمة عليه ويوصل تمام جوده وإحسانه إليه ويدنيه من حضرته ويقربه لديه اختار له منزلة الدنوة من الحضرة حتى يوفيه بفضله أجره ويمحو عنه ازره، وكان ابتداء الرض به رحمه الله تعالى في شوال ثم كان يوم الاثنين من آخر الشهر وفاته والانتقال، فنقله الله إلى جواره وحضرته وقربه إلى حظيرة قدسه وجنته وأدناه إلى دار رضوانه وكرامته ومحل تفضله وإحسانه ومبرته وكانت حاله من العبادة في الصلاة والصيام مشهورة بين الأنام لا يزال ميمره القرآن في دجا الظلام ودأبه إحياء غالب الليل بالقيام والتأني والتثبت في تنفيذ الأحكام حتى يتيقن ذلك ويحكمه آتم الأحكام، لا يميله الهوى عن الشرع ولا يصدده ولا تحمله على ضده عداوة ولا ترده بل يحكم بما ترجح له وجه صوابه وتبين له فصل خطابه

من كتب الأئمة الأربعة المقلدة في ذلك التبعة لا يعدل إن لم يجد نصا من كتاب الله أو سنة نبيه صلى الله عليه وسلم إلا إليها ، ولا يعول إن لم يلف قاطعا إلا عليها بعد المراجعة والتحقيق للنص وشدة البحث والكشف عن معارض والفحص . وكان رحمه الله تعالى وأفاض عليه سبحانه غفرانه وإلى هو الذي إليه بيت المال يحى ويدفع إليه ذلك ويحيى من جميع بلدان المسلمين ويفرقه عليهم أجمعين ، وكان على حالة رضية وطريقة من الزهد مرضية ، وكان عن ذلك المال متكففا وعن كثرة الأكل منه متعففا بل يعجله خروجاً ومصرفاً ولا يأكل منه إلا بالمعروف وليس أحد عنه من ذوي الفقر مصروف وكان ممحاجوا إذا كرم لا يلقي عنده المال مقيماً ، وكان لا يرد السؤال إما أثاب عاجلاً أو بعد خال فيرجع سائله بنجاح الآمال . وتوفي رحمه الله ولم يخلف دينارا ولا درهم فلم يوزع بين ورثته مال ولم يقسم ، بل كان عليه دين كثير فأوفى الله عنه الجليل والحقير . وقال المصنف يرثيه :

إلى الله في كشف الشدائد نزع وليس إلى غير المهيمن مفرع
لقد كشفت شمس المعارف والهدى فسالت دماء في الحدود وأدمع
إمام أصيب الناس طرا بفقده وطاف بهم خطب من البين موجه
وأظلم أرجاء البلاد لموته وجل بهم كرب من الحزن مقطع
شهاب هوى من أفقه وسماه ونجم ثوى في الترب واره بلقع
وكوكب سعد مستير سناؤه وبدر له في منزل اليمن منقطع
وصبح تبدى للأنام ضياؤه فداجى الدياجى بعده متفجع
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى وقد كان فيه للبرية مرتع
فقوم جلا عنهم صدا الرين فاهتدوا فأسماعهم للحق تصغى وتسمع
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة حووا واقتنوا ما فيه للعيش مطمع
لقد رفع المولى به رتبة الهدى بوقت به على الضلال ويرفع
أبان له من لمعة الحق لمحمة أزيل بها عنه حجاب ويرفع
سقام نعيم الفهم مولاه فارتوى - وعام بتيار المعارف يقطع
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه وأقوى به من مظلم الشرك مبيع
فأنوار صبح الحق باد سناؤها ومصباحه عال ورياه ضيع

سماذرة المجد التي ما ارتقى لها سواه ولا محاذى فناها صيدع
وشمر في منهاج سنة أحمد يشيد ويحيى ما تعفى ويرفع
وينقى الأعادي عن حماه وسوحي ويدمغ أرباب الضلال ويدفع
ينظر بالآيات والسنة التي أمرنا إليها في التنازع ترجع
فأضحت به السمحاء يسم ثغرها وأمسى يحياها يضيء ويلع
وعاد به نهج الغواية طامسا وقد كان مسلوكا به الناس ترجع
وجرت به نجد ذبول اقتخارها وحق لها بالألمعى رفع
فأناره فيها سوام سوافر وأنواره فيها تضيء وتسطع
لقد وجد الإسلام يوم فراقه مصابا خشينا بعده يتصدع
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى وكادت له الأرواح تترى وتتبع
وطارت قلوب المسلمين يومه وظنوا به أن القيامة تفرع
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا وكادت قلوب بعده تتفجع
وقاضت عيون واستهلت مدامع يخالطها مزج من الدم يجمع
بكته ذوو الحاجات يوم فراقه وأهل الهدى والحق والدين أجمع
فألى أرى الأبصار قلص دمعها وليست على فقدها تهى وتدمع
ومالى أرى الألباب تبدى قساوة وليست على ذكره يوما توجع
لقد غدرت عين تضرن بعائها عليه وكبد قد أبت لا تقطع
يحق لأرواح المحبين أن ترى مقبوضة لما خلت منه أربع
وتلو سريرا فوقه قمر الهدى وشمس العالي والعلوم تشيع
فما بالها قرت بأشباح أهائها ولم تك في يوم الوداع تودع
فيا لك من قبر حوى الزهد والتق وحل به طود من العلم محرع
لئن كان في الدنيا له القبر موضع فيوم الجزا يرجى له الخلد موضع
مقا قبره من هاطل العفو ديمة وباكره سحب من البر همع
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى ولا زال بالرضوان فيها يتمتع

وفيها غزا سعود أدام الله تعالى له السمو والصمود فسار بالمسلمين يطوى المهامه ويتحمل في ذلك الشاق والسكره وينضى الاجسام والقلوب في قطع تلك المفاز والدروب حتى وطأ يميني اليمن أرض الحروب فشرب هو وجنوده من الحناكية فروى وارنوى فعزم أن يصبح حربا ومطيرا على الشقرة ونوى فما أقام بعد ذلك ولا نوى بل سار حين ألقته منه العيون وذكروا أنهم كلهم على الماء يسقون وأنهم عنه منهزمون وقد ظنوا أن المسلمين لهم لا يطلبون فلم يتم لهم على ماء الشقرة شرب ولا ورود إلا والمسلمون من عليهم نهود فكل فر بنفسه يهود ولم يستطع الوقوف فضلا عن الصمود فهزمهم الله تعالى بالذل والإرعاب فشمروا للهروب بين تلك الشعاب وكان للمسلمين خلفهم طلاب فشدوا في أثرهم بالسير والذهاب فلم يرجحوا عنهم ولم ينفصلوا منهم حتى صاروا شذر مذر وتوعروا الربعان والحجر وتجللوا صلد ذلك المدر فرجع عنهم المسلمون وشرعوا فيما منحهم الله يجمعون وغنموا غنيمة عظيمة وكانت على المشركين أخزى هزيمة وأخذوا ثلاثين من الخيل وحازوا مجدا وغزا وتالوا مع ذلك أجرا واجتمع من الإبل في تلك الغنيمة ثلاث آلاف فقسمت على التسوية والإنصاف وقتل من أهل الضلال بعض من الرجال ورجع المسلمون بنيل الآمال في أحسن حال وأنعم قلب وبال رغما على أنوف أناس من ذوى الشر والإبلاس الذين زين لهم إبليس أعمالهم وزخرف لهم أفعالهم وأحوالهم وأحال عليهم غرورهم وأوحى لهم فظنوا أن الطريق الذى عليه للوحدون ضلالة وحق وبدعة وجهالة وسفاهة بحققة مفهومة ووسوسة عند العقلاء معلومة وبالحروج موسومة وستموت بعد موت صاحبها وينطفى منير مناهجها ولا حيا ويندم حيثئذ قلب طالبها فلا تلقى لها من الناس داعيا ولا تجد بعده سامعا ولا واعيا فأبطل الله تعالى فاسد تلك الدعوى وأخزى ذوى النفاق والأهواء وألقاهم بقدرته في القعر الأهوى وطبع على قلوبهم بطابع البلى وأعطى أهل الإسلام الغاية القصوى. وفيها غزا هادى بن قرملة مع جمع كثير العدد وليس معهم غير البدو أحد فجاء في سيره ذلك واجتهد مع أولئك الأعراب حتى وافق مطير على ماء الحناج في ذلك الطلاب فصباحهم على ذلك الماء الورد فالتقته فرسانهم فبذلوا في الذب المجهول فاجتلدوا ساعة حتى من الله الودود بالنصر على المسلمين فأصبح كل من ذوى الشر مشرود وأخذ المسلمون ثلاثة آلاف بعير وفاءوا بأحسن بشير.

ثم دخلت السنة السابعة بعد المائتين والألف وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل

الخرج والفرع وأناس من البدوان فشمروا لقصدته وابتدر حتى بدت له أعلام قطر فأغار على من بدا منهم وظهر فأخذ ما معهم من غنم وركاب بعد مجالدة وضراب وصدر إلى وطنه وبلاده بعد نيل مراده. وفيها غزا سعود سلك الله به مناهج السعود فسار بالمسلمين يريد بنى خالد وكانوا مجتمعين فشمروا في ذلك وجد السير والسرى ولم يكن عنده خبر بما قدر الله لأولئك الورى من ظهور برآك وجماعته، وكان ذلك بعد قتل أبيه ورياسته في بنى خالد والحسا وولايته وأخذه لفرقان من سبيع وغيرهم واعتدائه عليهم وغارته؛ فلما توسط المسلمون تلك الفجاج وتسمنوا ذروة ذلك المنهاج ورأوا ما بذلك العربان من الانذار والانزعاج علموا عند ذلك خبره وفهموا غارته وضرره، فأحضر سعود غزاة الإسلام ونشر لهم تلك الأعلام وطلب منهم المشورة والإفهام وما يترجح عندهم من المرام هل يقتفى أثر هؤلاء الأقوام أو يقصد أهلهم ومحلهم فليس عندهم من يحول دونه من الأنام فأشاروا عليه بعد الاستشارة والأفهام أن يعمدوا إلى أهلهم عاجلا فيصبحهم ويرجع آملا فذلك لدينا أولى وأرجح وأسرع للرد وأصلح فأبى ما دعوا إليه وقال: إن الأولى والأصلح مصادمة هؤلاء الأشرار فهو إنكاء لهم وأسد في رأى والأفكار وصمم على ذلك الشأن بعزم مرهف وحزم باتر وسنان، فلم يثنه عن ذلك رأى إنسان وكان ذلك توفيقا من الله وإحسان؛ فنهض بعد فكرته في حينه وساعته بعد سؤاله مولاه واستخارته وجد في السير عازما والملاقاة رائما وقال بعد رفعه أ كفى السؤال بخضوع وإذلال: يا من لا تخفى عليه خافية في السر والعلانية مكنا من هؤلاء واجعل منايهم دانية واجعلهم خيرا بعدعين وأدر عليهم دائرة البلاء والحين، فعبج مولاه له الإجابة وأدرك منه ثأره وطلابه، فلما وصل إلى ماء الصافة وقد انجلى عن من معه الوجل والإخافة نزل بها يرصد من أولئك القدوم ويتحرى لهم كل ساعة المهجوم حتى أنجح الله تعالى مراده، وجاءه بشير السعادة: قم إلى السعد والإسعاد، فقد تبدى لك كوكب المدد والامداد وأشرق بمنك في الآفاق وتلاأ حظك في الإشراق ولن ترى لأعدائك من باقى، فنهض مسرعا لذلك النداء فإذا المراد بالطلع وبدا فأسرعت من قومه خيل العرب البادية فناوشهم الطعان الفرسان العادية وظنوا أن هذا غزو لبعض البدوان فطمعوا عند ذلك في الطعان وراوا أن يدركوا منه أسباب التهان، فأبى الله تعالى عليهم إلا تشيتهم في البلدان؛ فلما تناسبت الفواضب والحراب وتلاحمت فرسان الأعراب طلع عليهم علم الاسلام وأظلمهم من الحما

غمام وأمطرت عليهم من العذاب سحائب وجرعته من كؤوس الردى مصائب وحلت بهم خطوب وتوائب واستقلت عليهم كروب غرائب وسدت عليهم مناهج المطالب وأبدى الله تعالى فيهم أمورا عجائب وصار كل منهم للنجاة طالب وفي سلامة عمره راغب وعن حومة الوغى هارب، فأخذ المسلمون يقتلون فيهم قتلا ذريعا حتى قتلوا منهم ذلك اليوم ستمائة سريعا وأخذوا ما معهم من خيل وركاب وجدوا في أثرهم الطلاب وهم يأخذون فيهم ويقتلون والمسلمون لهم مقتفون، والذي غنمه المسلمون من الخيل مائتان مختلفة النوع والألوان، وفي تلك الأيام أغار من آل ظفير أقوام وأناس من الحجاز لم يذكروا سعودا فصار لهم إلى بني خالد انتهاز فصبحو أهلهم وأخذوا كثيرا من الإبل وحووا غالب الحبل وجرى بينهم قتال فرجع أهل الغارة على عجل وقد فازوا بالأمل، ولما فرغ شأن أهل الشيط وانقضى سار سعود يريد الحسا ومضى وأرسل غنما أبا العلاء وموسى بن شقير إلى من في الحسا من الملا وكتب معهما كتباً يدعوهم إلى الدخول في دائرة الأمان ويطلب منهم الإسلام والإيمان ويرغبهم في الانقياد والاستسلام لدعوة الملك العلام ويحث على ذلك جميع أولئك الأنام ويحذرهم الصد والإعراض فكان أغلبهم ذلك اليوم به راض وكانوا إلى الإجابة في مبادرة وانهاض بل لم يحصل منهم تردد ولا ارتياض فأجابوا جميعا أولئك الدعاة وكل أطاع بذلك وأحاط به علما ورعاه، وأسرعوا إلى خط الكتاب وقد بينوا فيه غاية الطاعة وعدم الارتياح ولم يدخل قلبهم إذ ذاك ارتياح ولا اضطراب وحثوا سعودا على القدوم إلى البلاد حتى يبايعه أولئك العباد ويمهدهم أحسن الهاد، ولما أرسل سعود غنما ومهوسا إلى الحسا أرسل بعدهم سعود بن غيث مع ركب من المسلمين وأمرهم أن يكونوا في طريق الحساء مكنتين حتى يكونوا لمن أراد الهروب مدركين، فلما قدموا ذلك الحبل وافقوا غزوا لأهل عمان قد جدوا في الهروب على عجل فقتلواهم وكانوا يزيدون على مائة رجل وأخذوا ما معهم من الخيل والإبل، فلما قدم إلى سعود الكتاب والرسول تم له السرور وحصل وأقبل إليهم تلك الأيام بعد ذلك الانتظام وكان قدوم الرسول في وسط شعبان وقدوم سعود أول رمضان، فلما قارب القدوم والوصول كان لكثير من أهل الحساء إلى ملاقاته حصول وإسراع إلى رؤيته محبة له وقبول، فزل قرب عين نجم وطلع لسعوده في أفقها نجم وخرج إليه جميع أهل البلاد وعاهدوه على الإسلام

بالانقياد والاعتصام بحبل الله والقيام على أعداء الله وأحكموا عقود الالتزام بجميع الشرائع والأحكام والاهتمام بها أوفر اهتمام وأقال أولئك الأنام من الجهاد أعوام ترغيبا لهم في البقاء على الإسلام وتأليفا لأولئك الأقوام فأبوا إلا اللد والصغار حين أراد الله تعالى لهم الهلاك والدمار؛ ولما أخذ منهم أوثق العهود وأحكم عليهم في البيعة العقود وقلد بالبيعة رقابهم وعرف حالهم ومآلهم وأنهم قد طوقوا بها الأجياد ولم يدر أنهم من الحياة على ميعاد شرع فيما يطلب به شرعا وألقى في إنجازهم بصرا وممعا، فأمر بجميع ما فيها من المعبدات والقبب والقبور التي يستغاث بها وتدعى وتندب أن يزال ما فيها من المحظور وأن يسلك بها سنة القبور وأن تستوى على المنهج المشهور وأن لا يصرف إليها نذور وأمر بهدم ما فيها من كنائس الرقص والبدع فالتزم أهلها الصلوات الخمس والجمع، وبعثت أماكن الزينج والأهواء والضلال ومعتقدات ذوى السفاهة والاعتزال وذوى الضلالة والإضلال وأمر بإقامة شرائع التوحيد والإسلام وإبطال ما خالف الشرع من الأحكام، وبالمواظبة على إظهار الصلوات في الساجد ومعاقبة كل متخلف عنها معاند وقتل كل منكر جاحد، ونادى على أنواع الربا بالإبطال فلا يسعى في أسبابها ولا ينال وإفساد كل حيلة داعية إليه أو طريقة هادية عليه، فأضحى أهل العقود الفاسدة والحيل وذوو العقول القاصرة التي لم تدرك المعرفة ولم تنل ينحسرون على مذاهبهم الأول وذهاب أهل تلك الدول، وأمر بالتدريس في جميع الأربعة المذاهب وتأييد كل سالك إليها وذاهب، وتعليم العلم ونشره وإحيائه بالمذاكرة فيه وذكره والتجرد والتجريد في تفهم التوحيد، فقاموا فيه بعد ما قعدوا وشمروا في العلوم واجتهدوا وأقر الأئمة في مساجدها وأكل حاصلها وفوائدها، وقرر العلماء في المدارس فأصبح كل في كتب مذهبه دارس، فلم يكن منهاجها مطموسا ولا دارس وأقر الأجاس والسبل، فلم يصل إلى أربابها خلل، وأبطل جميع أوقات الرفضة وعطل ذلك الطريق وهجر كل واحد من أربابه ورفضه، وأبطل جميع أنواع الظالم، وعفى أثر المغارم فكسد سوق الأئناس وعطلت العشور والأمكاس فاستقامت الحنيفية السجاء على المنهاج وزال ما بها من الاعوجاج، فأسفر وجه الحق بعد ظلامه وتفشع منه كفيف قتامة وانجلي عن بدر السنة متراكم غمامه فأضاء نوره وأسفر واستكمل الظلم بعد ما أقر فصدحت حمائم النصر بألحانها وصدعت بنغمات العز على أفنانها

وتفتت في روح الأنس على أشجارها بأثنتانها مذكرة بالشكر والحمد لأهل الحسا وسكانها بإزالة المخدور وحلول التوحيد في أوطانها . ولما أفرغ جهده في مهند سنن الحق والهدى وبحق مناهج الضلال والردى وفرغ من إكثاله وأسباب أعماله وتم له في ذلك المراد وعزم أن يدخل عن تلك البلاد ، فأشار عليه كثير من أهل البلدان أن يبني له حصنًا وجد كل منهم في ذلك واجتهد ، وأتوا إليه مرارًا عديدة فكانت أقوالهم عنده غير راجحة ولا سديدة ومشورتهم غير مفيدة واستعانوا عليه بجماعة من قومه من ذوي الشأن على إنجاز ذلك البناء وتعجيله لهم في ذلك الزمان ؛ فلما لم يجد بدا من ذلك سمح لهم باللسان وأشار بأن يكون موضعه فيما يصلح له من المكان ، فاجتمع الرأي والنظر والمشورة والفكر على أن ليس له مكان يصلح ويليق سوى بيوت آل حميد وما حولها من الفريق قطاع بذلك ودان وهدمت تلك البيوت في ذلك الأوان وكل بيت ليس بيت مال واحتيج إليه أمر أن تدفع إلى ربه قيمته كاملة وتحضر لديه فلا يضيع ملكه عليه وحث على ذلك قيمه وأوصاه وحذره شؤم العاقبة إن خالف أمره وتمناه ، وشرع أهل ذلك الوطن والمحل في إحكام ذلك البناء والعمل ، فلم يرد إتمامه عز وجل . ثم ظعن سعود حرسه الله تعالى عن مكانه وارتحل وقصد قرية أنطاع من القرى ونزل ولما أراد الله تعالى الدل والموان بأهل ذلك المكان وحكم عز وجل بدمار ذلك المحل وأن تكون العزة لله وبرسوله والمؤمنين والدلة لأهل الإلحاد والمبطلين فتح لجميع الضلال والعواة أن يدعوا مسلك الفوز والنجاة ويلوذوا إلى مناهج البغاة ويخرجوا إلى ظلم تلك الظلالات ويقتلوا أولئك القوم الهداة والجماعة الذين هم للتوحيد دعاة ويسقوهم صرف الحمام والردى ويطمسوا بعد ذلك منار الحق والهدى ويعلنوا بأمور الفسق والردى ، ويحسبون أن الله تعالى يتركهم سدى ، كلا وعزته لا يفوته من بنى واعندى فسعى في نسج برود الإنم والأوزار وهيثوا لها أودية وإزار ، وقام في ذلك الأثر أناس كثيرة وأقوام ينسبون إلى السكرم والإكرام وأكثرهم فساق وطعام ورفضة وفجار وعوام ، منهم محمد بن سعدون ومحمد بن عبد العزيز ومن العتبان مهدي بن عمران ، ومن أهل المهفوف سعد آل ملجم وابن عفاف والحبابي وعلي بن أحمد وابن حبيب وصويلح النجار فاجتمعوا في بعض ليالي تلك الأيام خارجين عن البلد والأنام حين استحكمت دجى الظلام (١١ - تاريخ نجد - ثان)

وأناخ بجرانه على العميون بالتمام ، فتعاطوا بينهم مفاتيح الكلام ، وتجارَت خيول أفكارهم في ميدان ذلك المرام ، وتبارت في ذلك المضمار على الإلتقاذ والإبرام ولكن لا يدرك ولا يرام إلا بعد المعاهدة والمعاقدة والانتظام ، وتوثيق ذلك بالخلف والأقسام والتغليظ في ذلك والإعظام ، فحكموا أمرهم بنهم وأبرموا غدرهم وشينهم ولفظوا بنقض العهد في ذلك الميعاد ، وأجمعوا على نكث العقود في ذلك الإلتقاذ ، فأسرعوا بمباشر شوال يوم الجمعة في الارتداد وقتلوا كثيرا من أهل التوحيد والرشاد الذين مكثوا عندهم للتعليم والإرشاد ، وتعاطى ذلك الأمر وباشره أهل الشر والفسق والفساد وغيرهم من ذوي الشقاق والعناد فأصبحوا وقد أشفوا من دماء المسلمين الفؤاد فأطفئوا بتلك الدماء المراقبة لواعج الحزن الذي أربى في الإلتقاذ وأوقده الأسف غاية الإيقاد ، فباءوا بسخط رب العباد ودخلوا في دائرة أهل الإيعاد ومنهذوا لأنفسهم من الهلاك مهاد (إن ربك لبالمرصاد) فاستقلت عنهم حينئذ أظلة السعد والإسعاد وطوَّح بهم في خصلة الطرد والبعاد ، فنالوا بعد ذلك أعظم الأتكاك ، وقتل غالبهم بعد أمد من الآماد وجلا بقيتهم في كل البلاد فهم كل يوم في عناء وضنا وسقم ومقاساة هموم وأحقاد ، ولا يزالون في مزيد وازدياد ، وجرى ذلك اليوم بتلك الصيحة حين وقعت تلك الفتنة القبيحة في البلد ضجة هائلة عظيمة ، وأظلتها حينئذ خطوب جسيمة وقتل ذلك اليوم عبد الله بن فاضل وحمد بن حسين وإبراهيم بن حسن بن عيدان وهؤلاء يظنون الناس التوحيد في تلك الأوطان ، وقتل أمير المرابطة محمد بن سليمان وقتل محمد الحملي الأمير وحسين أبو سبيت الوزير وسطا في ابن عياش ومبارك وأخيه شهيل وناجم ونهبوا بيت أبي سبيت والحملي ، وأخذوا ما فيها من المال وباءوا بأقبح الأحوال . ثم بعد ذلك أمروا على مبارك بن خليفة وأخاه وصالح بن عياش وأخاه وأحمد بن هديب بأن يحسبهم في الطرف فأقاموا عندهم مدة ، وكان جملة من قتل نحو الثلاثين ، وقتل في المهفوف عبد العزيز النجني . ولما سمع محمد بن غشيان وكان أميراً على مرابطة من في السكوت من أهل الإيمان أصوات الناس والضجة وذلك اللفظ والمجة ركب خيلا مع قومه وابتدرا الأصوات وكان مقما في بيت الباشات ؛ فلما عرف الحال وتحققه وفهم أن الأمر قد عاجله وأرهبه قصد كويت الحصار وكان إذ ذاك يكمل له الأسوار فتحصن هو وقومه فيه عمن يريده ويؤذيه ، وكان قد أخذ على

ركابه بعض الزاد لأجل التهيؤ في الحصار والاستعداد ، فأطبق خلفه تلك الأمم حين قصد ذلك القصر وأمّ، وراموا له وقومه إدراكا ونظموا له عقودا وأسلاكاً، وأسرعوا إليهم ونهّدوا وحاولوا في ذلك وجهدوا وحرصوا على ذلك وجردوا وأخزاهم الله تعالى فما رجحوا ولا سعدوا . ثم بعد ذلك بأيام اجتمع أهل الحسا في انتظام وانعدوا على السور أولئك الأقوام فخرجوا كأنهم جراد منتشر وقصدوا ذلك القصر ومن فيه من البشر وحاولوا فيه بأنواع من الضرر وجاءوا بأموار بعضها أدهش وحير الفكر وبهت العقول وبهر ، وأضحى كل من في ذلك القصر بحاطا به محصر يحزم كل من شاهد تلك الحال أن أجلهم قد قرب واحتضر فأيدهم الله تعالى وثبتهم ونصر وخذل أعداءهم وأذلهم وقهر حتى إن محمد بن غشيان عدا عليهم في غفلة وقتل أربعة منهم وصدر ، وقتل منهم رجال كثيرة في تلك الأيام ممن قاتل وحصر ، فرجعوا خائبيين ولم يكن لهم عليهم مقتدر (ولقد جاءهم من الأنبياء ما فيه مزدجر) ولم يفيشوا إليه ولم يقبلوا عليه ولم يكن منهم مذكر (حكمة بالغة فما نفى النذر) وبقي ابن غشيان في ذلك القصر أياما ولم يدرك منه تلك الأخزاب مرأما وثبت الله تعالى للمسلمين فيه أقداما فلم يتيسر للأعداء عليهم فيه إقداما ونالوا ذلا وخزيا وهوانا وإحجاما ، فكانت هذه الحال آية من الله تعالى وإعلاما تزيد الموحدين في الله إعظاما ، ولما قل الزاد وطال الحصار والجهاد ولم يبق عند محمد وقومه شيء من الطعام ولا رهبة يقاتل بها تلك الأقوام خرج ليلا ونارا وسلك سبيل الفرار وخرج من الحصار وجد في السير والذهاب ، ولم يكن لهم إليه طلاب فشمروا إلى إخوانه وبلده وأوطانه .

ولما خرج ابن غشيان وافاء غزو للمسلمين من العتبان فرجع ومن معه معهم وصبحوا قرية الشعبة وهجموا عليهم بين الدور ووقع القتال في تلك القصور وقتلوا منهم رجالا وأخذوا منها حيوانات وأموالا ورجعوا سالمين ، وجاء سعود حرسه الله تعالى الحبر وشاع الحال واشتهر وهو إذ ذاك مقيم على أنطاع وقد امتلأت بذلك الأسماع ، فاستشار أهل الدين والإسلام في الظهور إلى نجد أو الإقبال على أهل الحساء والإقدام ، فاختلف لسان المقال وتدير الفكر والبال في ذلك الشأن والحال فبعض رأى الإقدام عليه وصوبه وبعض رأى تأخير ذلك إلى حين وطلبه حتى يأذن الله تعالى فيه ويهيئ مطلبه وينزل على أهل تلك الفتنة شدته وكرهه وبأسه وخطبه ونوبه ، فسار يريد نجدا ويحشد

السير ذميلا ووخذا ، ويدعو الله أن ينجز له فيهم وعدا ، ويمكنه من تلك الأعداء ويهيئ له من أمره رشدا ورشدا ويوليه إسعادا وسعدا ، فوصل إلى بلاده في ذلك الزمان وصار عيشه الحسا بعد آن . وفيها غزا حجيلان بأهل القصيم وبعض البادية فسار يريد بني عمرو وكانت للمسلمين معادية فصحبهم بالغارة ، فلم يشد كل منهم للحرب إزاره بل جد وصدق في النياراة ، وقتل المسلمون منهم رجلا وأدركوا من الأبل منالا . ثم دخلت السنة الثامنة بعد المائتين والألف . وفيها سار سعود سلك الله تعالى به السنن المحمود يريد الإحساء وإحصارها وتدميرها وجفارها وفساقها وكفارها وأرفاضها وأسوارها وذوى الردة والذين أطاروا شرارها وقتلوا معلة التوحيد وأضيافها وخطارها ، فأغضبت ملك الملوك وقهارها وأسخطت خالقها وجبارها وغافر الذنوب وستارها ، فأسرع في السير بالمسلمين وقد اتفق رأى الموحدين على الحصار والمضايقة والنازلة وبذل الجهد في الاجتهاد والمقاتلة . وكان زيد بن عريعر وإخوانه وجماعته حين تلك النازلة في بلاد السكوت نازلة فأقبلوا بعد مدة على الحسا فزادهم الله تعالى حزنا وأسى وبقوا مع أهلها تلك الأيام وهم مستعدون لقتال أهل الاسلام ؛ فلما كان آخر عاشوراء المحرم عزم سعود على النزول وتقدم فزل على قرى الشمال وكان في الشقيق ستائة من الرجال فأضربت نار الحروب وأحاطت بهم سوء الخطوب فأوقدت أعظم الوقود وأحدثت بهم أولئك الضراغة الأسود ؛ فلما نزل سعود في ذلك المكان خرج أهل الشقيق ومن معهم نحو ستائة من العسكر من أهل العصيان ووقع بينهم وبين المسلمين قتال وقتل ذلك اليوم بينهم رجال ، فلما أضاءت شمس ثاني يوم بالنور بدر المسلمون إلى القتال فلم يكن من أهل الشقيق ظهور فسار إليهم أهل الإيمان وأرادوا البروز ، فلما كان وبقوا محتصرين في ذلك المكان وجرى بينهم قتال بالبنادق قضى الله بالموت على من كان لأجله موافق ، وشرع المسلمون في قطع النخل حتى من الله تعالى عليهم بالفتح والفضل . فلما كان أول الليلة الثالثة حين استحكم الظلام هرب من في الشقيق من أولئك الأمم وتفرقوا في القرين والمطير في والمبرز والكل طلب النجاة ولنفسه أحرز ، فأتى الخبر اليقين إلى سعود والمسلمين في ساعة الهروب والانهمزام فأرسل أناسا يحفظونها من أهل الاسلام فألفوها من أهلها خالية وأخذوا الأموال التي فيها حالية لما كانت مأثما عنها جالية ثم بعد ذلك اجتمع أهل تلك القرى في القرين وهما بالاشتداد

وعزموا على القتال حين أرادوا تلك البلاد والأمداد، فأطال المسلمون عليهم المحاصرة ونادواهم بطول الإقامة والصبرة، فكتب الله عليهم الهوان والدلة، وطلبوا من سعود الصلح عن القرية والحلة، فصالحهم عنها على نصف ذلك فتناصفوا جميع ما هنالك من أمتعة وسلاح وحيوان وجميع أنواع المال وطعام وغيره فاقسموا على تلك الحال ونحى أهل المطير في ذلك المنهج، وكل من قرى أهل الشمال على المناصفة عراج، فلما انقضى شأن الشمال في قليل من الأيام والليال وأطاعت تلك القرى بما حل بهم واعتري وذات أنصارها وهانت وألتي المقاليد بعضها للإسلام ودانت، وأمر على أهل القرين بالجللاء عن الوطن فكل ارتحل عنه وظعن سار بعض الحيل والجيش إلى أهل البرز فخرجوا جميعا ومعهم من عندهم من أولاد عريعر وفرسانه والكل قد أبدى شأنه وأبرز فالتقوا مع المسلمين وجالت معهم فرسان الموحدين وجرى في ذلك المجال طعان وقتال فشدت فرسان التوحيد على تلك الجموع العظيمة فلم يلبثوا إلا ساعة فشدوا في الهزيمة وقتل ذلك اليوم من أولئك القوم غدير بن عمر وحمود بن غرمول، فرجع المسلمون إلى رحلهم ومحلهم بعد ماجد الأعداء في هزيمتهم، ثم بعد أيام نهد المسلمون إلى أهل البرز مرة أخرى وتقابلوا معهم عصرا وخرج أهل البرز للقتال وكان المعترك دون نخيل أهل الشمال فتداعى الجميع في ذلك المجال ولم يقدر فيه إنقضاء آجال فرجع كل إلى ماله من موضع ومآل؛ فلما عرف المسلمون من أهل البرز تلك الحال واختبروا سيرتهم في القتال سعوا لهم في تهيئة أسباب الحيلة والخذاع باظهار بواعث الطمع والأطماع حتى يرغب أهل تلك الجموع والاجتماع، وليستعروا المسلمين في اقتفاء واتباع حتى يبعدوا بهم عن تلك المواضع والبقاع ومحطوهم عن ذرى تلك التلاع فلا يكون لهم صعود ولا ارتفاع، ثم بعد ذلك يكرون عليهم للدفاع ويعطفون عليهم كضواري السباع والنسور الجياع فيكون حينئذ منهم هروب واندفاع ورعب واندفاع وارتجاع، فيشد المسلمون عليهم في الاتباع بقلوب متوجدة عليهم ذات التباع وأفئدة لم يفارقها حزن ذلك الافتجاع ومواض مصقولة الشبا خدها بآرقطاع، وأسنة كالبرق اللامع سريعة الاتهاب الأرواح والانتزاع؛ فلما كان يوم الثلاثاء شمر المسلمون للقتال في الاسراع واجتمع من أهل الحسا ما لا يقدر عليه ولا يستطيع ولم يطرق السمع في قتال العرب مثله سماع حتى كادت أبواب المسلمين أن تزيل القناع، فتأداها هاتف الاقبال بصوت ملاء

الأصماع قد جاءكم الفتح والنصر فلا ترجف القلوب ولا تراغ، فسكنت وراحت وكان منها لذلك قبول واستماع، وأقبلوا على أولئك الجنود التي عدت النفع والانتفاع، وقد عزموا على الوفاء لله تعالى وصدق الابتياح، وكل ينشد بعد الحوقلة والاسترجاع قول شاعر مقدم شجاع:

أقول لها وقد طارت شعاعا من الأبطال ويحك لا تراعي

فصبوا في مجال الموت صبوا فما نيل الخلود بمستطاع

فان الموت غاية كل حي وداعيه لأهل الأرض داع

فصد قولهم الحلة فامتصت ألوان تلك الجموع من الرعب أعظم امتناع، فكان لهم إلى الهزيمة إسراع بعد إزماع، ولم يحصل منهم والله الحمد مطاعنة ولا نزاع، بل غالب تلك الأمم لم يقفوا ساعة في المجال فضلا عن الجلال والقراع، فخفلوا كأغنام صاحت بها أسود بقاع، فصار لهم إلى البيوت معاجلة واتقطاع، وقتل منهم نحو الستين ذلك اليوم ومثلها في سائر الأيام فكان بها اقتناع، وانهزم زيد بن عريعر إلى بلدان الشرق، فلم يكن له إلى البرز رجوع ولا ارتجاع إلا بعد طلوع الشمس ثاني يوم حين علم حال البلد بتحقيق الاطلاع. ثم بعد أيام سار المسلمون إلى أهل بلاد ابن بطال، فجرى فيها قتل كثير من أولئك الضلال وانهزم جميع أهلها فلم يثبتوا فيها ساعة المجال، وأخذ المسلمون ما فيها من الأمتعة والحيوان والطعام والأموال؛ ثم بعد أيام سار المسلمون إلى بلدان الشرق يريدون عليها الإقدام، فهجموا على مضيق تلك الدروب، وطاف على الجبل طائف الخطوب، فاقترحم المسلمون عليهم وأرادوا الوصول إليهم، فوقع عند البلاد قتل وجلاد، ثم انصرف المسلمون إلى مكانهم وارتجف أهل الشرق في أوطانهم وبقي كل من أهل الإسلام تلك الليالي والأيام يحذر في القتال ويجدد في الضرام، فأسرع المسلمون خصوصا العربان وسائر أولئك الأعراب والبدوان يياكرون صرم النخل والأثمار، ولا يبرحون عنه حتى يدبر النهار وأهل الحسا في مضايقة وبأس ودمار وضيق معيشة وحصار؛ فلما أراد الله تعالى أن يبرز في مقام الإظهار ما قضاه سبحانه لأوليائه واختار، ويسلك بهم الطريق السهل الحيار، وينشر لهم أعلام الظفر والتمكين والانتصار، ويستقر قواعدهم التوحيد في تلك القرى والأمصار، فيشتهر ذلك في سائر الأقطار أتى براك بن عبد المحسن سعودا حرسه الله تعالى، فأخبره أن أهل الحسا لهم

رغبة في الدخول في الدين وإقبال وأنهم متقدمون على صدور تلك الأفعال ، وأنهم يطلبون طريق الإيمان والإسلام والالتزام بسائر الأحكام ، فقال ذلك لهم ولا يردون فمساهم لسبيل الحق يهتدون ، وعن مهيح التي ينتهون ولكن يخرجون للعهد إلينا ويقدمون للمبايعة علينا ، فعاد له بالقول مرارا ، وقال إنهم لا يقدرين على مواجعتك خوفا منك وفرارا ولا يستطيعون لرؤيتك اضطبارا ، فلم يرعو إليه وأولاه إعراضا وازورارا وقال لابد أن يسرعوا إلى ذلك المكان إحضارا ، فاستعان براك بكبار أهل التوحيد على إنجاح ذلك الرأي السديد ؛ فساعدته أهل الدين والإسلام ، وقاموا معه أتم القيام حتى نجح ذلك المني والرام ، وانفق الرأي والانتظام بين براك وكبار أهل الحسا أن سعودا إذا ظعن عن ذلك المكان والمقام ، وفرغنا من الأثام والصرام أنك تأتينا ونبايعة على الإسلام ونخرج زيد بن عريعر وإخوانه وننفية هو وأعووانه ولعل هذه حيلة وخديعة إذ لم تكن نفوسهم بمحيث لهم مطيعة ، فارتحل سعود بقلعه الله تعالى المقصود حين ألح عليه إخوانه في ذلك الشأن ، وقالوا عسى أن يكون هذا سببا لهم في الإيمان ، وجد في سيره يريد الأهل والأوطان ، وقد نال أهبي الأنس والسرور والتهان ، وأزهى صلات البر والجود والإحسان ؛ فلما وصل سعود إلى تلك الديار زال عن الحسا ذلك الخوف والرعب والحصار ، وبرحوا على ذلك مدة أيام ، وقد وجدوا بعد ذلك لغة المنام ، وزال ما بهم من الهم والأسقام ، حتى كان من براك عليهم مفاجأة وإقدام ، يريد ذلك العهد منهم والإبرام ، والوفا بما عاهد عليه أولئك الأنام ، وقال لهم هذا وقت الوعد فقد وصل سعود إلى نجد ، وقد حان حين الوفا فأيكم وسلوك طريق الخلف والجفا ، فتصرون من الهلاك على شفا ، فأبوا إلا الخلف والإخلاص وركوب متن الإحناف ، فلم يحصل بمرامه إسعاف ، وثار بينهم القتال ، واختلفت كلمتهم بعد ذلك الحال ، واقتربت قلوب تلك القبائل فكان الله تعالى لهم مذلا وخاذل ، فلم يقبلوا نصحا لقابل ولم يروضوا إلى عدل عاذل ، فنفذ فيهم حكم الحكم العادل والقضاء النافذ القاض ، فانصرف عنهم براك بعد أن لم يحصل على إدراك ، وخرج إلى البادية ثم بعد ذلك كانت خيله عليهم عادية ، وقدم عليهم في رمضان وجرى القتال والطعان وخرج جملة من أهل الدين من السياس مجتمعين وكبيرهم سيف بن سعدون فكانوا للقتال كل يوم يهتدون ، واجتمعوا في قرية الجشة بعد أن لم يدركوا في البرز

فكان ذلك إلى الفتح ذريعة ووسيلة ، فاجتمع أولاد عزيز محمد وإخوانه وجميع جيشه وأعووانه وأهل البرز وأهل الهفوف في بلد الجفر وكانوا مما لا يضبطهم الحصر فكنوا فيه أياما وأطالوا فيه مكثا ومقاما ، وكل يوم وحين ينهد إليهم براك والبدو والسياس مجتمعين ، ويقع بينهم طعن وطعان وجماعة خيل وفرسان وتلاخم ومصادمة واقتران ، وقتل بينهم رجال في تلك الأيام والليال ، والكل يبدي الصبر في حومة المجال ، حتى أراد الله تعالى صلاح الحال وحسن العاقبة للمسلمين والمآل ، فأدخل براك الهفوف باحتيال فطاب له حينئذ القلب والبال وتم له السرور والإقبال ، وهرب أولاد عزيز دويحس ومحمد وماجد وكل من الخاصة مساعد ، وأقبل براك إلى البرز صبيحة ذلك اليوم ، فلقاه بالقبول أولئك القوم وآتوه لأجل السلام والتهنئة بالقدوم والإقدام وإنجاح السؤل والرام ، فطلب منهم المعاهدة على الدين والإسلام والالتزام بجميع الأحكام ، فمأهده على ذلك وحدانا ومجتمعين والتزموا القيام بتوحيد رب العالمين ، فوفى العهد طوائف وحمايل وآحاد في الفرقان غير منحصرين والرافضة وكثير من غيرهم دخلوا في ذلك العهد مكرهين وودوا لو أصبحوا له ناكثين ، ولكن الله ضرب عليهم الذلة بحوله إلى يوم الدين (وما وجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين) ؛ ثم بعد صدور ذلك الأمر وإبرامه وتحقيقه وإحكامه وجريان شرائع الدين في الحسا وأحكامه كتب براك إلى عبد العزيز لمزيد إخباره وإعلامه ، فسر بذلك الأخبار والإعلام وبادر بالحمد والشكر لمولى الإنعام على ما حبا أهل الإسلام من هذه المواهب الجسام ، فأمر عبد العزيز براك بن عبد المحسن أن يئذل في الدين جهده ويوفى عهده ووعدده ، ويحلي ابن فيروز وأحمد بن حويل ومحمد بن سعدون لجأوا بعد ما ألزم عليهم براك يخرجون . وفيها غزا محمد بن معقل مع أهل الوشم وأهل القصيم وأهل الجبل ، فسار بمن معه من المسلمين على غير مهل حتى أناخ بدومة الجندل ، فخط فيها رحله ونزل ، ثم أخذ يحاضر أهل تلك القرى ويضيق على أهل الزبيخ والافترا ، ويفاجئهم كل يوم بالقتال ويفاديهم بأعظم الفعال والأهوال حتى ضاقت بهم الحال وكلهم دانوا بالإسلام بعد إذلال ، ولم يبق من تلك القرى إلا قرية بني سراج ، فلم يكن لها إلى الدين ارتياح ، واجتمع عنده كثير من الأموال فأعطى منها آل درع وكانوا مقاومين لابن سراج ، ولهم تقدم وإقبال وكانوا في حصار

شديد ليس عليه مزيد، وقد تمسكوا بما منحوا وأعطوا، فلم يدنسوا وجوههم بنجار الردة ولم يخطوا. وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بأهل الحرج والعارض وأهل مدبر فشمّر ساعده للجد في السير حتى وصل إلى بلد الكويت بعد المجوع، فأناخ يهيئ مامعه من الجوع، فلم تنجل الغياض حتى فرغ من تلك المطالب ورتب الجيش والكئين، ثم بعد الإسفار أغارت خيول المسلمين فخرج مقاتلة أهل البلد مجتمعين وناوشوا المسلمين القتال وعمدوا للحرب المجلال، ثم بعد ذلك ظهر عليهم الكئين فولوا مدبرين وعمدوا إلى البلد مسرعين وقتل المسلمون منهم نحو الثلاثين وأخذوا عليهم غنا كثيرة وأسلحة ثمينة شهيرة، ورجعوا إلى بلادهم فائزين ولذات الأجر حائزين. وفيها غزا هادي بن قرملة رئيس قحطان ومعه محمد بن معقل وأهل الوشم ومطير وعربان كثيرة من البدوان، فلم يزل في ذلك النهج سائر، حتى أصبح عربانا كثيرة من البقوم وبني هاجر، وذلك أنه قرب منهم والليل داج وداجر والظلام مجتمع العساكر، فلم يرعهم إلا ركام العيار والجياد التي كأنها الرياح السوار، وللعان المرهفات البواتر، والأسنة التي تفتت الصدور والمرائر، فراموا الجلال ووطنوا عليه نفوسهم، فأصبح كل على ما أصابه صار حتى أراد الله أن يدير من البلاد أثر على أولئك المخالفين لأمر عالم السرائر، فشد عليهم المسلمون فأضحى جواد عزهم منكسرا عائر، فقتل ابن شري السمي ناصر، وأرادوا بعده الثبات والتجملد، حتى دهمهم ما لا يستطيعه الضراغم في الآجام والخواضر، فأصبح كل منهم يريد النجاة لنفسه نائر، وعن حومة الوغى بعد شدة ذلك البأس هارب نافر، وأخذ المسلمون منهم نحو ثلاثة آلاف من الإبل لكل ضابط وحاصر وآب جند الضلال خائبا خاسر.

ثم دخلت السنة التاسعة بعد المائتين والألف. وفيها غزا سعود أيد الله تعالى بالنصر والسعود، وكان عربان الشمال له مرادا ومقصودا، فسار بالمسلمين يطوى منشور اليد بأبدي اليعنلات على العنق والتوخيد، ويؤم مطلع السها والفرقين، ولم يبال بما حصل لعيسه من الكلال والأين، ويشكو إليه طول السرى وحلول البرى قلوب الكمت والرواحل، وتحن إلى الورود من فرط البعد ومدائمة الوحد فيعالمها بزال المناهل، وكان لمطالعة القطب لا ينفك ولا يزال ولا يرتعاب النصر والظفر في ذلك الوجه في رجاء وآمال حتى لمع ضياء البشري والسرور في ساجى ذلك الديجور

وطلع له كوكب الاقبال والحبور وهبت على أعدائه ريح الدبور، فجاءته طلائعه وغيونه بالنهان بأن القواسم هاهنا وكبيرهم ابن عفيصان وهم عرب من آل ظفير، فكانوا قبائله ووفاقة في ذلك السير فصبحتهم في أرض الحجر غارته ولم تسبقه عليهم نذارته بل نجأته بمحصول مراده بشارته، وبنت أولئك السلف دماره وخسارته فلم يستطيعوا مع المسلمين الجولان ولم يعقدوا لحومة الوغى والبأس ميدان، بل ناوش منهم بعض الفرسان وراموا قليل طعان، ثم شمروا في الهزيمة من غير توان، وقد أخذ المسلمون منهم إبلا كثيرة وجميع الحلة والغنم وكان الإبل نحو ألف وخمسة مائة بعير على سبيل التقليل لا الكثير، ورجع المسلمون إلى البلاد وقد حفهم الإسعاد. وفيها جرت وقعة سعد بن قطنان، وكان قبل ذلك قد أبدى للدين إذعان وأسلم قبل ذلك الزمان فأراد أن يتبين على أهل الضلال وعباد الأوثان خصوصا البدوان، فبنى قصرا محكما ثم بعد ذلك تبين في الدين معلما وجاهدا من أهل دينه من لم يكن مسلما فنالوا منه ذلا وهوانا وندما وأسقاما كئوسا مترعة دما حتى حاولوا فيه مأتما وهيئوا له أمرا محرما، فشرطوا لائق عشر رجلا كل واحد منهم في البأس مقدما على قتل ابن قطنان دراهم كثيرة يأخذها كل واحد منهم مغنا ويتقدما بعد الفعل متمسكا، فعند ذلك جد كل واحد فيما كان ملتزما، فأبدوا للندر والسكر حيلة وسلما فهاجروا إلى قصره مبدين للدين علما، وأقاموا أياما يدبرون لما راموا أمما، وقد واعدوا رؤساء أهل دينه على يوم يكون مجيئهم فيه متقدما، فلما كان بغض الأيام وشرع في الصلاة من كان لها مقدما جاء جمع كثير فدى كل واحد من ذوى السكر له حبلا ورمى، فصعدوا جميعا السور ونزلوا وحمى الحرب واحتفى، ولعب الباطل بينهم وارتمى وانتخى كل بنخوة الجاهلية واتسمى، فقتلوا غالب أهل القصر، فصاروا شهداء رحما، وأخذوا أولاده فأرسلوا الكبير إلى الشريف فجعلوه في حبس الدما، وجاء بقية أولاده عبد العزيز فأعطاهم أموالا كثيرة وإبلا شهيرة وانصرف كل منهم محبورا مكروما. وفيها غزا سعود خلد الله تعالى له الاقبال والسعود، فسار بالمسلمين يريد عربان القبلة وقد تقدمته طلائع العز والسعد قبله، فجهد في طريقة وقد باراه النصر والاقبال وجاراه التأيد والظفر، فلم يكن لهما عنه انفصال ولا مفارقة ولا زوال؛ فلم يزل يدأب السير والترحال ويدبم أضاء الأعوجيات على اتصال حتى أراد الله تعالى من تلك الأمكنة علوه وقربه ومنحه

طلبة أي طلبة ، وذلك أنه نزل على قرى تربة بعد أن طالع بعض العربان من دعاة ذلك
المكان ، فجري بينهم مناوشة وطمعان ثم انهزموا بعد ذلك حتى توغلوا الخراب فلم يكن
عليهم توصل ولا اقتدار ، ثم بعد ذلك أقام سعود في تلك الأراض ، ولم يكن له عن
حصار القرى إعراض ، فاستمر محاصرا لأهل تلك البلاد وكل يوم يصدر منهم قتال
وجهاد ومعاربة عند التسور وجلاد ، وكل يوم يحمل أهل الاسلام على الأسوار
ويرومون التسور على البلد والانحدار ، ويقاسون من أولئك الفجار من طلائع الموت
ما يزيغ الأبصار ، وقتل من أهل الدين والاسلام في جميع تلك الأيام نحو عشرة رجال
كان لهم على الشهادة آجال ، منهم محمد بن غشيان وكان بعد من الأبطال الشجعان ،
وقتل من أولئك قريب من ذلك ، ثم شرع المسلمون في قطع مالأولئك الأقوام من
تلك التخييل العوام ويخربون فيها كل يوم حتى كادت تنفث مرائر تلك القوم حين
رأوا قطع تلك التخييل الجليلة وأربابها عن حمايتها محصورة ذليلة ، ولم يكن لهم سبب
إلى سلامتها ولا وسيلة غير الصالحة عنها وكان ذلك لهم حيلة ، فصالح أهل قريتين
سعودا على نخلهم وقطع نخل قريتين لسوء فعلهم ثم بعد ذلك الحال واتقضاء المراء على
الكال ، عزم المسلمون على الارتحال فساروا على تودة وتمهال من غير غلو في السير
ولا إيغال ، وفيها غزا إبراهيم بن عفيصان بجمع من أهل الحرج والفرع والبدوم
يدعى الإيمان ، فسار يحد السير لنيل المراء حتى أناخ من قطر على بادية تلك البلاد
فأغار عليهم فثاروا فوراً وتركوا الجلاذ ، فأخذ ما عندهم من مال من أمتعة وغنم وآبال ،
وقدم بذلك بلد الاحسا وأقام يبيع ذلك فيها وأرسل ، ثم بعد فراغه أصبح فيها وما أسسى ،
ثم دخلت السنة العاشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب
عساكر كثيرة وجنودا غزيرة ورأس عليهم فهيد الشريف ، فنزلت عليه البوادي كل
سلف وفريق وسلخوا للشرك كل طريق ، وأقبلوا يريدون ابن قرملة وكانوا على ما
يقال له ماسل ، فأقبل عليه تلك الأجناد والقبائل وأتوه بعد قتل عيونه على غرة لينفذ
الله أمره فدهموه وأهله في شعب من الشعاب ، وقد ملكوا عليه فم ذلك الشعب فلا
يمكنه خروج ولا ذهاب فطاعنهم زمانا طويلا وقتل منهم ثلاثين رجلا وقتل من خيل
ابن قرملة نحو عشرين ، ثم انهزم ابن قرملة وأخذ الشريف تلك القوم المجتمعين ولم
يقتل سوى رجل واحد من المسلمين . وفيها غزا سعود يسر الله تعالى له كل مراد

ومقصود ، فسار بالمسلمين يعتسف من الفياق السهل والصعاب ، ويطوى من أديم
المواحي كل موحشة يباب ، لا يسمع بها غير أصوات العرج والدثاب ، يضل فيها القطر
قراخه فلا يهتدى ويحير الحرثيت في مهامها فيتقنع قناع الموت ويرتدى وتروح على
رياضها اليعافير وتتندى ، لا يرى بقفرة أنيس ولا يصير في لاجبها آ نار العيس مظماة
لا يدرك فيها ما يبل صدى الظما ، يحاكي لون أديمها زرقة السما مغبرة الأفق والأرجاء ،
يحس السارى بها بما للجن فيها من الغفمة والزمنة والأرجاء ، فلم يزل يدأب البطي
في ذلك السير الإعتاق ، والأباطح تسيل منها بتلك الأعناق حتى قطع بصارم العروتين
تلك المفازة وأراد مولاة اراده إنجازه حتى تبين له من سواد الحرة ذلك الحجر وبدر
له منها ذلك الدر ، وألقى لها الجران عند أولئك العربان وذوى الضلال والعصيان وكانوا
أسلافا كبيرهم ابن عيور من العتبان ، فمد لها طول الراحة بعد هزيع من الإعتام
وسجى دياجير الإظلام إلى أن شدت عساكر الظلام في الهروب والانهزام ، ونادى
الننادى بدعوة الإسلام وأذن للصلاة بالقيام ، وقضيت على الطمأنينة والتمام ، وكان الدعاء
بعد ذلك ختام ، بنيل التوفيق والمرام ، فأسرعت الرجال إلى الرحال وأطلق الركاب
من الاعتقال وأسرعت الأبطال إلى الجياذ وتسمنوا صهواتها للجلاد ، وشرع كل
منهم سنانه وسأل مولاة الاعانة وجردت القواضب المرهفة ، وشنوا على أولئك العربان
غارثهم المرجفة ؛ وشعواءهم المتلفة ، فانتدبت فرسان الشرك والضلالة وأقبلوا فرسانا
ورجالا وجالوا في الحرب مجالة ، ثم أنزل الله تعالى عليهم الذلة والبأس ، فانهزم ذوو
الضلال والإبلاس ، وأخذ المسلمون جميع أولئك الناس وولوا على أعقابهم وتوعدوا
في الحرة في ذهابهم ومجمل الله تعالى لهم بعض عقابهم ؛ فشدد المسلمون خلفهم في ذلك
الأثر حتى أعيامهم مقاساة ذلك الحجر وخشوا على أنفسهم وخيلهم من الضرر ، فرجع
كل واحد منهم وصدر وأخذ أهل الإسلام المحلة ، وشتت الله حزب الشرك وفله ، وأخذ
من الإبل نحو الألفين أو يزيد ، ورجع المسلمون بالأجر والزيد ، وأخذ أيضا عشرة
آلاف من الغنم وغنموا أعظم منقمتهم ، وقتل ذلك اليوم من المسلمين سبيلا وكان مقداما
نبيل . وفيها غزا قاعد بن ربيع أمير الوادي فسار بجمع من قومه يريد من هول المسلمين
معادي ، وأدلى في ذلك الزمن وهجر لذة الوسن حتى رأى من بني هاجر فريق آل ضمن ،
فاستقر بالله واطمأن وثبت قلبه وركن فصبحهم بالغارة المجيدة فكانت أسنته لهم عاملة

مفيدة ومرهفاته لهم ميرة مبيدة فقتل منهم فوق الأربعين، وأخذ ما عندهم من خيل
وإبل وغنم، وولى قليل من الرجال منهزمين، وفيها أظهر الشريف غالب جموعا
وأجنادا وعساكر من كل قرية وبلاد وانضم إليه أهل بلدانه وجميع أعرابه وبدوانه،
فرأس فيهم ناصر بن يحيى الشريف وأمرهم بمصادمة بوادي الدين ومن هو منتسب
للمسلمين، فخرجوا يقتحمون السهل والوعر ولا يصدمهم عن مرادهم الضجر؛ فلما تحقق
عبد العزيز ذلك الخبر وشاع بين الناس واشتهر، أرسل إلى عربان المسلمين من قبيلة
نجد وأعلمهم بما عزم عليه الشريف من ذلك القصد، وأمرهم أن ينزلوا بالأهل والأطعان
على هادي بن قرملة كبير قحطان، وأمر ربيعا أمير الدواسر والوادي أن يظهر مع
جيش من قومه وينزل على هادي، فالكمل من أولئك الأقوام أسرع في الامتثال والقيام
لأمر عبد العزيز الإمام، وبأدروا لذلك الهم والاعانة في دفع ذلك المد لهم، فلم تمض
قليل من الأيام حتى اجتمع أولئك الأنام على ماء بنجد يسمى الجمانية، فالتأمت به تلك
الأم البدوانية حتى كان آخر الأيام الشعبانية، نزلت تلك الجوع الشيطانية وأبرزت من
البأس وفرط الإبلاس واختلاف الأجناس ما يدهش العقول الإنسانية، ويرعش القلوب
الجمانية، فلما بدت الغرة الرمضانية تلاحت الفرسان العربية، وشرعت الحراب
السمامية، وجردت السيوف الهندوانية، وقتل ذلك اليوم أبو مجبور من الأبطال
الفرسانية، وانفصلت جميع الأمم الفرقانية، لما غابت الأنوار الشمسية، فلما طلعت
شمس ثاني رمضان تداعى عند ذلك الكفة الشجمانية وحملوا حملة هائلة ظلمانية
وتصلبت تلك القوى الجسمانية، والقلوب الصلادية، وثارت تلك العجاجة الدخانية،
واصططت تلك المدافع النيرانية، فأعلن عند تلك الأمور الهائلة العيانة أهل الدين
والإسلام بشعارهم بتعظيم الصمدانية والاعلان بكلمة التوحيد والوحدانية، فهزم الله
جميع تلك العدوانية، وحف المسلمين النصر والظفر من العناية الرحمانية، وتفرق أهل
الضلال في خلال العقبات الشعبانية، وقتل منهم نحو ثلاثمائة رجل، وأخذوا من الإبل
والغنم ما لم ينل مثله ولم يرم، وأخذوا جميع المحلة والأزواد والطعام وتلك المدافع
المجرورة ومنسوب تلك الحيام، وكانت الغنم التي حصلها المسلمون مائتي ألف غير ما قضى
الله تعالى عليه بالحقف، وعدد ما استولوا عليه من الإبل ثلاثون ألفا من غير خطأ ولا
زال، وقتل من المسلمين رجال وانهزم الأعداء بأقبح حال، وكان محمد بن معقل قد

أرسله عبد العزيز لعربان المسلمين مددا، فلم يأتهم إلا بعد ما فرق الله تعالى المبطلين
عددا وجعلهم فرقا وبددا، وكان قدومه عليهم بعد يومين فاطلب بني هاجر ولم يبال،
بما معه من الآين، فأدركهم على ماء يقال له القنصلية، فأغار عليهم وقتل نحو الأربعين
من تلك البرية فشدوا في الانهزام، بعد تلك القضية وكان هؤلاء الأعراب شمروا في
الانهزام بمالهم والذهب حين رأوا جيوش ابن قرملة على قومه مريين فعاجلوا
بالانهزام مدبرين، فاجتمعوا على ماء القنصلية وظنوا أنهم قد أحرزوا أموالهم، فغابت
آمالهم الظنية وحواسها كلها ابن معقل وعزز بها تلك القضية السوية، وانصرف بنيل
أمنية، وفيها غزا مبارك بن عبد الهادي ومعه من قومه من أراد الجهاد من بين حاضر
وبادي، فسار في عزمه ذلك ومراحمه يجد السير والسرى في جميع لياليه وجميع أيامه
لم يثنيه المنصب ولم يساومه التعب فينحل عندهمته وإحكامه حتى قرب من أرض نجران،
فلقي هناك بعض البدوان يسمون آل الهندى، فكان حينئذ للغارة عليهم مبدى، فلم
يشعروا إلا باهتزاز الرماح وبريق الصفاح، فانهضوا جميعا للقتال والكفاح، ولم يتخلف
إلا من ليس عليه جناح فتقطعوا ساعة وزمانا ومكثوا للجلاد حينا وأوانا، ثم انهزموا
بأفزع حال، وقتل المسلمون منهم ثلاثين من الرجال وأخذوا جميع ما عندهم من المحلة
والغنم والآبال وانصرفوا في أحسن حال.

وفي شهر رمضان من سنة عشر بعد المائتين والألف وبراك وآل الحسا
من تحت إمام المسلمين لمعت للفتنة بوارق ووحى للفتنة بوائق، وفاح للشر عرف وشذا
ولاح طالع النجس والأذى واستبطن البغي والتعذر واستعلن الفحش والتكر وعصفت
للخيانة رياح، وظهر على الفساق البشر والارتياح، وعلمتهم من القرح نشوة وزادت
قلوبهم على المسلمين قسوة، واستنشق المسلمون السكر عرفا فلا يستطيع أن يرجع
في المنكر حرفا بل كل يوم ينتظر أن يلاقى حقا، فاستمرت الحال أياما وليال وبطانة
الشر تملأ أو تزيد وتضمحل البطش بأهل التوحيد، ولكن ليس عن ساحة الصبر
من محيد، فلما أراد الله تعالى إنفاذ الوعد والوعيد وتهمة أسباب التمكين لأوليائه
والتأييد وهلاك من أراد هلاكه وخذلانه، وذل من أراد ذله وهوانه، قدح زنادها
وحقق ميعادها فأورت بالشر نارها واستطار لهبها وشرارها، وبما جهارا منارها
وأعلن أصحابها وأنصارها، وتأزر بأزار الغدر شرارها، وارندى برداء الفتك فساقها

وإذا ما أوقعت أمور بين أهل الفجور تلك الشهور. هذا والسفون من أهل الحسا
 وتجرع مرارة الخوف واحتسى ، وتدرج بدروع الهم واكتسا
 مرارة الغم والأسى ، وقلوبهم بين رجيف واضطراب ووجيف واكتئاب إلى يوم
 القيمة في ارتقاب ، وفي حطم البلية في احتساب . هذا وإمام المسلمين عبد العزيز أدخله
 الخزين ، يرسل المسكاتب ويكثر فيها المعائب ويعمل الرسل والأرقام في كل
 يوم في الأيام ، إلى براك بن عبد المحسن ويحضره على نقي السوء والإحسان إلى المحسن ،
 وتقدم بذلك والله هذا الإمام أشد الاهتمام ، وأمره أن يقيم الدين أشد القيام
 وأن يبيد قواعد الدين ويبعد جملة الباطلين ويزيل من الشرك أصله وأساسه ، وينقى
 صفاته وأساسه ، ويقيم على الحق والهدى ويثرد أهل الزيغ والردى ، ويبتهل بإقامة السنة
 وينهج النهج الرسول الذي سنه ، ويأمره بإعلان شعار الإسلام وإخلاص الدعوة
 للعالمين والعلامة وإيقاع الخمس الصلوات في المساجد والجماعات ، ويبدل له النصيح سرا وجهرا
 في ذلك إن فعلت هذا نلت عزاً ونفراً وحيوت من مولاك عزاً ونصراً وأعظم لك
 وأمره وقد أزم عليه في ذلك أعظم الإلزام ، وأمره أن يفي بمعاهده عليه الله حين
 عقد الإسلام ، ويفعل ما شرط عليه حين عقد الإبرام ، وما التزمه في الحجة
 من الأحكام من نقي أهل الباطل والفجور ، وطرد أصحاب الفساد والشروع ، كما هو
 في صحيفة المهدمذكور ، وفي حجة المقدمقرر مسطور ، فلم تكن النصائح والإنذار ، ولم يبادر
 إليه من إزالة الأشرار ، وتعذر من الإمام في عدم القيام وعدم الوفاء بما عاهد
 عليه أن هذا لا سبيل إليه وقد أعيا الرأي والفكرة ، وليس إلى جلاء رؤساء الفتنة
 من قدس ، لما يؤدي إليه الحال ويترقب في المسأل من الاختلاف والشقاق ، وقيام أهل
 النفاق والنفاق ، واجتماع أهل الزيغ والباطل على أهل التوحيد والأفاضل والأمر
 من أهل ، ولم يدرك أن الأمر جاء على عجل ، وأن الفتنة قد جذبت أحزابها والبدعة
 كبرها وأربابها ، وأن الله تعالى قد حقق على الرافضة خرابها وكبت على
 أهل البلد ذهابها ، وأبدى لهم جزاء ردتهم الأولى وعقابها ، وبين لهم شؤم الحياة
 في أشق ما أشق به أهلها وأصحابها ، هذا وأردية البلاء تنسج وتحاك ويسعى فيها كل
 وإذا غسق الليل ودجت الأفلاك ، وتراعى شرر الباطل في الأفلاك ، وكان الذي
 يسبح تلك الأردية والبرود ، وعقد تلك الأتوية الضالة عن النهج الحمود ،

من هوفي كل فتنة معدود ، وفي كل مقام على المسلمين مشهود ، رأس الفتنة ورئيسها
 الذي ثبت على أصلها وتأسيسها ، ويرسى عليه عمودها ، وتورق به أغصانها وعودها ،
 وتثبت أوتادها وأطنابها ويفتح بشؤم فكره بابها ؛ وذلك لكونه لا يزال سميراً لافساق
 والفجار وظهيراً للعصاة والأشرار وهو صالح التجار ؛ كان إذا هدأ الناس واشتد
 ظلام الأغلاس أخذ بالشر والإبلاس فركب دابته وجد وقصد قصر على بن أحمد
 فأحكم الرأي والمشورة وعرض عليه تلك الأمور المحظورة ، ثم سار من عنده وأجمع محكم
 قصده ونحى على الجباب وقصد وأحضر ابن عفات واجتهد وظن أنه لم يشعر به أحد
 لكون هذا السعي والاجتهاد وإعمال السير والترداد إنما هو في الليل وفي النهار يظهر
 للمسلمين الناصحة والميل ، والمسلمون يعرفون حقيقة حاله وقبيح ما ينظمه من فعالة
 وقد أرسلوا الرسائل والكتب وجدوا في الطلب ، وأعملوا المظي بالأرقام إلى عبد العزيز
 الإمام يطلبون منه النجدة والمدد والعدة ويحثونه على النصرة والانتصار وقد بينوا
 له جميع الذي صار وما بدا لهم من الشين الذي صار ، والشر الذي ارتفع له غبار
 وكذلك أرسلوا إلى الأمير سعود بأن يسعفهم بالمراد والمقصود ، وكان حينئذ حرس
 الله مهجته وأدام عزه ودولته منيخاً قرب شقرا ، فلما جاءت الرسل من المسلمين
 ومن والده متع الله به المسلمين وقع به أعداء الدين ، أحضر وجوه النزاة المشورة فيما
 براه وما عزم عليه وأبداه وبين لهم ما يراد بأهل التوحيد من أهل الحسا وما خالطهم
 من الخوف والأسى وقال أريد أن أعجل لهم المدد قبل أن يقع بهم الفتك ممن تعاهد
 عليه ولا تعد حتى يكون لهم عوناً ويلقى العدو به ذلاً وهواناً بل ربما يكون بجيشه البلاد
 سبياً لبطلان ذلك العهد والاعتاد ، وتحمده بمجيئه نار الفتنة التي توقد كل ليلة غاية
 الإيقاد ؛ فأرسل وهو في ذلك المكان إبراهيم بن عقيصان ومعه مائتا مطية تعجلاً
 الرعية واستدفعاً لما أعد من البلية وما عزم عليه من الردة الردية ، وكان ذلك رأياً مباركاً
 مبهوناً خالياً من شوائب النجس مصوناً وحزماً شياهاً مرهفاً مسنوناً ، وعزماً حاز
 المسلمون به ركوداً وركوناً ؛ فلما أقبلت الرسل إليهم وقدموا عليهم وسمعوا كلام البشير
 ونطقوا بالحجى والسير ، وفهموا قرب مكان الطليعة عرفوا أنهم ليس لهم حيلة ولا ذريعة
 وأنها ليست لهم بمنعة ولا منيعة إن لم يسارعوا إلى ما عليه عزموا ويعجلوا ما عقدوه
 وأرسلوا ، وينفذوا ما نوهوه وأحكموا ، وببدر والمسلمين قبل قدوم المدد الملقبين بما أجمعوا

عليه من الفتك وندبوا إليه من الحياة والهلكة ونصب أعلام الارتداد ورفعها بين
العباد وشهرتها عند الحاضر والباد ، قبل تلاحق الإمداد ، لكي يغمسوا كافة أهل البلاد
في متن تلك الأقدار ويضمخوهم بهاتيك الأوضار ويدخلوهم في دائرة الهلاك والأخطار
فأبى الله العزيز القهار أن لا يكون ذلك إلا على الرافضة والفساق والفجار ؛ فلما
أن أن يبدو للقضاء الأزلي آثار ويظهر بعض ما انطوى في اليب من الأسرار وحن
الحين وحق السكر بالأشرار ولمع بارق قوله تعالى (وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار)
وأقبل ظلام ليلة الفتنة وسجى واسود فيها علوك الدجى وأرعى الظلام فيها سدوله
فقد الأفق من البدر أقوله حتى أتى أهل الضلال والردى والذين يريدون الفتك
والاعتدا من الرفعة والنعال وغيرهم من الأراذل وسفلة القبائل رئيسهم التجار
وأنيسهم إذا انسلخ النهار ، فاجتمعوا عنده وعرف كل منهم قصده ، وعاودوا الرأي
تلك الليلة وأبرموا التدبير والحيلة بأن تقتل من فيها من أهل التوحيد كل قبيلة
بل سمى كل من المتعاهدين قريته وقتيله وبينوا التدبير والاحتيايل وصمموا على الفتك
والهتك والاختيال وبارزوا بالحرب شديد الحال (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم
وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) . هذا والأندار على المسلمين تتوالى والأخبار تتلى
عليهم وتتتلى ؛ فلما أراد حقن دماءهم سبحانه وتعالى وخذلان من ساعد على الفجور
ووالى وتعذيب من اجتمع على الأولى والثانية وتملا وإلباسه في الدنيا هوانا وإذلالا
ومقاساته تنكيلا ونكالا ، نما ذلك الخبر وفشا ذلك وظهر بعد أن خفي واستتر وتحقق
أمير السياس سبيل آل سعدون ما هم له مستعدون وما هم عليه مجتمعون ، فأحضر
المهاجرين من إخوانه وأخبرهم بقصته وشأنه ، مع أنهم كانوا لذلك مستيقنين وللخيانة
مستيقظين وللغدر كل يوم متوقعين ، إلا أنهم كانوا على الله متوكلين وللموت نفوسهم
موطنين ، فاتفق رأيهم وانتظم أن يرسلوا إلى من يخشى منه الردى من جماعتهم ويتهم
ومن دخل منهم في الحلف وعزم ؛ فلما أحضروهم كافة ووضحوا لهم سبيل الخفاة
وما يترتب على ذلك من الآفة وأن أهل الشر والفساد يريدون غدا الارتداد وليس
لهم غيرنا مراد وجيوش المسلمين والأمماد تطلع عليهم بكرة أروحة بالنصر والإمداد
فتتالوا بذلك غاية السعد والإسعاد وتدخلوا في طريق الرشيد والإرشاد وترفضوا
منهج من نوى السوء وكاد ، ونهى قاصمة الظهر وأراد فكأن الله الحمد والمنة ذلك
(١٢ - تاريخ نجد - ثانياً)

النصح أزال عن قلوبهم الأكنة ، وصار ذلك الوعد لهم والإيعاد مما أجدى فيهم وأفاد ،
فكأنهم بعد ما انتصوا السيوف لملاقاة الخوف أعادوها في الأغمد وكأنهم انتبهوا
من سنة الرقاد ووعت منهم تلك النصائح أذن واعية ، فأصبحت أركان الردة والله الحمد
ذلك اليوم واهية حيث لم يبق من السياس لهم داعية ، وانحلت عرى ذلك الإبرام
ورد الله بكيده من رام . هذا والتجار بعد ما أخذ الكرى والنم في ظلام الدياجي
أجفان الأنام ذابة الإقبال والادبار وتدبير ما يريد في النهار ، يحيك ذلك وينسج ويدخل
البلاد ويخرج ، إلا أنه على شأن السياس لم يعرج ، وقد أعد خارج البلد في بستان
هناك رجاله وسقاهم فيه من رحيق القهوة صافيه وزلاله ، وكان الوعد بينهم حين تذر
قرنها الغزالة ؛ فلم يلبث الناس بعد ذهاب الأغلاس إلا قدر ما بدا من كوة الأفق ضوء
السراج ، وأشرق على سطح البسيطة نوره الوهاج ، وانتشر في بطون الأزقة والفجاج
أهل الفلاحة ذوو الحاج حتى سمعت الجلبة والأصوات ووقع الذعر والازعاج ، فرجع
الناس على أعقابهم ينكسون ، وقد خالط الرعب قلوبهم فهم منذرون ولم يكونوا
بذلك الأمر يشعرون (وكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون)
فتعظم الأمر وعلا وشاع شأنه بين الملا وأسفر وجه الردة وجلا وزادت القلوب وجلا
(وما ربك بغافل عما يعملون - وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون) وزاغت
الأبصار والألباب وغلقت البيوت والأبواب ونادى منادى القضاء بالمذاب والذهاب
على الذين فعلوا ولكنهم لا يسمعون (وما أهلكنا من قرية إلا لما منذرون) وتوقفت
أشرار تلك القبائل ولم يكن غالبهم بما عنده فاعل وهم بين لائم وعاذل ، إلا أنهم
للسياس منتظرون ، وهم من كل حذب ينسلون وبادر قوم التجار لأنهم رؤوس
الأشرار قفتلوا شخصا واحداً وهو عبدالله بن حسن ، وكان التجار عنده قاعدة
وبتخطيطه مواعدا ، فأسرعوا إليهم يهرعون وأقبلوا عليهم يركضون (لا تركضوا
وارجعوا إلى ما أتقتم فيه ومساكنكم لعلكم تسئلون) وجرحوا ابن كثير جرحاً ولم
يجعل الله لمراهم نجحاً ، وما أصابوا في المسلمين قرحاً ، وقد عرفوا لو يطلبون صلحا
من المسلمين لا يقبلون (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فعند ذلك شمرت
تلك العصاة وندب التجار أعوانه وأصحابه ، وشيدوا الجرابة ونهضوا إلى السياس
يسرعون (كأنهم إلى نصب يوفضون) فدهوهم في الطريق والسكك ووقع بين البيوت

المعترك وصدق الطعن من سلك ولكنهم على الحق معتدون (لا تجأروا اليوم لأنكم منا لا تنصرون) حين أبصروا حرارة الطعام وذاقوا مرارة السنان وحامت عليهم للموت عقبان في منازلة تلك الإخوان ، وتيقنوا أنهم لما يريدون لا يدركون وأنهم أخطئوا ما يأمرون (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) فانهزموا بأقبح الدل والنكابة وقتل منهم واحد هو الغاية ، وحف السلون باللفظ والعناية لعلهم بأمرهم يعتبرون وعلى ربه يتوكلون (وإن جندنا لهم الغالبون) وأدبروا يعضون أنامل الندم وولى كل شيطان وانهزم ، ثم اجتمعوا عند رئيسهم وعزم أنهم لجميع المشرق يرسلون : فأرسلوا يحثونهم على المحي والتعجيل حتى يفوزوا بالمنى والتأميل ، فلما قدمت عليهم الرسل وأخبروهم بما حصل نهد مقاتلة كل قرية واجتمعوا للحرب بلا مرية ، فلم يرتفع سلطان النهار إلا والجنود تطلب البدار وتروم لأهل البرز الدمار ، وقد أقبل أولهم وهم النعائل والرفعة والذين حضروا بيعة النجار ، ثم أقبل بعدهم من أهل المشرق أعداد وتتابع لهم جيوش وأمداد وكل منهم لصدق الحرب في أهبة واستعداد وتأهب لوطاة البلاد إن لم يف لهم من حضر الخلف من الفرقان بذلك الوعد الذي كان ويرجعوا عن طريق الخذلان ويقتل كل فريق من عنده من أهل الإيمان ويحققوا لهم سابق ذلك الميعاد ، وينجزوا ذلك الإيعاد. هذا وقد استعد من أهل البرز كل فريق وأحرز وجعل الأرصاد كل فريق فيما يؤتى إليه من طريق ، وشمروا للحرب سواعدهم وأخلفوا مواعدهم بل أظهروا أعظم الإباء والامتناع وأشد الدب عن المسلمين والدفاع وتبين منهم الصدق على ذلك والاجتماع ، فبقي من عندهم من أهل الفتنة والفجور ينادى على نفسه بالويل والثبور وأبصارهم تمور وأفكارهم تجور ، وليس لهم من أهل البرز مساعد بل كل عن الفتنة قاعد ، وهواتف البلاء عليهم يدرسون (آتى أمر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون) حين وضع واستبان ذلك الخلف والخذلان لصالح الرئيس الداعي إلى طريق إبليس ولم يجد ناصرا ولا قبيلة ولا معينا ولا كفيلة وأضحى حائرا ذليلا لم ير حيلة له إلى البقاء ولا سبيلا ولا منهجا للسلامة ولا دليلا إلا مخادعة أهل الإسلام والإيمان ، وطلب منهم الدخول معه والأمان ، فراح في ساعته ينادي بتدبير فكرته إلى فريق العتبان وكانوا ذلك اليوم نعم الإخوان ، جزاهم الله تعالى كل حين ورئيسهم مهوس بن شقير ، فأخذ منهم الأمان على نفسه ومن له من الإخوان ، وكان

هذا من الله تعالى حكمة ياهرة وقدرة قاهرة وأمرآ قدره تقديرا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيا ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) أبرز خذلان أعدائه عبرة لأوليائه وتسليية لهم على بلائه لعلهم على الفتنة يصبرون (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) فسيحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون) هذا ولم يناد المنادى لصلاة الظهر بالأذان إلا وقد أقبلت الرسل تبشر بقدم إبراهيم بن عفيصان بل هم مع الوقت كفروا رهان ، فحصل الأتس وطابت النفس وزاد سرور أهل التوحيد والإيمان ، وزال ذلك الهم والخوف والأحزان وتم السرور وحصل الفرح والحبور وهبت رياح القبول والتهان وبدأت شمس الأمان والأمان ولم يزل أهل المشرق ومن معهم من الرفعة والنعائل وسائر سفلة تلك القبائل خلف السور مقيمين ولقصودهم رائين وعلى مأمولهم عازمين إذ لم يكونوا عالمين بما قد صار من حال صالح النجار وما جرى من الأخبار فلم يفجأهم إلا الخيل تضبع والأسنة تبرق وتلمع والبيض تشرق وتسطف فكل ولى وانهزم وتندم على ما كان عليه عزم وانتصوا بطون الأقدام ولم يكن لهم غير البيوت إقدام فوطنتهم من المسلمين خيول وخرج معهم من أهل البلد خول خالت على قطعة من الأحزاب القرمان وجالت عليهم أولئك الرجال الشجعان فقتلوا جميعا في ذلك المكان وجروا كأس المذلة والهوان وباءوا بالخرى والحسرة والخذلان ، وكان جملة القتولين نحو الستين وغالبهم من أهل الجليل والباقي من بلدان المشرق متفرقين وفات الخيل ومن معه حين أقبلت الخيل عليهم مسرعة وشردها ربا وثار ولم يجد دون بيته من قرار وازدحموا عند دخولهم الدروازه والكل يريد من الخوف السبق وأحرازه ، فلما رأى وجوه قومه وجماعته قبيح فعله وصناعته ساروا إليه سريعا وألزموه أن يخرج مع الحبابي وقدومهما جميعا ، وألحوا في ذلك الأمر عليه وعرف أن القرار لا سبيل له إليه وأن أوجوه الفريق والأعيان إن لم يخرجوا عنهم لم يدفعوا عنهم العدوان وأنهم يسلمونهم إليهم ولا يدفع عنهم انسان خرج هو والحبابي وأناس من الأشرار حين أدبر ضوء النهار واعتد سواد الدجا واقطع منهم الرجا ، ففاجئوا على بن حمد في قصره واستمدوا من رأيه وفكره وبقوا عنده ثلاثة أيام في أكسف حال وأشر مقام. هذا والبلدان المشرق ينهب بعضها بعضا ، وتسرع إلى القتال والقتل والنهب ركضا وتسابق

الشمس في الطلوع إلى ذلك الحال نهضا ، إبداء للندامة وطلباً للسلامة ومقدمة بين
يدي سعود بهذا الأمر المعداد لعله يكون للرضا وسيله وإلى بقائهم في أوطانهم حيله
ولم يروا مسلماً سواه يسلكون ، وفي تلك الأيام المذكورة والأحوال المستورة
وابراهيم بن عفيصان محاصر لقرية العمران ومعه جمع كثير وجم غفير من السياسب
والعتبان وغيرهم من سائر القبائل والفرقان ، ثم في أثناء المدة المذكورة طلب الحبابي
وابن عفات والحمل ومن معه من الرجال المحصوره من ابراهيم بن عفيصان الخروج
إلى العقير والأمان فأعطاهم ذلك وغيرهم أناس فخرجوا من الإحصار والأحباس
وأرسلهم إلى العقير مع محمد بن ديماس وكان إذ ذاك لم يتسنى ذروة الضلال والإبلاس
فقطعوا في ليلتهم تلك المفاوز والقفار ، وركبوا صبيحتها متن زاهر البحار وامتطوا
كواهل تلك السيارة وتيمموا أهل الزيارة ، فقدموا عليهم ولم يكن عندهم من الحال
خبرة ولا اشاره حتى فاجأهم بئته ذور النياره وشرحوها لهم عن الحسا أخباره وصرفوا
لهم أن قصدنا بفعلنا أن نذهب وآثاره ولم يعلموا أن الله تعالى على عباده غاره وأن الله
تعالى يؤيد دينه وأنصاره وينصر أهليه وأحزابه وأصهاره ويريد تبيينه في أماكن
الرجس وإظهاره وإثباته في الإحصاء وقراره ، وأبطل الله كيدهم وما يصنعون (أم
يريدون كيذا قاله كفروا هم الكيدون) ولما أراد الله تعالى إبراز حكمته وتبيين
آثار قدرته واستنارة البرهان والحجة وتقويم واضح المحجة ، قدم سعود مستهل ذي
الحجة فنادى لسان الحال مبشراً بالسجود والإقبال ومنذراً لدوى البدع والضلال فأعلن
وقال : الحمد لله الذي أطلع شمس الكمال في مطالع السجود والشكر له على ما أعطى وأنال
من الكرم والجود برؤية هذه الطلعة السعيدة والفرقة المنيرة الرشيدة فأناخت بقراب
النعال ، أولئك الجنود وخفقت رايات الإسلام والبنود وأصبح جبل الحق ممدوداً
وقاز أهل التوحيد بالمقصود ، وتلت ألسنتهم عند ذلك الحال المشهود على سبيل الهدى
ونيل المنا وإبداء لشكر مولاهم الكريم وإظهاراً للثناء والتبجيل والتعظيم (وتمت كلمة
ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم) ودارت كيؤوس الأنفس
والأفراح وامتلا القلب بالفرح وارتاح وهيئمت في الأجساد والأشباح حداة النفوس
والأرواح على سطح البسيطة بالطول والعرض (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) ونصبت بذلك المحل والمكان خيام التوحيد والإيمان

فغنت بلباب السرور على الأغصان ورجعت الأغاني في الألحان وكررت قول من قال
في غابر الزمان :

فألقت عصاه واستقر بها النوى كما قرأ عينا بالإياب المسافر

وطارت قلوب أهل الزنج والضلال حين مد فسطاطه وظلاله وأبصروا فرسانه
وأبطاله وشاهدوا خيله ورجاله ، وقد كانوا بها يكذبون وحاقي بهم ما كانوا به يستهزئون
وندعوا على السلم حين فات وقالوا باليتنا رد وهيات وتمتوا الموت على الحياة (أفرايت
إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) فلم يك إلا قدر
خط الرحال وتسوية الأحمال والأثقال فتلقاه أهل المفهوف باستقبال ونهضوا عليه
يسلمون ونهدوا إليه مستسلمون (قال رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان
على ما تصفون) فقابلهم بالقبول والتوقير وعاملهم بطلائع التيسير ونفى عنهم صنائع
التيسير وتلا لسان حاله على منهج التبشير لعلمهم بما أشار به لهم يفرحون (إن الله يأمر
بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والنكر والبغى يعظكم لعلكم
تذكرون) فأعطاهم إلا من دخل في الردة الأمان وأدخلهم في دائرة أهل الإيمان
وأخذوا يبايعونه على الإسلام بالإيمان وداعى الحق يذكرهم بآي القرآن عساه
به يتعظون (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم
الله عليكم كفيلاً إن الله يعلم ما تفعلون) ثم أقبل أهل المشرق إليه أرسالا وقدموا عليه
عجلاً وقد رعبت قلوبهم مخافة وأوجالا وتغيرت وجوههم ألوانا وأحوالا لفرح ما كانوا
له يصنعون (أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم ولا هم منا يصحبون)
وقدموا بشعائر الدل والهوان على الإساءة منه والإحسان إذ ليس عندهم منعة
ولا مكان عن القدوم به يتحصنون (لويجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه
لهم يجمعون) فشرع معهم في البيعة والعاهدة على المتابعة والمعاقدة والتزام جبل
الطاعة والمساعدة وهم على الوفاء له يقسمون (ويخلفون بالله إنهم لمنكم وما هم منكم
وأنهم قوم يفرقون) وأتاه أهل البرز أهل الإيمان والإسلام لأداء واجب السلام
والهدى لعهد الإسلام فقابلهم بحسن البشر والأكرام جزاء بما كانوا يعملون (ومن يعمل
الصالحات وهو مؤمن فلا كفران لسعيه وإنا له كاتبون) فلما انقضت أيام العهد
نصبت إتيان الوفود بادر إلى ما هو الأهم والمقصود وأخذ في تقويم السنن المحمود

الذي به المسلمون يأمنون (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون) وجرده مرهفه المحدود لإقامة القصاص والحدود وأورد الختام المورد غالب من باشر الردة الثانية في يومها المشهود فعدوا لكأس الردى بتجرعون (وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) وأردف جماعة من المعتدين وثلة من الفساق المفسدين وزمرة من الرافضة البتدعين الذين هم عن الصراط ناكبون (إنهم ألقوا آباءهم ضالين فهم على آثارهم يهرعون) فأفنى رؤوس ذوى الشر والفساد وأراح من شرهم جميع العباد وأزاح باقهم عن البلاد لاسيما ذوى الشقاق والعناد الذين هم في الأرض مفسدون (ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) ودام القتل أياما واستمر ومكت مدة واستقر وكل يوم يختبر عن المفسدين الخبر ويقتل من اطلع عليه وعثر حتى استبرى الحال والخبر وعرف أنهم ليسوا بها يمشون (ولورحنهم وكشفنا ما بهم من ضر للجوا في طغيانهم يعمهون) فساد في البلاد أركان الإسلام وأذن بالتوحيد فيها بالإعلان ورفع للسنة الأعلام التي كان الولاة لها يمشون (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون) فبدأ بتسوية تلك القبور وإزالة ما عليها من المظهور وقطع تلك الأوقاف والتدور التي أهل الباطل لها يصرفون (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون) وأرسى بها قواعد الدين فأمسى أهل الباطل مشردين، ومحا آثار الباطلين (فقطعت دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين - قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون) وضربت سرادق الأمن والأمان وأسس قصر التوحيد بأعلام مكان وأحكم غاية الإحكام في البنيان ونودى عليه بأفصح لسان وأهل الإسلام له منصتون (إن الله لدو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) فحينئذ نبذ الضلال ملته ونهى الشرك حزبه وأهله، وبكى الرافض أصحابه وفشقه لأنهم كانوا له يشيدون (أنفكا آلهة دون الله تريدون) وقعد أهل العزى عزها وجعل الخراب جزاها وأهل اللات لما يتبعون (قد خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون) وعققت رسوم البدع والأهوال والإلحاد، وهدت دعائم الجور والعماد وأورق غصن الحق وماد وبطل ما كانوا عليه يعكفون (ءآله مع الله بل هم قوم خصمون) وأقبلوا على ما أوجبه الله تعالى وفرضه

ودحض أهل الضلال والرفضة وكل هجر ما كان يدين به ورفضه وضل عنهم ما كانوا يزعمون (ءآله مع الله تعالى الله عما يشركون) فاندروست والله الحمد تلك الحقائق وعظمت تلك الطرائق، ولم يكن لها موافق ولا مرافق (بل نقذف بالباطل فيدمغه فاذا هو زاهق ولكم الويل مما تصفون) وخر عرش الشرك ووهى لما علاه التوحيد ودهى وعرف بطلانه ذوو النهى وشعروا فيما أمر الله به ونهى (وقل الحمد لله شريككم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون) وجد في تعلم التوحيد الضعة والشرفا فوجدوه لمرض القلوب دواء وشفا (ولم يجدوا عنها مصرفا) و (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أما يشركون) وقرر أصحاب الأوقاف والأحياس وحث أرباب المدارس على تعليم الفقه والتوحيد للناس، فوجدوا عظيم السرور والإيناس واستمر علماء المذاهب يدرسون (ولكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) وأقر في أيدي أهل السنة جميع تلك القربات والأسباب بل زاد غالبيتهم من بيت المال واجتهدوا في القيام بوظائفهم بسرور بال، فهم لهذه النعمة شاكرون (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون). ولما فرغ حرسه الله تعالى من ذلك العزم والتجريد، لإقامة سنن الدين والتوحيد ومهدا أحسن تمهيد لعل الناس لها يسلكون (فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون) شرع ينظر في الرعاية بالتغيير والتبديل، ويدبر أحوال التأديب والتكليف على سبيل التسوية والتعديل بين أهل المذهب وكافة القرى وهم لها يوزعون (فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون) وفاز أهل البرزخ حسن الحال والسلامة من الأغلال والشكال وطابت لهم العاقبة والمآل لأجل ما كانوا لا يدعون (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا سوء ما يحكمون) وشدهم في ذلك الشكال مقابلة لما في بيوتهم من الأمتعة والأموال لأنهم دخلوا في العهد في ذلك الحال لعلهم عن مثلها ينتهون (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون) وكانوا تلك الليالي والأيام يقاسون حرارة الضنك والالزام، ويبيعون ما عندهم من الأمتعة والحطام لأداء ذلك الالتزام (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون. كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) وطاب منهم جميع ألوان السلاح ومن أخفى

عليه شيئا فليس له في بلده صراح ، بل دمه هدر مستباح ، فلم يكونوا لشيء منه يخفون
(وما كان ربك مهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون) ثم أمر بهدم الأسوار والبروج
ولا يكون للردة منهج ولا عروج ، فأصبحوا بها يهدمون (أفلا يرون أنا تأتي الأرض
تنقصها من أطرافها أفهم الغالبون) فهدمت أسوار قراها والبلدان مخافة أن ينزغ
بينهم الشيطان أو يطمع بها أحد من العدوان ويحسبون أنهم يمكنون (ولقد علمنا
ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون) ولما تم بناء ذلك القصر المحكم
المشيد على كل وجه من الأحكام والتسديد والغلظ وارتفاع السمك والتجويد ، ووضع
فيه من آلات الحرب والطعام وما يحتاج له المرابطون (يأيها الذين آمنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) وأعد قطعة من خيله وركابه ، وجيشا
من جنده وأصحابه خارج عن القصر قريب من بابه ، لإخافة العدوان وأربابه ولتذب
عن البلد من أتوا يخربون (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون) .
ثم دخلت السنة الحادية عشرة بعد المائتين والألف . سار سعود من الإحسا أنا له
الله الرتبة القعسا ، لما اشتاق حرمه الله إلى نجد وصبا ، وهيج شوقه نسيم الصبا وتواجد
لها شوقا وطربا ، كيف وهي الوطن الذي به يستوطنون (ومن آياته أن جعل لكم
من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم
يتفكرون) أمر بأشخاص قوم كثيرة وحائل ، من ضمة الناس ، وغالبهم أمائل متفرقة
من تلك القبائل ، أنهم يحلون في الدرعية ويسكنون (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي
واسعة فاياي فاعبدون) ثم أمر بالرحيل والترحال وأن تقدم تلك الأحمال ، وتعجل
عن وجه الأثقال ، ثم شدت له الرحال فاستوى عليها وقال ما كان الساف يقولون
(سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون) وجد في السمر
إلى نجد بعد ما حاز ذلك المجد وأكثر الشكر والحمد للمولى الذي له الخلق يثنون
(ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون) وحين قارب
أن يلقي عصي السير والتسيار ، ويحيط الرحال في رفيع تلك الديار ، وشرع إليها في النزول
والانحدار من المحل الذي لها ينحدرون ، قال (رب إني أعوذ بك من همزات الشياطين
وأعوذ بك رب أن يحضرون) وبدأ المسجد حين دخوله بالتحية ، ثم قصد والده
والأهل والذرية ، واستقر مجلسه مع والده وأعيان الرعية ، وطفق عبد العزيز يشوقهم

لما عند الله لعلهم في الدنيا يزهدون (وما أوتيتهم من شيء فتناع الحياة الدنيا وزينتها
وما عند الله خير وأبقى أفلا تعقلون) وفيها وقعة أحزاب ثويني ؛ ولما استقر بهجر
عمود الدين والإسلام ونشرت على رغم أنوف العدى للهدى أعلام ، وثبت أصل
التوحيد ورسا في جميع بلدان الحسا غشى قلوب المبطلين الحزن والأسى وتمثلوا ببقي
عسى وعسى ، ففهم على تكرار الصباح والمساءلة الباطل مرتجون (فأعرض عنهم
وانتظر إنهم منتظرون) وشوت قلوبهم حرارة الحزن ومرارة الهم والمحن حين ملك
أهل الإسلام ذلك الوطن ، ونوى فيه التوحيد وقطن ، وضاق بهم فسيح الأرض فضلا
عن العطن ، وعرفوا أنهم متبعون (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا
تستقدمون) فأرجف الله تعالى قلوبهم خوفا وفرقا ، وسفحوا ذلك دموعا وعرقا ، وازدادوا
ذعرا وغيظا وحنقا وساروا للتخريب عليها وخدا وعنقا وقصدهم لنور الحق يطفئون
(يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون)
وتعاضد ذلك الأمر عليهم وأربى وسعوا في تغييره شرقا وغربا ، وتداعوا عليه عجماء وعربا
ولم يعرفوا أن للدين ربا (لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون - بل جئناكم بالحق ولكن
أكثركم للحق كارهون) وتجرعوا من سماع هذا الأمر غصة ، والكل أخذ من عظيم
الحزن حصة ، حين رأوا أهل الإسلام على هذه المنصة ، وودوا لو يدركون فرصة ، على
السلمين بها ينتهزون (لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر
أمر الله وهم كارهون) وشعروا ذيول الهمة بالتبديل والانقلاب ، وجدوا إلى تحصيلها
في الأسباب والسعي في بواعث الاجتلاب ، فأبوا بذلك بشر مآب ، وما ظفروا بما
يرجون (وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون) فملئوا بطون
الصحف والأرقام من نفث البراع والإقدام ، وبث ما في الصدور والأوهام ، فزخرف
القول والكلام وأرسلوا بها إلى البشاوة والحكام لعلهم في إزالة الدين يسعون (ولو
شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون) وأقام في ذلك الصغار والكبار واجتمع عليه
السفلة والخيار ، وشمر فيه ساعد الجدد والازار قباء وبالخبيبة والأوزار مما كانوا فيه
يمترون (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم
لا تنصرون) وانتدب إلى هدم ما قد أسس من الدين وبان ، وإزالة ماله من أساس
وأركان كل رئيس وعالم شيطان من جميع النواحي والبلدان ، ونمقوا في الطروس

قبيح الفعل والبهتان ، وأرسلوها إلى الباشا سليمان وأقسموا له فيها أنه لا يصلح لهذا الشأن ولا يقوم بأعباء الرياسة ومصادمة الكتائب والشجعان ومنازلة الجموع والأجناد من سائر العربان ، ومقابلة هؤلاء العصاة العدوان ومقاتلة حضرم والبدوان ، وإزالة أثرهم من الحسا ، ومحاصرتهم في البلدان سوى ثوبى من الأنام إنسان ، ولا يقدر على ما ذكرناه إلا هو ذو الهية والشان ، فأطلقه ورأسه حتى ترى ما يسر الأعيان ويقر الناظر له في العيان ، وتحمد أثر سعيه في قريب من الأزمان ، وترى أهل الدين من سطوته يهربون ومرادهم على الدين يهربون (واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) فلما دعا الباشا ماحرروه ووعا ما أثبتوه وقرروه وتأمل مفهوم ما قد خبروه وعرف منطوق ماسطوره وخفى ما كذبوا فيه وزوره ، أمر بإحضار ثوبى عنده فأحضره وخلع عليه ورأسه وكبروه وعقدوا له الحكم على الحاضرة والبادية وأمره ؛ ولم يقف الباشا على حقيقة ما دبروه وأنهم قد بدلوا الأمر عليه وغيره وحذروه من هذا الذي نفروه ، وما هو والله إلا كذب اقتروه وأعانهم عليه قوم آخرون (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) حين حظى ثوبى بالرياسة ونالها وحاز من آماله منالها نادى برفيع صوته ، أنا لهؤلاء الطائفة أنا لها ، وأعطي جماعته الأيمان على ذلك وأنا لها وهم لأيمانه مصدقون (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) وندبوه على قتال أهل الدين والتدمير وحشوه على آلات التسيير وتعجيل الظهور والسير وحرصوه على أن لا يبقى منهم صغير ولا كبير ولا يذر شريفا ولا حقير ، وكان يسمع من اللطيف الخبير ، جميع ما به يحرضون (فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون) فأقبل متعمدا بإزالة الدين من أساسه ، وإطفاء نوره من نبراسه وتغيير منهاجه وانكاسه ، وقتل كافة أنصاره وأحزابه وأناسه ، واستئصال شأفة بلدانه وأعوانه وأجناسه ، واغتر بما جاء به من سواد رجسه وأرجاسه وغوغاء أجناده وأحزابه وأنجاسه ، ورام هذا المرام لقوة بأسه وما شعر أنه مسوق إلى قطع رأسه واستيفاء بقية أجله وأنفاسه ، ولم يعرف ومن معه من هم له محاربون (فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون) وهبط من بغداد بعد مقاساته بها الأنكاد ومعاناته هم الأسر والقياد ، والغم الذي غشى الفؤاد ، فأسرع في الامتثال

والانقياد وإحكام آلات الحرب والأهبة والاستعداد ، وحشد الجيوش والأجناد والاستعانة بالأسباب والأمداد من كل ناحية وقطر بلاد ، وكلهم بما قدروا عليه يعدون (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا ولا يسئل عن ذنوبهم المجرمون) وصحب ثوب الخيلاء والتهيه وجره ، وأوطأ سنابك خيل جيشه المجرة ، واختال بما داخله من العجب والأنس المسرة ، التي كان في ضمنها له الهلاك والمضرة ، والدل والهوان والمعة .

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يخفى عليه اجتناؤه فكان والعياذ بالله كالجادع ألقه بكفه ، والباحث عن حتفه بظلفه ، وهذا شأن الذين يستدرجون (والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وحس السير يريد الفيح وصولا ، وطوى بأبدي الجياد من المهامه صعبا وسهولا ، وعزم أن يفي بعهده (إن العهد كان مستولا) حتى يصادف من الباشا رقة وقبولا ، ولقد تكلف بما ليس والله في طوقه (إنه كان ظالما جهولا) وشتم بأفقه وجرا لكبر ذيو لا (إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا) ولكن أكثر الناس لا يتدبرون (وأخذناهم بالعذاب لعلهم يرجعون) ولما قارب دخول البصرة في الاقبال وتبين له منها رسوم وأطلال ، خرج إليه أهلها من الفرح باستعجال وتلقوه بالقبول من أميال وبادروه بالحشمة والإكرام والإجلال وأظهروا من التوقير والخدمة والامثال ما لا يحظر على البال ولا يحصره في البيان المقال ، فدخلها بأبهة تغشى عيون الناظرين رونقا وحسنا ، وتخلل التأملين فيها ألبابا وذهنا ، ويهر العقول مشاهدة ذلك المقام الأسنى فتتقص عند مطالعته مهابة وجبنا ، وتقول ياليت لنا مثله ، وكذا أهل الدنيا يقولون (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها إلا الصابرون) ولم يستقر قراره في البصرة بل ساعة دخلها أخذ يجهز أمره ويظهر تجربته وبأسه وقهره ويحدث في أسباب الحرب والمكايد خفية وجهرة ويحذر الناس سطوته ومكره ويخوفهم لكي يساعدوه ويشدوا أزره .

ولقد بذلوا الجهد في مساعدته وحققوا عزه وغلبته ونصره وما جال في خلدكم أنه قد حفر لنفسه من الشر حفرة وهي لمصرعه بيديه قبره ، ولقد كانت حاله لدوى العقول عبرة ولكن أكثر الناس لا يعتبرون (قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) .

وفي حدود إثباته البصرة ووصولها وهبوطه إليها ودخولها ومكثه فيها وحلولها أتمته من رؤساء ما تليه من البلدان ومن العلماء الذين هم لهذا الدين عدوان وطلعي حقه من الأرض أعوان محررات الوسائل للنفوس ونحبرات الرسائل في الطروس، والصحف التي أجيده في السجع منشورها والقصائد التي جلي بالهتان صدورها وأفصح بالعداوة والبغى منشورها وأبان محض الحسد والاستكبار صدورها فكانت وقته الحمد شؤما عليه قدومها وظهورها لما بالغ فيه من الفحش بهتانها وزورها وتعدى فيه عصيانها وفجورها ومضمون تلك الرسائل والقصائد ومطلوبها من الأمانى والفوائد حثه على سرعة التمجيل لما هو قاصد لكي يفوز بما أملوا من المقاصد ولم يجر على بالهم أن الله تعالى له بالمرصاد (وأنه يعلم ما يسرون وما يعلنون - قد قالها الذين من قبلهم فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) واستغاثوا به في منشورهم ومنظومهم وندبوه وسألوه تمجيل النصرة لهم وطلبوه ولم يخشوا الله تعالى في ذلك ولم يرهبوه ووعده الأجر على ذلك ورغبوه، وتألموا في نصرته على الله فيما كتبوه وليتهم لسوء هذه الجراءة يفهمون (أم يحسبون أنا لنسمع سرهم وننجاهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون) وأعنفوا في سيرهم ذلك، ونصوا وعموا في حكمهم له وخصوا وجزموا له فيما زخرفوه له بالغلبة ونصوا وما أكثر ثروا بمن عليه يجترئون (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ) وقد وصل إلينا من هاتيك الديار منظومة لابن فيروز من تلك الأشعار متضمنة لأقبح العار تبين فساد مبناها وبطلان مفهومها ومعناها بأول وهلة قبل التأمل والاختيار، كيف وقد صرح فيها ناظمها ومنشئها بالاستغاث بالملك جبار وظالم تعدى وجار، والدعوة والاستغاثة بحق الواحد القهار كما هم في حكم التنزيل يقرءون (والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) ولقد نظمها ابن فيروز وأرسل بها إليه وقدمت البصرة عليه فقابلها بالقبول التام وأبدى من حسن القبول والإعظام ما زاد على السؤل والمرام وأمدته بكثير من الخطام، وكان بينهما قبل ذلك محبة وصحبة والتام ومعاشرة ومواصلة وانتظام، فهم على الحلة مجتمعون (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين يا عباد لا خوف عليكم اليوم ولا أتم تحزنون)، وهذا نصها :

أنا مل كف السعد قد أثبتت خطا بأسلام أحكام لنا حررت ضبطا

وقد أجاب عنها المصنف وأرسل بها إليه :

وهذا نص الجواب

على وجهها الموسوم بالشوم قد خطا عروس هوى ثمقوته زارت الشطا تخطت فأخطت في الساعي مرأها ومرسلا عن نيس مقصوده أخطا وثارت لنار الشراك تذكى ضرامها وسارت فبارت والإله لها قطا لقد شوهت ما زخرفته بزورها كما أنه بالمين قد أحكت ربطا وقد جاء منشئها بزور ومنكر وخش وهتان يعط به عطا وحان به داعي العناد لمهيع تنكب عن سبل الهداية واشتظا فضل عن الإرشاد للحق واعتدى وغط أناسا في طريقته غطا وجاوز منهاج الهداية راضيا عن الدين بالهدايا لما نالها بسطا يحاول تشييدا ورفعا لما وهت قواعده فوق البسيطة وانحطا ويسعى بتحريض وتهيج فتنة تصور إذا شئت لحاء العدا شمطا وربك بالمرصاد ممن يريد أن يفسد ركن الشراك من بعد أن حطا فلا عجب من يعش عن ذكر ربه يقيض له الشيطان ينشطه نشطا لقد خاب من مسعى غدا طول عمره يصد عن التوحيد من دان أو شطا ولا كابن فيروز يروم سفاهة وصار يذود الناس عما أتى به ويدعو إلى نهج الضلالة معلنا يغالب أمر الله والله غالب ويرجو من الخلق غوثا ونصرة وذلك من الأقدار ما فك نفسه لئن كان يدعو لتفريق كربة فبشره بالخسران والدل إن سعى ومن جرب الأشياء يكفيه ماجرى وينظر في عقي الحياة والردى وللشهم في تلك القضايا مواعظ

عروس هوى ثمقوته زارت الشطا ومرسلا عن نيس مقصوده أخطا وسارت فبارت والإله لها قطا كما أنه بالمين قد أحكت ربطا وخش وهتان يعط به عطا تنكب عن سبل الهداية واشتظا وغط أناسا في طريقته غطا عن الدين بالهدايا لما نالها بسطا قواعده فوق البسيطة وانحطا تصور إذا شئت لحاء العدا شمطا يفسد ركن الشراك من بعد أن حطا يقيض له الشيطان ينشطه نشطا يصد عن التوحيد من دان أو شطا دفعا لحق في البرية قد وطا أجل شفع في الجزأ للوى يعطى ومنهاج أهل الزينج جهرا به أطا ويندب من لا يملك الرفع والخطا يناديه من بعد أغثنا بلا إبطا ولم يغن عنه المال إذ بذل الشرطا فليس سوى الرحمن ندعو بلا استبطا بهضم لهذا الدين أو وافق الضفطا ويلغى أباطيلا عن الاهتدا شحطا فكل امرئ خان العهد غدا سقطا يرد بها عنه الغواية والهمطا

وكم دولة كادت وقادت جموعها
يريدون إخفاء لما الله مظهر
رويدا فوعده الله لا بد واقع
ومن عارض الأقدار أو سخط القضا
وما ذاك إلا معتد ذو حماقة
فويل له يوم القصاص وحيث لا
صمت عصبة التوحيد عما يشينهم
أيوصف بالطاغوت من جدد الهدى
وأعلن بالإسلام والدعوة التي
وقام بأمر الحق في جاهلية
وأطلع مولاه نجوم سعوده
فسبحان من عم العباد بحله
يكفر قنوم بالكتاب تمسكوا
وما عمموا بالكفر بل خصصوا به
أفي عجب التنزيل تكفير من دعا
أهل الهوى والزيف والفرق التي
وهل جاء في التنزيل والوحى شاهد
ومن قد نحا في الدين سنة حجة
قتبا وسحقا يالها من مقالة
لينظر ذو الأحلام والعلم والتقى
وفي غربة الإسلام أعظم شاهد
وبرهانه العقلي نصره رهطه
لقد رفعت أعلامهم بأمرهم
بهم أسفرت شميس الدجى بعد دجئها
ذو الحزم والتسديد والعزم والنهى
يدودون عن ورد الدنيا نفوسهم

فبادت وما فادت وما أدركت مسطها
وإتمام نور الله بالحفظ قد حيطا
وقد وعد التمكن من عمل القسطا
فربك قهار له النع والإعطا
توغر في الإبلال واعترا وانقضا
مناص وأهل النار تسرطهم سوطا
وعن وصفهم بالكفر لكنه الإخطا
وأحبا أصول الدين والسنة الوئطا
لها كشط المختار رأس العدا كسطا
وأهل الردى والشرك تحسبه خلطا
بال سعود حين صاروا له سبطا
وفي هذه الدنيا يأمهاله غطا
وبالهدى والإجماع ما خالفوا شوطا
أناسا من الإشرار أعمالهم حبطا
إلى الله والتقوى وإسلام من شطا
تحرّف وحى الله حازوا الهدى خرطا
بتحقيق إسلام الروافض قد خطا
ينادى عليهم أنهم خبطوا خطا
من الإفك والبهتان قد سحبت مرطا
إلى أى قوم في الهدى تبعوا الخطا
بإسلام من قد قام يدعو الورى عبطا
وتمكنهم في الأرض أكرمهم رهطا
وأبناء أسد الحرب بل بأسهم أسطا
وزال ظلام الشرك من بعد مالطا
وأهل المعالي والفخار بهم ينطا
ويسخون في نيل الزايات سبطا

فقد بذلوا في ذا النفوس فأحرزوا
وقد ولى الحسا سعود فأسعدت
وأبعد أهل الشرك عنها وأبعدت
وسرر أرباب الوظائف كلهم
مستارسهم معمورة بعالمهم
وما أبطلت أحكامهم حيثما أتى
نعم هدمت للرفض فيها كئاس
وما كان من جور ونكت وبدعة
ولم ينف الأكل من عمل الردى
فليس ترى إلا مفيدا وهاديا
وأمر بمعروف وتنكير منكر
وحشا على فعل الصلاة جماعة
قله رب الحمد والشكر دائما
لقد من مولانا علينا بمنة
وصب علينا من شآبيب بره
باتقانا من غمرة الشرك والهوى
عسى الله يعلى في الجنان مجدا
ويحرسه عن كل سوء ونسله
أبا عمر هتيت بل هنى الورى
إليك القرى والمدن ترنو عيونها
وترتاح من عاليا سعود ونصره
فجهاز لها المنصور بالبشر تلقه
فقد طرز الإقبال آيات فوزه
ودم شارب كأس السرة والهنا
وأزكى صلاة يفضح المسك عرفها
كلنا الآل والأصحاب ماخط كاتب

به العز ياطوبى لمن أدرك القطا
مساعيه أهل الخير فانتظموا سبطا
مذاهم فيها وما أبصروا غمطا
وما شاهدوا في كل أوقافهم هبطا
وما ثبطوا عن نشر أحكامهم ثبطا
بإبطاله الشرع الشريف وما أخطا
وكل شعار الرفض عن أرضها ميطا
ولهو وتابوت وكل الدعا معطا
ومن كان سببا لمنطقه مسطا
وعلى وتحديثا بهذا تسمع اللفظا
وتتكبر من قد قارف الذنب والسخطا
وتويخ من عنها تخلف أو أبطا
على نعم لم يحص نظمى لها ضبطا
وخولنا من فضله خير ما أعطى
سحاب رحى قد حوينا بها غبطا
ولولاه كنا في غياهبها ورطا
ويولى الرضى عبد العزيز الذى وطا
ويبقى سعودا في سعود وفى ابطا
بمانت والتوحيد حاز بك البسطا
تمناك ترعاها فتملؤها قسطا
وتعبط نجدا والحسا الآن والخطا
وتفرش إكراما لإقدامه بسطا
براياته والنصر والفتح قد خطا
بأطيب عيش والعدا تأكل الخطا
تعم رسولا فى الورود لنا فرطا
ونق فى مرسومه الشكل والنقطا

ولنرجع إلى تمام الحديث عن توبيخ وحاله وشرح مسيره وتدييره وتدميره ومآله وذلك أنه لما أقام في ذلك المكان في ترتيب الحال وتديير ذلك الشأن ، واجتمع عنده من أحباس الأجناد لغات مختلفة وألوان ومن عدة الحرب والمدافع وآلاتها وقاداتها وحمايتها ورماتها ما يذهل الأذهان ، ولم يجتمع قبله مثله عند إنسان ، ولا أحكمت سياسته من هو في شكله من رؤساء الزمان وانتظم ذلك في قليل من الشهور واتقادت له طوعا استدراجا صعب الأمور ، أذن مؤذن التعدي والفجور في تلك الجحافل والجحافل والعسكر المجرور بالارتحال والمسير إلى الاحساء فالنفور والمبادرة بالخروج والظهور وتردى برداء الإعجاب والفرور ، ونسى يوم البعث والنشور يوم يساقون للحساب ويحشرون (كلاسيكيون ثم كلاسيكيون) وانضم إليه كثير من سواد البوادي والأعراب ونسلاوا إليه من كل فج وباب وتنادوا بينهم أن اغدوا للأخذ والاستلاب (جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب) وسمحت نفوسهم على المساعدة وتقوية الأسباب بما كانوا يعضه يبخلون (إن الذين كفروا بنفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) وأقبل جميع آل ظفير إليه ، وتزلاوا بأجمعهم عليه وكانوا معه ولديه وخلقوا ما ادعوه قبل من ذلك اللباس وجنحوا إلى سنن الإبلان ، واستحوذ على رؤسائهم الوسواس حتى أنزل الله تعالى بهم اللباس وكانوا عن سبيل الحق يصدون (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون) فزحفت تزيد الحساسة تلك الجنود والجموع التي ضاقت منها الأودية والفجاج والوهاد ، وقاد معها القنابل والقنابر والمدافع التي أصواتها كالعود ، وجدوا يريدون أن ينالوا المقصود فقصى الله تعالى عنهم يساقون لحياض الحمام للورود ويسجلون لأجلهم العدو في ذلك اليوم المقدر المشهود ، وأخذوا من حيث لا يظنون (فأصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنهم يرون ما يوعدون ، لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) فلما تحقق عبد العزيز الامام الخبر عن توبيخ بصحيح الكلام واشتهر عند الخاص والعام أنه نشر للظهور الرايات والأعلام رفع يديه لمولاه وسأله ودعاه وألح في دعائه وناداه وقال وهو من الإجابة على يقين : يا من يجيب دعاء المضطرين ولا ينجيب رجاء المرتجيين ويكشف سوء عن المكروبين ، أكفنا بحولك وقوتك المعتدين واصرف عنا شر الضلال والشركين وأنزل بأسك بالمجرمين واقطع

(١٣ - تاريخ نجد - ثان)

الظالمين وشتت شملهم أجمعين واجملهم في كل فج ممزقين ، فلم يتم حينئذ دراهم حتى قوى في يقينه رجاءه وغلب على ظنه أن البلا كتب على جميع ذلك اللا وأن الهلاك عليهم قد سطر والإذلال عليهم رقم وزير وقد فرغ من ذلك وقدر قتلا (سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) حقق له ذلك الرجا وأنجح له مآمله وأرجى ، ولم يكن باب الإجابة عن قبول دعائه مرتجا والله يحب الذين إليه في كل حالة يتضرعون (أم من يحب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض إله مع الله قليلا ما تذكرون) ثم بعد التضرع والاقبال والدعاء والسؤال والتذلل بين يدي الله والابتهاال أمر سعودا والمسلمين بالتجهز والخروج أجمعين لمنازلة الباطلين ومصادفة المسرفين ، وأرسل بذلك إلى كافة البلدان من هو داخل في دائرة الإسلام والإيمان البعيد والقريب والقاصي منهم والدان ، فكل أجاب طلبته ومراده ولبي دعوته وإنجاده ، وخرجوا للطاعة بدارا وللجهاد شوقا واختيارا ، وقد بلام الله بذلك اختبارا ، وامتنعهم ليميز الحبيث من الطيب جهارا ، فلقد أبدى الله سبحانه وتعالى في هذه الحادثة برهانا ساطعا وحكما قاطعا من الآيات والأسرار المطوية الخفيات والأمور المكتومة الخبيثات ، والعقائد التي في الصدور منظويات والأهوية التي هي قبل مائلة إلى الردات والقلوب التي هي مملوءة بنبض هذا الدين من البريات وتربص بذلك الدوائر من أهل الشرك والضلالات والأفئدة التي هي بالإحني على أهل الدين مشحونات من البدو والحضر من غير تعداد ولا حصر ففضح الله تعالى خلقا كثيرة فانتضحوا وزين لهم الشيطان أعمالهم فما فازوا ولا رجحوا حيث رغبوا في الردة حيثتند وخنحوا فأوبقتهم الأعمال ، فأخرجوا إلى دائرة العدل والاهمال وزال عنهم الاستدراج والإمهال فانقطعت بهم الآمال في مفاوز الهلاك والوبال ، ضنوا حين رأوا قوة ذلك البعيد والأسباب أن هذا إبان حلول العذاب وأوان الدمار والذهاب ، على أهل نجد بل جزموا به من غير ارتياب ولم يعلموا أن هذا هو ورب الأرباب كله على القطع سراب يركب غر قبلهم من قبائل وآل في السبيل المضلة لمعان الآل ؛ ولقد رفع أعلام الآيات الكبير المتعال لكل من له قلب سليم ولب كامل وبال ، وأبرز القواطع على تفرد أهلية العبادة والكمال في تلك الحال وغيرها من الأحوال ، فأبى الا الصد والإعراض أهل الاتحاد والضلال وقالوا ليس لنا عن سنن أسلافنا اتقال ولا نبرح على ما كانوا

عليه من سالف الأعمال ، وسابق ذلك المنهاج والأفعال حتى تزول الأرض أو تزال ،
فأنزل عليهم العذاب سريع العقاب والازال فقطع دابرهم باستئصال ، وعاجلهم ذلك قبل
حصول مأمولهم وإدراك مطلوبهم وسؤلهم ، ونودي عليهم (أولم تكونوا أقسمتم من
قبل ما لكم من زوال) وخرج جيش أهل الحسا آخر شعبان وجيوش أهل نجد
اجتمع أكثرها في شهر رمضان ، وخرج سعود بلغه الله تعالى كل مقصود في النصف
الأول من شوال في أحسن حال وأكمل بال ، وقد أمر جيوش المسلمين وإمداد
الموحدين أن يكونوا عند العربان مجتمعين وينزلوا طرف الصمان مباركة لأولئك
العربان وكبيرهم محمد بن معقل ، فكان أهل الاسلام كلما أقبل أولئك الطعام وزلوا
مكاننا آخر ، ارتحل ابن معقل ومن معه وجد في ذلك وبادر حتى نزل المسلمون قرية
ونزل أولئك بناحيها بلامرية ، وكانت تلك الجنود والأحزاب تروم السبق على الطف
وما يليه من غير ارتياب ، فعرف أهل الدين مرادهم ومشايمهم فسبقوهم على ذلك وكان
عقبهم الحسر ومثواهم . ولما خرج سعود لذلك المنهج المحمود أقام على الحفر يجمع
عليه الإمداد من كل أرض وبلاد ويرسلها إلى عربان المسلمين وأجناد أهل التوحيد
المجتمعين وقد أعمل المظي والرسائل إلى جميع العربان والقبائل وإلى جميع قرى
الاسلام وبلدانه ومن حل التوحيد بأوطانه من أهل الجنوب والشمال ، فانتظم من
الخلق والأمم ما لا يحصره القلم ولا يعبر عنه ناطق بضم .

ولما تحقق عنده نزول ثوبى وادى القرايا ، أرسل حسن بن مشاري رحمه الله
تعالى مع جنديّة من تلك البرايا حتى يستريح منهم البال ويحسن منهم الحال ، فقد كانوا
في كرب وأوجال لاسيما من عدم قدوم سعود عليهم بالاستعجال ونزوله عليهم تلك
الأيام والليالي ، ولم تعبر أحلامهم ساحل الفكر والإحتيال ولم تتجار خيول أفكارهم
للرأى في مجال ، ولم يفهموا ما ابتداه من نتائج ألباب الدهاة من الرجال ولم يسمعوا
ماورد في صحيح المقال « الحرب خدعة » والله در الثنبي حيث قال :

الرأى قبل شجاعة الشجعان	هي أول وهو الحل الثاني
فإذا هما اجتمعا لنفس مرة	بلغت من العليا أعز مكان
ولرعا طعن الفقى أقرانه	بالرأى قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيعم	أدنى إلى شرف من الإنسان

فقصر باع الأفهام ، أن تدرك سر التأتى في ذلك المقام ، وعدم المبادرة بالإقدام
وظنوا أنه إحجام ولم يتعودوا ممارسة العقول بالتدبير والسياسة ، ولم يتأهلوا للقيام
بأعباء الرياسة وأضاعوا مواد الحزم وخطبوا خبط عشواء بلا يقين ولا حزم وحكموا
بما لم يحيطوا به من علم ، ولم يكونوا آمن غامضه على فهم ، فاستحسنوا ما ليس بالحسن ليكون
المقدمة لم تنتج لهم المطلوب في العلقن وإلا فالأناة محمودة والعجلة مذمومة مبعودة
كما ورد في بعض الآثار ، ومستحسن الأخبار ، ولقد قال من سبق في هذا المضمار :

قد يدرك التأتى بعض حاجته وقد يكون مع الاستعجال الزلل

ولقد دبر فكره فيهم مكائد وأقام لخداعهم رصائد ، ونصب لهم شركا وحبالا تقتنصهم
فرسانا ورجالا ، وأحكم لهم من الآراء درعا سابعة وزردا يوم الهياج نابغة ، وهمت عند
النازلة لكتائب الأعداء رابغة ، وأسنة مسنونة وعصبة بالنصر مقرونة لم يرقط عن الإقدام
لما تأخروا لإحجام ، بل لاتزال للوغى طالبة وفي الجهاد راغبة وللأرواح ناهبة وللهج
سالبة وأراد بهم أمرا أمرا ومن القاصمة كاهلا وظهرا ، فأرسل إلى حسن بن مشاري
بأمره أن يجمع عربان المسلمين وجموعهم على مياه أم ربيعة لكونها منزلا للقتال
والحل الواسع لمنازلة الكتائب والمجال ، فصى العدو إذا رأى هذه الحال يظنها رعبا
وأجفالا ، فيسرع في القدوم والإقبال فتقع المصادقة والمزاحمة وتصدر المقاتلة والملاحمة
فلا يطول مكث لتلك الكتائب حتى يرى سواد سوادى آيب ، فتقع حينئذ في الطعن
عجائب ، وتبدو أحوال غرائب وخطوب ومصائب ، فتضجى كفاة الأعداء للنجاة
طوالب وتلك الأحزاب متمزقة هوارب ، ويضيق عليهم إذ ذاك فسيح الطالب فرعى
كل واحد لكأس الدل شارب ولكن صدور ماجرى تدبير من ليس له غالب ، وإرادة
من لا يعجزه في الوجود هارب وخيرة بر وصول حليم غير عجول كريم جواد يحف
البصر والإمداد ، من أراد من العباد ، وكفى بارادته وخيرته للموحدين وعصبة الدين
من الخير ومراد ، وبإمداده وإسعاده من إمداد وإسعاد ؛ فسبحان الذى قدر الأشياء
ذلك الإبراز والإيجاد ، فوقع في الكون ظهورها وبدا مستورها على ما شاء وأراد .

ولما أتى حسن بن مشاري ذلك الأمر من سعود لم يكن له بد عن الارتحال حتى
يقصود ، فارتحل تلك الأيام وترك الإقامة في ذلك المقام وشرفى السير بعد الرحيل
بغير أناة ولا تمهيل ، وسار عن الطف وما يليه بعد ما كان له فيها صراح ومقيل

وقصد ما أمره به الأمير لكونه رأيا سديدا وتدييرا من أحسن التدبير . فعند ذلك طمع الأعداء وكافة ذوي الردى وحسبوا أن ذلك مخافة وجبنا ورعبا أطار قلبا وذهنا فزحفوا إلى المكان الأدنى فأكسبهم الله ذلا ووهنا ، وأهلكهم بما كسبت أيديهم وأورث المؤمنين المحل الأسنى ودرهم من أموالهم وأغنى ، طمس الله تعالى على بصائرهم وأبصارهم وعمى عليهم الحيل والخداع . فلم يهتدوا لذلك بأفكارهم فألقوا أنفسهم إلى التهلكة بأيديهم وهذا شأن قائدهم يعويهم ثم يرد بهم ، وقد كشف الله تعالى بالارتحال عن ذلك المكان ما أضمر في القلوب واستكن في الجنان وأبرزه سبحانه من أناس في صفحات الوجه وقلبات اللسان فتطرق بالنفاق كثير من العربان لاسيا في ذلك البدوان ، فكاد أن تنفق للنفاق أسواق ويكون للباطل اعتلاق وللزور والسكذب اختلاق ومالوا إلى طريق الهوى وحاولوا عن الهدى نفورا و (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غورا) وثبت الله تعالى أهل التوحيد والايان وزادهم فيه تصديقا وإيقان (وقالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) كما في القرآن وصدق الله ورسوله فأولاهم أسنى مراتب العرفان وأفاض عليهم هاتل البر والإحسان ، وكانت العقبي لهم مع ما منحههم من رفيع ذلك الشأن .

وفي حدود هذه الأيام أرسل حسن بن مشاري جيشا كثيرا من المسلمين ، منهم محمد آل علي الهاشيري وفراج وصالح بن عباس ، وأمرهم أن يطالعوا أدنى تلك الأحزاب ويرسلوا إلى براك بن عبد المحسن حتى يسرع إليهم في الإياب لأنه قد أرسل إلى عبد العزيز الإمام حدود مسيره إلى الشمال تلك الأيام يبين له ماجرى وأنه لم يرد ذلك المرام ولم تطب نفسه بذلك ولم يتقدم له فيه كلام ، وإنى أريد بالمسلمين الحقوق ولكنني عن ذلك معوق وإن أتاني من المسلمين غزوان بادرت إلى لقائهم من غير توان ، وكتب كذلك إلى سعود قبل ظهوره من البلد وبعده وبذل فيه جهده ، وكتب إلى حسن ابن مشاري تلك الأيام وهو غير خائف ولا يمارى بل رغبة في الإسلام والإنقياد للأحكام ، فلما سار ذلك الغزو إلى تلك الأقوام لم يحصل لبراك انتهاز فرصة ولا انهزام لكون الأحزاب به مرجفة ومنه مخدرة مخوفة ، فصارت له مكشفة فردت تلك الغزاة منحرفة ؛ وفي هذه الأيام أغار فراج كبير سبيع مع غزو المسلمين حاضرا وبادية فأصبحت خيولهم على المعادين عادية وكانوا عنهم مخبرين وعن قدومهم مندرين

فصاروا لهم مستعدين ف وقعت بينهم مطاعنة شديدة ، وكان للمسلمين فيها أحوال حميدة بعد ما أناخوا للقتال ولم يتبين فيهم رعب ولا إجحاف ، فقتل بينهم رجال ، وقتل المسلمون منهم ثلاثة عشر فرسا وأخذوا عليهم آبال ورجعوا في أحسن حال .

وفي تلك الأيام أيضا ، أغار نفعان بن سند الندي مع غزو معه على الضويحي فأخذ منهم إبلا كثيرة وفزعوا يريدون ردها فرجعت أبصارهم عنها حسيرة .

وفي هذه الأيام أرسل سعود رسلا نحو القطيف ومعهم ركب آل مرة لكون الطريق يخيف ، فلما أتوا ذلك المكان وجدوا قوما من العمار البدوان ففجئوهم على غرة وتقد الله فيهم أمره وقتلوا منهم خمسة وعشرين وأخذوا السلاح وما كانوا له يجمعين . وفيها وقع مطر عظيم وجري سيل جسيم وكان ذلك وقت الوسمي وأوانه وحينه وزمانه وأول أيامه وإيائه ، فزاد ذلك وأربى وأشفق منه الناس مخافة وكربا وتلاطم موجه وزاد وأزال كثيرا من دكاكين أهل البلاد تماظم جريانه وطما وصعد بعض البيوت وارتمى ، وطرح بعض نخل من البطحاء ورمى وهدم كثيرا من الركايا وأقيمت منه بيوت خوايا ونالت منه بعض الضرر الرعايا وألقى بيوت أهل الدلم وأزالها وأغرق ما فيها من الأمتعة والطعام والأموال وشالها فقير من الأرباب تلك البيوت حالها ، فاختطوا بعد ذلك لسكنائهم خطة وكان ذلك السيل عليهم من البلاء حطة ونزل على حرملابرد كثير كبار لم يعرف له مثيل قتل بهائم كثيرة وكسر جمار بعض النخيل وكسر غالب الأشجار وحصل للمسلمين منه اندثار وهدم كثير من الجدران وأشفق منه غالب البلدان فلجئوا في رفعه إلى الله مولاهم فكشفه عنهم ومنحهم مناهم . وفيها أيضا في فصل الصيف أتى سيل أخجل الأبواب والأذهان ولم يجر قبله مثله في سابق الزمان هدم بعض حوطة أهل الجنوب ، وحصل للمسلمين منه كروب وهدم من العينة والدرعية وغيرها بيوتا معودة وأغرق زروعا كثيرة محصودة ولكن برك الناس به نعمة منيفة ومنة من الله تعالى شريفة حيث استمر سنة يجرى من غير اضطروا دى بنى حنيفة ، فطابت لهم البلاد وحسن لهم العيش والحال وأقاموا مدة هذه السنة في أنعم بال (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم شرا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) . وفيها كثر الجراد وعم في أكثر البلاد والتشر في غالب الأقطار ورأى في كثير من البلدان والأمصار وحصل للناس من

خلفه الصغار الذي لا يقبل الزجر والاتزجار ولا يعتريه من الوهج اندثار أعظم ضرر وإضرار ، فأكل ذلك الدبى لما مشى ودبى ولم يشعر به الناس حتى طلع عليهم جيشه وبنا غالب ثمر الأشجار ثم ولي بقدره العزيز القهار . وفيها غزاريق بن زيد أمير وادى الدواسر بجيش من جماعته ما بين حاضر وباد فأسرع في سيره يريد بعض البدوان ذوى الشرك والضلال والطغيان فصبح فريقة يقال له أبو البؤس من شهران فشن الغارة على ذلك الفريق دون إمهال ولا تعويق ؛ فشمز حزب الفسق للقتال بالصدق وعزموا أن يكشفوا العوادي القوارح ويوقعوا من عزمهم بالمسلمين أمورا فوادح تسويلا من الشيطان وأغترارا بالصبر عند الطعان حتى رأوا من بأس أهل الدين ما أ كذب أمانهم ، فلولوا منهزمين وقتل منهم نحو الخمسين ، وأخذ المسلمون جميع المحلة والغنم والابل ورجعوا بالأجر وحسن العمل . وفيها غزا ربيع أمير واديه بجمع من حضره وباديه ؛ فسار بمن معه من المسلمين وحزبه المتبعين يريد بلدان المشركين ، فعمد إلى بيشة ونزل على الشقيقة والجنينة وبادرهم بالقتال بعد أن أبوا الإسلام وحينئذ ، ثم بعد أن مضوا لهم ليالى وأيام وهو محاصر لهم في ذلك المقام رغبوا في طريق السلم والاستسلام ونزلوا للبيعة على الإسلام فعاهدوا جميعا على ذلك وحسن لهم المقام هنالك . وفيها أمر عبد العزيز أدخله الله تحت كنفه الحريز ربيع بن زيد أن يسير بجماعته إلى رنية مع من عنده من أهل ذلك المكان ومهاجرته ، فسار ممتثلا لذلك الأمر حتى أتاه على رنية ، فبنى بها قصرا فلما أحكم بناؤه وتم رفعه واستأذنه جعل فيه آلة للحرب وكثيرا من الطعام وأمر فيه محمد بن سعيد بن قطنان ، فحين عاينوا أهل رنية ذلك العمل رجف بهم ذلك الوطن والمحل وضاق عليهم فسيح الرحاب ودهام أعظم الاكتراب وحل بهم الأسى والاكتئاب فلم يجدوا منهجا للدفاع ولم يكن عن الدخول في الدين امتناع وإن كانت تفر عنه تلك الطباع وليس لهم في البقاء على حالهم أطماع ، فعند ذلك أسرعوا في الإسلام على البيعة وأقبلوا للسهد متابعين ، فأبدوا أولئك الأقوام مناهج الاستسلام ودانوا لما تضمنه من الأحكام على طريق الإلزام وفيها غزا محمد بن معقل مع جمع من أصحاب الحساء والمهاشير وأهل نجد وكانت جزيير العماير التي بالبحر له قصد ، فسار وقد زال عنه ومن معه من الرجال رين النص والسامة والكلال ، وقد أجهد المظي في السير والترحال ، لئلا يعلم ما دبره وهما

من الحال ، فلم يزل يجد التسيار ويقد بمقراض العائلات القفار حتى شخص له لمع البحار وسمع زخر موجة التيار وهدت له في الجزيرة الأشخاص ، فأسرعت الجيوش الإحصائية والأبطال المحربة النجدية إلى خوض اللجة البحرية مستمدين النصر والإعانة السرمدية من خالق البرية ، ولم تسبق قبل هذه في البحر لأهل الدين غزوة ولم يفتزعوا من تياره صهوة بل لم يقصدوا نحوه وخاض معهم بعض الحيل ولم يكن لأحد عليهم قبل ذلك صدود ولا ميل ، فشمز يعوم من كان يحسن العوم من أولئك الجماعة والقوم حتى وصلوا إلى ساحل الجزيرة فساروا إليها بأعظم الجريرة ، وحين رأى من بها من الرجال مهول تلك الأفعال علم أن وراءه من القتال أحوال وأهوال ، فركبوا سيارة الأفلاك فكان لهم بها من السلامة أفسلاك ولم يكن لهم سبيل ولا إدراك ، وقتل منهم بعض الرجال وأخذ المسلمون جميعا ما بها من الأموال فأدركوا فيها ستا من الحيل الأجوايد ونحو أربعين من إناث العبيد وخياما كثيرة وسلاحا وأمتعة وتقودا وأرباب وفازوا بالأجر والفلاح ورجعوا من الأمل بالنجاح . وفيها أرسل غالب الشريف رسلا إلى عبد العزيز أصلح الله تعالى له الحال وبلغه جميع الآمال يطلب منه علما من أهل الدين والتوحيد ويذكرهم أنه يقصد بذلك تحقيق هذا الأمر ويريد ويحرض على قدومهم مع من أرسله من البريد حتى يقف على الحال عن يقين وعيان ويحيط بعد ذلك بالعرفان وينجلي له من المناظرة في شريف ذلك المكان ما خفي عليه من مدة أزمان ، وربما تشرق له أنوار شمس البيان ويحصل منه بعد الإباء والإصرار إذعان وبعد النفرة عن عذب ذلك المنهل شرب وإدمان ، فلما عرف إمام أهل الإيمان ما قصده ذلك الإنسان ، وما حرض عليه من المناظرة لديه والبيان ، رغب أن يكون انقح له من الدعوة شئ أو نشر له من الحق طي وربما يبدو منه إياب وفي بعد فرط اللبود وامتناع ولي ، ويقتضى من شاء عن القرب لذلك المكان ، وأيضا فالهداية والتوفيق لا يكونان في أوقات دون أوقات ، والله في دهره نفحات كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات ؛ وكان من حسن سيرة عبد العزيز وفطنته وبديع هديه وسنته عظيم فضل الله عليه ومنته أنه يدعو إلى الله تعالى بالتي هي أحسن وأحكم ويرشد الناس إلى الله التي هي أقوم ، فرأى إسعافه بذلك المرام وإسعاده واختار أن ينيله مأموله ومراده أن يكون له سببا للسعادة ؛ فعند ذلك أرسل إليه من أهل الدين من يكشف

عنه شبه البطلين ويوضح له سبل المهتدين وهم أناس من أهل الميز والتبيين وحسن
 المحاضرة في المناظرة بالبراهين وكبيرهم حمد بن ناصر بن معمر وكان هو الرأس
 عليهم والثومر، فجهزهم بأحسن الجهاز وأتمه وخولهم من معروفه أعمه، فجردوا للسير
 المهمة وقطعوا تلك المهامه المنهكة حتى أتم الله تعالى عليه الفضل والنعمة وصرف
 عنه اليأس والنعمة، فوصلوا بعد إنضاء الأعوجيات وإرقال تلك المهربات في سياسب
 القلاة ومواصلة السرى في الدجنات بلد الله الحرام ومحلة الحج الذي هو أحد أركان
 الإسلام، فدخلوها معتمرين فطافوا وسعوا وآتوا بالعمرة على التمام ونحروا الجزر التي
 أرسلها الأمير سعود إلى بيت مولاه في المروة التي تراق فيها دماء شعائر الله، أوصل الله
 تعالى إليه أجر ذلك وثوابه وأثاله على ذلك القبول وأثابه وبلغه في الدارين مقصوده
 وطلابه، فقابلهم الشريف بالإقبال وأبدى لهم طلائع الإجلال وتلقاهم بطلاقة وجه
 واستهلال، وأترلهم منزل التوقير والسلامة، ووالى عليهم حشمتهم وإكرامهم وأحضرهم
 لديه مع علمائهم ليال وعقدوا للمناظرة مجال، وتجارى الأذهان فيها للجدال وشرعوا
 أسنة المقال وراموا أسنة الحق بالحال، ولم يأتوا والله الحمد على كل بما يثلج لهم وهيج
 البال من النصوص السائلة من الضعف والاعتلال، ولم يجلبوا من البراهين المؤيدة للشرك
 والضلال سوى موضوعات الملحدة والضلال وأكاذيب الزنادقة وغلاة العباد الجهال
 التي عفت منار الحنيفة ومالها من معالم وأطلال حين جرت على مباهاج مناهج حياها
 الأذيان؛ فلما تحققوا ذلك وعلموه وتيقنوا أنهم لم يجدوا في الدفع وفهموه أجمعوا رأيهم
 وأحكموه على الغالطة في اللفظ فأبرموا، فراشوا في المقال النصال وحددوها للرمى
 في النصال ورددوا للحن في اللفظ والمقال، لما تبين منهم الخذلان والإذلال، فلم يعثروا
 في سرد صحيح السنة القامعة لهم والأنتقال على ما فيه لبس لدى مصنف وإشكال سوى
 لفظة جرى اللسان فيها على اللحن في الإعراب والإشكال، فارتفع من بعضهم عند ذلك
 التخطئة بالمبادرة والاعتجال، وتاهيك بهذا من نقض في اللب والاختلال وسخافة
 في العقل وخيال ووسوسة من الشيطان أبرزها له في الخيال، وحسبك كونه في القلج
 بالحجة لم يبال ولم يبد منه فضيحة واعتجال، مع أنهم بذلك الالتزام والقلج لم يدعوا
 ويحددونه وهم به مستيقنون (وكذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبين
 بما كانوا يعملون).

وصفة ماجرى معهم أنهم حضروا بيت الشريف تجاه بيت الله النبوي

وجالت خيول الأذهان لدى غالب، والكل جرى في ذلك المضمار لإدراك المآرب
 فأول ما افتتحوا به التكلم والتخاطب وأجمعوا عليه في الطالب، وصدر منهم البذاءة
 والتنافر ووقع منهم بتلك المجالس وجرى منهم التحاور والمفاوضة والتخاطب فيه
 والمراوضة مسألة قتال الموحدين الناس والكشف عن وجهها حجب الانبساط، فطلب
 من حمد بيان الحجة والدليل والبرهان السالم من الأعالي والنص القاطع للاحتلال
 والتأويل والقامع لسائر الأقاويل على ذلك المنهج والسبيل، فأقنى لهم جزاء الله تعالى
 الثواب الجزيل من النص القاطع القامع لكل أذن واعية وسامع وأصل لهم من
 الأصول فيها ما تؤدي بالمراد ويكشفها، وجلب من الأحاديث الصحيحة الراجحة والأدلة
 الباهرة اللائحة ماشق وكفى، وصيرهم من قطع اللسان والحجة على شفا، وأزاح عن
 عياها القتام ونفى ققص على بيت عنكبوتهم نسيم الحق فهفا، ومنق آثارهم ومنارهم
 بعد ما هب عليهم وسفا وأوقفهم على للنصوص فأقروا وسلموا لتلك النصوص، وصدر
 منهم الإذعان بعد ما حملهم الشيطان على كون تلك لم تكن في الكتب مسطرة ولا
 موصولة فيها ومقررة، وتفوتوا بحضرة الشريف بذلك حتى أوقفهم أحد على ما هنالك
 وتقل من الكتب التي عندهم ماضع وجدهم وجلب عليهم علمهم وجهدهم، فوطفت
 جباههم من العرق لما داخلهم من الخجل، والفرق فلم يكن لهم حينئذ بد ولا حيلة حين
 قرءوا حجته ودليله ولم يستطع منهم إنسان على ججود ذلك البرهان بل صار منهم إقرار
 بذلك وإعلان، ولم يكثرثوا بما صدر قبل من الكتان وما ابتدءوا به من الزور
 والبهتان فأمسوا بذلك يقرون وبمضمونه يصدقون (ولقد أخذ الله ميثاق الذين آوتوا
 الكتاب لتبينه للناس ولا تكتُمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
 ما يشترون) ثم تفاوضوا بعد ذلك في مجالس عديدة في دعوة الأموات فأبدى لهم من
 النصوص العادلة السديدة والآثار الراجحة المفيدة والأقوال الصحيحة العديدة بمن له
 المكرة بالتحقيق من أقوال الأئمة الكبار والأتباع المتقدمين الأخيار ما أدهش العقول
 وأفكار مما لا يسع المنصف له إنكار ولكنهم جحدوا وقوع ذلك في الوجود وأنكروا
 أن يكون ذلك في الأقطار موجود وذلك عندهم واقع مشهود وهم على ذلك كل ساعة
 وقد فالعياذ بالله تعالى من هذا الإنكار باللسان مع أنهم متيقنون في الجنان ويشاهدونه
 الذي عندهم بالبيان فنقول (سبحانك هذا بهتان) ولا بدع فيما جرى وصدر، فقد قال

كبيرهم أول من حضر وتأهب للنظرة واتزر وجرد ذيول الخيلاء واقتخر واختال من الكبر والأشر : اعلم أي أقول ولا أماري ولا أخاصك ولا أناظرك ولا أباري إن أتيتني بالدليل من الكتاب أو سنة النبي التي هي خصم لكل كذاب ، ولا أجاريك ولا أطلب بما قاله علماء المذاهب سوى ما قال به إمامي أبو حنيفة لأنني مقلد له فيما قال فلا أسلم لسوى قوا من قال ولو قلت قال رسول الله أو قال الله ذو الجلال لأنه أعلم مني ومنك بأولئك وأدل بأنهم تلك المسالك والأخذ بغير قول الأئمة هو عين اقتحام جرائم المهالك ؛ فليقف العاقل على هذا المقال ويقض منه العجب حيث صدر من هذا المدعى للعلم مع الله سوء هذا الأدب ، فيأبش ما اقترفه من الإثم واكتسب ، لم يخف الله ولم يراقب ولم يخش سوء العواقب ، وحاول بذلك في الدنيا المراتب حتى يكون من الجاه والرياسة فيها متوسط الكاهل والغارب ، فلما انقضت تلك الأيام والليال وتقصت ساعات النظرة والجدال ، طلبوا من حماد بن ناصر بن معمر تأصيل ما برهن به واحتج به وقرر ، وكتب ما سجله عليهم وسطر ؛ فانتدب لذلك أدام الله نفعه وكثر من الفوائد جمعه خزر من الكتب التي عندهم في ذلك المكان ما أراداه من ذلك الأمر والشأن ، بعد طلبه منهم تلك الكتب وتسميتها بالأعيان ، فجمع لديهم عجالة وعجل لهم في سوحهم رسالة أوجز فيها مقاله وآتى فيها بما فيه كفاية في الحجة والدلالة يذعن بعد سماعها كل منصف عاقل ويشهد بفضل قائلها كل فاضل وقر بصدقها وصحة مضمونها الأمائل ، ولا عبرة بمتافق أو غي أو جاهل بنى للحق المبين على أساسها صرحا وأجاد فيما أحكمه من التحرير إيضاحا وشرحا فأفاد ، فيما نجا من التحير صدعا وصدحا وترك مناظره يعانون في الجواب عنها كدحا ، فلم يدركوا من سعيهم رجحا بل زادوا فيها زخرفوه عن الصواب بعدا ونزحا وهي عليك مجلوة وحججها مقروءة ومتلوثة بمخطة لوضي ، حسنها النقاب ، ساقرة الوجه للنقاد والنقاب خالية من شين الإسهاب والإطناب جالية التجرين والارتاب ولكن عيبها سلامتها من الإعجاب .

وهذا نص الرسالة المزبورة والمجالة المنقحة المسطورة وأثبت بها على تأصيلها ووضعها ولم أغبر بديع منوالها وصنعها :

بسم الله الرحمن الرحيم

السؤال الأولى . ما قولك فيمن دعا نبيا أو وليا واستغاث به في تفريج الكربات كقوله : يا رسول الله أو يا ابن عباس أو يا محبوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين ؟

الجواب

الحمد لله أستعينه وأستغفره ، وأعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، ومن يهدي الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باحسان وافقني آناهم إلى آخر الزمان .

أما بعد : فإن الله تعالى قد أكمل لنا الدين ورسوله قد بلغ البلاغ المبين قال الله تعالى (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) وقال تعالى (ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين) وقال تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين) وقال تعالى (فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشمه يوم القيامة أعمى) وقال ابن عباس : تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا يشقى في الآخرة ، وقال تعالى (ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين) الآية زوى مالك في الموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركت فيكم أمرين إن تضلوا ما تمسكتم بهما كتاب الله وسنة رسوله » وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بهدي إلا هالك » وقال صلى الله عليه وسلم « ما تركت من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثتكم به ولا شيء يقرب إلى النار إلا وقد حدثتكم به » وقال صلى الله عليه وسلم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » فمن أصغى إلى كتاب الله وسنة رسوله وجد فيهما الهدى والشفاء ؛ وقد ذم الله تعالى من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره وقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) .

إذا عرفت هذا فنقول : الذي شرعه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زيارة القبور إنما هو تذكر الآخرة والاحسان إلى الميت بالدعاء له والترحم له والاستغفار له وسؤال العافية كما في صحيح مسلم عن بريدة قال « كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم إذا خرج إلى المقابر يقول : السلام عليكم يا أهل الديار
وفي لفظ : السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا بكم إن شاء الله لآحقون
نسأل الله لنا ولكم العافية » وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال « إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء » وعن عائشة رضي الله عنها
عن النبي صلى الله عليه وسلم « مامن ميت يصلي عليه أمة من المسلمين ببلغون مائة
كلهم يشفعون له إلا شفّعوا فيه » رواه مسلم فإذا كنا على جنازته ندعوه لا ندعوه
ونشفّع له لا نستشفّع به فبعد الدفن أولى وأحرى فبدل أهل الشرك قولاً غير الذي
قيل لهم بدلوا الدعاء له بدعائه والشفاعة له بالاستشفاع به وقصدوا بالزيارة التي شرعها
رسول الله صلى الله عليه وسلم إحساناً إلى الميت سؤال الميت وتخصيص تلك البقعة
بالدعاء الذي هو مخ العبادة بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم . فعن أنس رضي الله
عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء مخ العبادة » رواه الترمذي وعن
التعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الدعاء هو العبادة » ثم قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون
عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين » رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه .
ومن المحال أن يكون دعاء الموتي مشروعا ويصرف عنه القرون الثلاثة المفضلة بنص
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يوفق له الخلف الذين يقولون مالا يفعلون ويفعلون
مبالا يؤمرون ، فهذه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه طريقة الصحابة والتابعين
لهم باحسان ، هل نقل عن أحدهم نقل صحيح أو حسن أنهم كانوا إذا كان لهم حاجة
فصدوا القبور فدعوا عندها وتمسحوا بها فضلا عن أن يسألوا أصحابها جلب الفوائد
وكشف الشدائد ، ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمة والدواعي على نقله .

وقد كان عندهم من قبور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأمصار عدد
كثير متوافرون فما منهم من استنثا عند قبر ولا دعاه ولا استشفى به ولا انتصر
به ولا أحد من الصحابة استنثا بالنبي صلى الله عليه وسلم من بعد موته ولا بغيره
من الأنبياء ولا كانوا يقصدون الدعاء عند قبور الأولياء ولا الصلاة عندها ، فإن كان
عندكم في هذا أثر صحيح أو حسن فأوقفونا عليه بل الذي صح عنهم خلاف ما ذهبتم
إليه . ولما قحط الناس في زمان عمر بن الخطاب استسقى بالعباس وتوسل بدعائه وقال

اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقين ونحن نتوسل إليك بهم بنبينا فاصقنا فيسقون
كما ثبت ذلك في صحيح البخاري ذكره في كتاب الاستسقاء من صحيحه ونحن نعلم
بالضرورة أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يشرع لأمة أن يدعوا أحدا من الأموات
لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم لا بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها بل نعلم أنه نهى عن
كل هذه الأمور وأن ذلك من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله قال الله تعالى
(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو
من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون . وإذا حشر
الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) وقال تعالى (ولا تدع مع الله إلها
آخر فتكون من العذابين) وقال تعالى (له دعوة الحق والذين يدعون من دونه
لا يستجيبون لهم شيء) الآية وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك
فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من
قطمير إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون
بشرككم ولا ينبتك مثل خير) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون
كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم
أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) قال مجاهد (يبتغون إلى ربهم الوسيلة)
هو عيسى وعزير والملائكة وكذا قال إبراهيم النخعي قال : كان ابن عباس يقول :
أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة هو عزير والمسيح والشمس والقمر .
وعن السدي عن أبي صالح عن ابن عباس قال عيسى وأمه والعزير ، وعن عبد الله بن
مسعود قال : نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنون
والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم فنزلت هذه الآية ثبت ذلك عنه
في صحيح البخاري ذكره في كتاب التفسير . وهذه الأقوال كلها في معنى الآية حق وإن
الآية تعم كل من كان معبوده عبدا لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر ؛
فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا وذلك للدعوى يبتغى إلى الله الوسيلة
ويرجوا رحمته ويخاف عذابه فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين فقد
تجاوز هذه الآية ، ومعلوم أن المشركين يدعون الصالحين بمعنى أنهم وسائط بينهم
وبين الله ، ومع هذا فقد نهى الله تعالى عن دعائهم وبين أنهم لا يملكون كشف الضر

عن الداعين ولا تحويله ولا يدفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع كثير صفته أو قدره ولهذا قال ولا تحويله فذكر صيغة تمام أنواع التحويل فكل من دعا ميتا من الأنبياء أو الصالحين أو دعا الملائكة أو دعا الجن فقد دعا من لا يفيته ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله ، وهؤلاء الشركون الذين منهم من إذا نزلت به شدة لا يدعو إلا شيخه ولا يذكر إلا اسمه ، قد لهج به كما لهج الضبي بذكر أمه ، فإذا تمسر أحدهم قال يا ابن عباس أو يا محبوب ، ومنهم من يحلف بالله ويكذب ويحلف بابن عباس أو غيره ويصدق ولا يكذب فيكون الخلق في صدره أعظم من الخالق ، فإذا كان دعاء الموتى يتضمن هذا الاستهزاء بالدين وهذه المحادة لله ولكتابه فأى الفريقين أحق بالاستهزاء والمحادة لله من كان يدعو الموتى ويستغيث بهم أو من كان لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له كما أمرت به رسوله ويوجب طاعة الرسول ومتابعته في كل ما جاء به ونحن بحمد الله من أعظم الناس إيجابا لرعاية جانب الرسول تصديقا له فيما أخبر وطاعة له فيما أمر واعتناء بمعرفته ما بعث به واتباع ذلك دون ما خالفه عملا بقوله تعالى (اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون) وقوله تعالى (وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون) ومعنا والله الحمد أصلان عظيمان : أحدهما أن لا نعبد إلا الله فلا ندعو إلا هو ولا نذبح للنسك إلا لوجهه ولا نرجو إلا هو ولا نتوكل إلا عليه . الأصل الثاني أن لا نعبد إلا بما شرع لا نعبد بعبادة مبتدعة وهذان الأصلان هما تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فإن شهادة أن لا إله إلا الله تتضمن إخلاص الإلهية فلا يتأله القلب ولا اللسان ولا الجوارح غيره تعالى لا يحب ولا بغشية ولا إجلال ولا رغبة ولا رهبة ، وشهادة أن محمدا رسول الله تتضمن تصديقه في جميع ما أخبر به وطاعته واتباعه في كل ما أمر به ، فما أثبتته وجب إثباته وما نهاه وجب نفيه . وقد روى البخارى من حديث أبي هريرة قال « كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى فقالوا ومن أبى يا رسول الله ، قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » إذا عرف هذا فالذى نعتقه وندين به الله أن من دعا نبيا أو وليا أو غيرها وسأل منهم قضاء الحاجات وتفرج الكربات أن هذا من أعظم الشرك الذى كفر الله به المشركين حيث اتخذوا أولياء وشفعاء يستجلبون بهم المنافع ويستدفعون بهم المضار بزعمهم قال الله تعالى (ويعبدون

من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) فمن جعل الأنبياء أو غيرهم كابن عباس والمحبوب أو أبى طالب وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم ويسألهم جلب المنافع بمعنى أن الخلق يسألونهم وهم يسألون الله ؛ كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملوك حوائج الناس لغربهم منهم والناس يسألونهم أدبا منهم أن يباشروا سؤال الملك أو لكونهم أقرب إلى الملك ، فمن جعلهم وسائط على هذا الوجه فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، وقد نص العلماء رحمهم الله على ذلك وحكوا عليه الإجماع قال فى الإقناع وشرحه : من جعل بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويدعوهم ويسألهم كفر إجماعا لأن ذلك كفعل عابدى الأصنام قائلين (مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) انتهى . وقال الإمام أبو الوفا عيسى بن عقيل الحنبلى رحمه الله تعالى : لما صعبت التكليف على الجهال والطغام عدلوا عن أوضاع الشرع إلى تعظيم أوضاع وضعوها لأنفسهم فسهلت عليهم إذ لم يدخلوا بها تحت أمر غيرهم قال وهم عندى كفار بهذه الأوضاع مثل تعظيم القبور وإكرامها وإلزامها بما نهى عنه الشرع من إيقاد النيران وتقبيلها وتخليقها وخطاب الموتى بالحوائج وكتب الرقاع فيها : يا مولاي افعل بى كذا وكذا وأخذ تربتها تبركا وإفاضة الطيب على القبور وشد الرحال إليها وإلقاء الحرق على الشجر اقتداء بمن عبد اللات والعزى انتهى . وقال الإمام البكرى الشافعى رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) وكانت الكفار إذا سئلوا : من خلق السموات والأرض ، قالوا الله وإذا سئلوا عن عبادة الأصنام قالوا مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى لأجل طلب شفاعتهم عند الله وهذا كفر منهم انتهى كلامه .

فتأمل ما ذكره صاحب الإقناع وكذلك ما ذكره ابن عقيل من تعظيم القبور وخطاب الموتى بالحوائج وهو كفر . وقال الحافظ العماد بن كثير رحمه الله فى تفسيره عند قوله تعالى (والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) أى إنما يحملهم على عبادتهم أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صور الملائكة المقربين فى زعمهم فعبدوا تلك الصور تنزيلا لتلك منزلة عبادتهم الملائكة ليشفعوا لهم عند الله فى نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا . فأما المعتاد فكانوا جاحدين له كافرين به كالقنادة والسدى ومالك . عن زيد بن أسلم وابن زيد (إلا ليقربونا إلى الله زلفى)

أى ليشفعوا لنا ويقربونا عنده ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم : لييك
لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك .

وهذه الشبهة هي التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر وحديثه وجاءتهم الرسل
صلوات الله عليهم بردها والنهي عنها والدعوة إلى إفراد العبادة لله وحده لا شريك له
وأن هذا شيء اخترعه المشركون من عند أنفسهم ، لم يأذن الله فيه ولا رضى به بل
أبغضه ونهى عنه ، قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت) وقال (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا
فاعبدون) فأخبر أن الملائكة التي في السموات من المقربين وغيرهم كلهم عبيد خاضعون لله
لا يشفعون عنده إلا بإذنه لمن ارتضى وليسوا عنده كالأمراء عند ملوكهم يشفعون عندهم
بغير إذنهم فيما أحبه الملوك أو أبغضوه (فلا تضربوا الله الأمثال) تعالى الله عن ذلك انتهي كلامه .

وقال الإمام البكري رحمه الله عند قوله تعالى (قل من يرزقكم من السماء
والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت
من الحي) الآية . فإن قلت إذا أقروا فكيف عبدوا الأصنام : قلت كلهم كانوا يعتقدون
بعبادتهم الأصنام عبادة الله تعالى والتقرب إليه لكن بطرق مختلفة . ففرقة قالت
ليست لنا أهلية عبادة الله تعالى بلا واسطة لعظمته فعبدناها لتقربنا إليه زلفى . وفرقة
قالت الملائكة ذوو وجاهة ومنزلة عند الله تعالى ، فأتخذنا لنا أصناما على هيئة الملائكة
لتقربنا إلى الله زلفى . وفرقة قالت جعلنا الأصنام لنا قبلة في العبادة كما أن الكعبة
قبلة في عبادته . وفرقة اعتقدت أن لكل صنم شيطانا موكلا بأمر الله ، فمن عبد الصنم
حق عبادته قضى الشيطان حوائجه بأمر الله ولا أصابه شيطان بنكبة بأمر الله انتهي كلامه .

فانظر إلى كلام هؤلاء الأئمة وتصريحهم بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا
إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وتأمل ما ذكره ابن كثير وما حكاه عن
زيد بن أسلم وابن زيد . ثم قال وهذه الشبهة التي اعتمدها المشركون في قديم الدهر
وحديثه وجاءتهم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بردها والنهي عنها ، وتأمل ما ذكره
البكري رحمه الله عند آية الزمر أن الكفار ما أرادوا إلا الشفاعة ثم صرح بأن
هذا كفر ، فمن تأمل ما ذكره الله في كتابه تبين له أن الكفار ما أرادوا ممن عبدوا
إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله فإنهم لم يعتقدوا فيها أنها تخلق الخلائق
(١٤ - تاريخ نجد - ثان)

وتنزل المطر وتنبت النبات بل كانوا مقرين أن الفاعل لذلك هو الله وحده قال تعالى
(قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي
من الميت) إلى قوله (فسيقولون الله فقل أفلا تتقون) وقال تعالى (ولئن سألتهم من
خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) وقال
تعالى (قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون سيقولون الله قل أفلا تذكرون
قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله) الآيات إلى غير ذلك
من الآيات التي أخبر الله فيها أن المشركين معترفون أن الله هو الخالق الرازق وإعما
كانوا يعبدونهم ليقرّبهم ويشفعوا لهم كما ذكره سبحانه في قوله (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا
عند الله) فبعت الله الرسل وأزل الكتب ليحبد وحده لا يجعل معه إله آخر ، فأخبر أن
الشفاعة كلها له وأنه لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه وأنه لا يؤذن إلا لمن رضى قوله وعمله
وأنه لا يرضى إلا التوحيد ، فالشفاعة مقيدة بهذه القيود قال الله تعالى (أم اتخذوا
من دون الله شفعاء قل أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون قل لله الشفاعة جميعا)
وقال تعالى (ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع) وقال تعالى (من ذا الذي يشفع
عنده إلا بإذنه) وقال تعالى (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئا
إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى)
وقال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) وفي الصحيحين من غير وجه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيد ولد آدم وأكرم الخلق على الله أنه قال
« آتى تحت العرش فأخبر الله ساجدا ويفتح على بمحامد لأحصيا الآن فيدعنى ما شاء الله
أن يدعنى ثم قال يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع قال فيحدثني
حدا فأدخلهم الجنة ثم أدعو فذكر أربع مرات « صلوات الله وسلامه عليه وعلى
سائر الأنبياء .

وقال الإمام البكري الشافعي رحمه الله عند قوله تعالى (وأنذره الدين يخافون
أن يعشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع) نفي الشفاعة وإن كانت واقعة
في الآخرة لأنها من حيث إنها لا تقع إلا بإذنه كأنها غير موجودة من غيره وهو
كذلك لكن جعل ذلك لتبيين الرتب وجملة النفي حال من ضمير يعشروا وهي محل
الخوف والمراد به المؤمنون العاصون انتهي .

وقال عند قوله تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) دل على أن الشفاعة تكون للمؤمنين فقط . قال الإمام الحافظ عماد الدين ابن كثير عند قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض قل الله) يقرر تعالى أنه لا إله إلا هو لأنهم معترفون أنه هو الذي خلق السموات والأرض وهو ربها ومدبرها وهم مع هذا قد اتخذوا من دون الله أولياء يعبدونهم ، وإنما كان عبد هؤلاء المشركون مع الله آلهة هم يعترفون أنها مخلوقة عبيد له كما كانوا يقولون في تلبيتهم ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك ، وكما أخبر عنهم بقوله (ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) فأنكر تعالى ذلك عليهم حيث اعتقدوا ذلك وهو تعالى لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ولا تنفع الشفاعة عنده إلا من أذن له ثم قد أرسل رسوله من أولهم إلى آخرهم يزجرهم عن ذلك وينهاهم عن عبادة من سوى الله فكذبوهم انتهى .

والمقصود بيان شرك المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنهم ما أرادوا ممن عبدوا إلا التقرب إلى الله وطلب شفاعتهم عند الله وبيان أن طلب الخواص من الموت والاستغاثة بهم في الشدائد أنه من الشرك الذي كفر الله به المشركين وبيان أن الشفاعة كلها لله ليس لأحد معه من الأمر شيء وأنه لا شفاعة إلا بعد إذن الله تعالى وأنه تعالى لا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله وأنه لا يرضى إلا بالتوحيد كما تقدمت الأدلة الدالة على ذلك ، ومعلوم أن أعلى الخلق وأفضلهم وأكرمهم عند الله هم الرسل والملائكة المقربون وهم عبيد محض لا يسبقونه بالقول ولا يتقدمون بين يديه ولا يفعلون شيئا إلا بعد إذنه لهم وأمرهم فيأذن سبحانه لمن شاء أن يشفعوا فيه فصارت الشفاعة في الحقيقة إنما هي له تعالى والذي شفع عنده إنما شفع بإذنه له وأمره بعد شفاعته سبحانه إلى نفسه وهي إرادته أن يرحم عبده وهذا ضد الشفاعة الشركية التي أثبتتها المشركون ومن وافقهم وهي التي أبطلها سبحانه في كتابه بقوله تعالى (واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة) ولهذا كان أسعد الناس بشفاعة سيد الشفعاء يوم القيامة أهل التوحيد كما صرحت بذلك النصوص .

فروى البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أسعد الناس

بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه » وعن عوف بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أنى آت من عند ربي خيبرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئا » رواه الترمذي وابن ماجه ، فأسعد الناس بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل التوحيد الذين جردوا التوحيد وأخلصوه من التعلقات الشركية وهم الذين ارتضى الله سبحانه قال الله تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) وقال تعالى (يومئذ لاتنفع الشفاعة إلا لمن أذن له الرحمن ورضى له قولا) فأخبر سبحانه أنه لا يحصل شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وإذنه للشافع . وأما الشرك فانه لا يرتضيه ولا يرضى قوله ولا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه فانه سبحانه علقها بأمرين : رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع فمضى لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة ، وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه فانه هو الذي أذن والذي قبل والذي رضى عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما يستحق من الشفاعة فمتخذ الشفيع مشرك لاتنفعه شفاعته ولا يشفع فيه ، ومتخذ الرب إلهه وحده ومعبوده هو الذي يأذن للشافع أن يشفع فيه قال تعالى (أم اتخذوا من دون الله شفعاء) إلى قوله (قل لله الشفاعة جميعا) وقال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون) فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم وإنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحبوب وسائط بينهم وبين الله يشفعون له عند الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال المال والدم وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم بل هو من الأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا . ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحا بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه الله تعالى عنهم في سورة يونس وسورة المؤمنين وسورة العنكبوت وغيرها من السور ووجده مصرحا بأن

للمشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى عنهم في سورة سبحان والمائدة وغيرهما من السور، وكذلك أخبر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك في سورة الفرقان وسبأ والنجم ووجدته مصرحا أيضا بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله تعالى كما ذكر ذلك عنهم في سورة يونس والزمر وغيرهما من السور. فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث، أعنى اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية وأنهم يدعون الصالحين وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة، تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جاب الفوائد وكشف الشدائد أنه الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين، فإن هؤلاء المشركين شبهوا الخالق بالخلق، وفي القرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسع له هذا الموضع فإن الوسائط التي بين الملوك وبين الناس تكون على أحد وجوه ثلاثة:

إما لإخبارهم من أحوال الناس بما لا يعرفونه ومن قال إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعض الأنبياء أو غيرهم من الأولياء والصالحين فهو كافر بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الثاني: أن يكون الملك عاجزا عن تدبير رعيته ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونونه فلا بد له من أعوان وأنصار لئله وعجزه، والله سبحانه ليس له ولي ولا ظهير من الدن والكل ما في الوجود من الأسباب فهو سبحانه ربه وخالقه، فهو الغني عن كل ماسواه وكل ماسواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم وهم في الحقيقة شركاؤهم، والله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ولهذا لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه لا ملك مقرب، ولا نبي مرسل فضلا عن غيرها فإن من شفع عنده بغير إذنه فهو شريك له في حصول المطلوب أثر فيه بشفاعته حتى يفعل ما يطلب منه والله لا شريك له بوجه من الوجوه.

الثالث: أن يكون الملك ليس مريدا لنفع رعيته والإحسان إليهم إلا بمحرك يحركه من خارج فإذا خاطب الملك من ينصحه ويعظه أو من يدل عليه بحيث يكون يرجو ويخافه تحركت إرادة الملك وهمته في قضاء حوائج رعيته والله تعالى رب كل شيء ومليكه وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وهو سبحانه إذا أجرى نفع العباد بعضهم على يد بعض

فجعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعطيه ما لم يكن يعلمه والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون عنده إلا بإذنه كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك فإن الشافع عندهم يكون شريكا لهم في الملك وقد يكون مظاهرا لهم معاونا لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم حتى إنه يقبل شفاعته ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك ويقبل شفاعته مملوكه فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف أن لا يطيعه ويقبل شفاعته أخيه مخافة أن يسعى في ضرره وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس فلا أحد يقبل شفاعته أحد إلا لرغبة أو لرغبة، والله تعالى لا يرجو أحدا ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد بل هو الغني سبحانه عما سواه وكل ماسواه فقير إليه، والمشركون يتخذون شفعاء عما يعبدونه مثل الشفاعة عند الخلق قال تعالى (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) إلى قوله (سبحانه وتعالى عما يشركون) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه) فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دونه لا يملك كشف الضر ولا تحويله وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه ويتقربون إليه، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء. وفيما ذكرناه كفاية لمن هداه الله. وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه و (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن نجد له وليا مرشدا).

وأما المسألة الثانية وهي: من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصل ولم يذكر هل يكون مؤمنا؟ فنقول: أما من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وهو مقيم على شركه يدعو الموتى ويسألهم قضاء الحاجات وتفرج الكربات فهذا مشرك كافر حلال الدم والمال وإن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم كما تقدم بيانه. وأما إن وحده الله تعالى ولم يشرك به شيئا ولكنه ترك الصلاة والزكاة تكسلا عنها فهذا يختلف العلماء في كفره والعلماء إذا أجمعوا فإجماعهم حجة لا يجتمعون على ضلالة

وإذا تنازعوا في شيء ردوا ما تنازعوا فيه إلى الله وإلى الرسول إذا الواحد منهم ليس بمعصوم على الإطلاق بل كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول) قال العلماء الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته. وقال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقد ذم الله من أعرض عن كتابه ودعا عند التنازع إلى غيره فقال تعالى (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا).

إذا عرف هذا فنقول: اختلف العلماء رحمهم الله في تارك الصلاة كسلا من غير جحود، فذهب الإمام أبو حنيفة والشافعي في أحد قوايه ومالك إلى أنه لا يحكم بكفره واحتجوا بما رواه عبادة بن الصامت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «خمس كتبهن الله على العباد من أتى بهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له».

وذهب إمامنا أحمد بن حنبل والشافعي في أحد قوايه وإسحق بن راهويه وعبد الله بن المبارك والنخعي والحكم وأيوب السختياني وأبو داود الطيالسي وغيرهم من كبار الأئمة والتابعين إلى أنه كفر وحكام إسحق بن راهويه إجماعا وذكره عن الشيخ أحمد بن حنبل في شرح الأربعين وذكره في كتاب الزواجر عن اقتراف الكبائر عن جمهور الصحابة رضي الله عنهم والتابعين. وقال الإمام محمد بن حزم: سار الصحابة رضي الله عنهم والتابعين ومن بعدهم يكفرون تارك الصلاة مطلقا ويحكمون عليه بالارتداد منهم أبو بكر وعمر وابنه عبد الله وعبد الله بن عباس ومعاذ بن جبل وجابر بن عبد الله وأبو الدرداء وأبو هريرة وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم من الصحابة ولا نعلم لهؤلاء مخالفا من الصحابة. وأجابوا عن قوله صلى الله عليه وسلم «ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» أن المراد عدم المحافظة عليهم في وقتهم بدليل الآيات والأحاديث الواردة فيها وفي تركها واحتجوا على كفر تاركها بما رواه مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» وعن بريدة بن الحصيب قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «العهد بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها

قد كفر» رواه الإمام أحمد وأهل السنن وقال الترمذي حديث حسن صحيح إسناده على شرط مسلم وعن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بين العبد والكفر والإيمان الصلاة فإذا تركها فقد أشرك» وإسناده صحيح على شرط مسلم، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ذكر الصلاة يوما فقال «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نورا وبرهانا ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» رواه الإمام أحمد وأبو حاتم بن حبان في صحيحه. وعن عبادة بن الصامت قال: أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «لا تشركوا بالله شيئا ولا تتركوا الصلاة عمدا فمن تركها عمدا خرج من الملة» رواه ابن أبي حاتم في سنته. وعن معاذ بن جبل قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من ترك صلاة مكتوبة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله» رواه الإمام أحمد، وعن أبي الدرداء قال «أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا أترك صلاة متعمدا فمن تركها متعمدا فقد برئت منه الذمة» رواه ابن أبي حاتم. وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة» الحديث، وعن عبد الله بن شقيق العقيلي قال «كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لا يرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة» رواه الترمذي، فهذه الأحاديث كما ترى صريحة في كفر تارك الصلاة مع ما تقدم من إجماع الصحابة كما حكاه إسحق بن راهويه وابن حزم وعبد الله بن شقيق وهو مذهب الجمهور من التابعين ومن بعدهم. ثم إن العلماء كلهم مجمعون على قتل تارك الصلاة كسلا إلا أبا حنيفة ومحمد بن شهاب الزهري وداود فإنهم قالوا يحبس تارك الصلاة المفروضة حتى يموت أو يتوب، ومن احتج لهذا القول بقوله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله» فقد أبعد النجعة فإن هذا الحديث لا حجة فيه بل سر حجة لمن يقول بقتله كما سيأتي بيانه إن شاء الله، واحتج الجمهور على قتله بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله تعالى «فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة سفلوا سبيلهم» فشرط السكف التوبة من الشرك وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، فإذا لم توجد الثلاث لم يكف عن قتالهم قال ابن ماجه حدثنا نصر بن علي

ثنا أبو أحمد ثنا الربيع بن أنس عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده وعبادته وحده لا شريك له وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة مات والله عنه راض » قال أنس وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء وتصديق ذلك في كتاب الله في آخر ما نزل (فإن تابوا) قال خلع الأوثان وعبادتها (وأقاموا الصلاة وأتوا الزكاة غفلوا سبيلهم) وقال في آية أخرى (فإن تابوا وأقاموا وآتوا الزكاة فامخوانكم في الدين) .

وأما السنة . فثبت في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فعلق العصمة على الشهادتين والصلاة والزكاة .

وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا فيه « من محمد رسول الله إلى أهل عمان أما بعد : فافقروا بشهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله وأدوا الزكاة وخطوا المساجد وإلا غزوتكم » أخرجه الطبراني والبرار وغيرهما ذكره الحافظ ابن رجب الحنبلي في شرح الأربعين .

وروى ابن شهاب عن حنظلة عن علي بن الأشجع أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه بعث خالد بن الوليد وأمره أن يقاتل الناس على خمس فمن ترك واحدة منهم قاتله عليها كما تقاتل على الخمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام . وقال سعيد بن جبيرة قال عمر بن الخطاب : لو أن الناس تركوا الحج لقتلناهم على تركه كما تقاتل على الصلاة والزكاة . وبالجملة فالكتاب والسنة دالان على أن القتال ممدود إلى الشهادتين والصلاة والزكاة ، وقد أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتنعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله كالحاربيين وأولى انتهى .

وأما حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » فهذا لإشكال فيه بحمد الله وليس لكم فيه حجة بل هو حجة عليكم ، قال علماءنا رحمهم

الله إذا قال الكافر لا إله إلا الله فقد شرع في العاصم له فيجب الكف عنه فان تم ذلك تحققت العصمة وإلا بطلت ويكون النبي صلى الله عليه وسلم قد قال حديثا في وقت فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » ليعلم المسلمون أن الكافر المحارب إذا قالها كف عنه وصار ماله ودمه معصوما ، ثم بين النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر أن القتال ممدود إلى الشهادتين والعبادتين فقال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة » فيبين أن تمام العصمة وكملها إجماعا يحصل بذلك ، ولأن لاتقع الشبهة بأن مجرد الإقرار يعصم على الدوام ، كما وقعت لبعض الصحابة حتى جلاها أبو بكر الصديق ، ثم وافقوه رضي الله عنهم انتهى .

ومما يبين فساد قولكم وخطأ فهمكم في معنى حديث أبي هريرة أن الصحابة رضي الله عنهم أجمعوا على قتال مانعي الزكاة بعد مناظرة حصلت بين أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهما واستدل عمر على أبي بكر بحديث أبي هريرة فيبين صديق الأمة رضي الله عنه أن الحديث حجة على قتال من منع الزكاة فوافقه عمر وسائر الصحابة وقتلوا مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويصلون . ونحن نسوق الحديث ، ثم نذكر كلام العلماء عليه ليتبين لكم أن فهمكم الفاسد لم يقل به أحد من العلماء وأنه فهم مشنوم مذموم يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

فتقول : ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال « لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم واستخلف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر لأبي بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » قال أبو بكر لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق للمال فوالله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق » وهذا الحديث أخرجه البخاري في كتاب الزكاة ، ومسلم في كتاب الإيمان وهو من أعظم الأدلة على فساد قولكم فإن الصديق رضي الله عنه جعل المييح للقتال مجرد المنع لا جحد الوجوب « تكلم النووي رحمه الله تعالى في شرح صحيح مسلم فقال باب الأمر بقتال الناس

حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وأن من قال ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها ووكلت سريره إلى الله تعالى وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام واهتمام الإمام بشرائع الإسلام ، ثم ساق الحديث ثم قال : قال الخطابي في شرح هذا الكلام كلاما حسنا لابد من ذكره لما فيه من الفوائد . قال رحمه الله مما يجب تقديمه في هذا أن يعلم أن أهل الردة كانوا إذ ذاك صنفين : صنف ارتدوا عن الدين ونابدوا الله وعادوا لكفرهم وهم الذين عني أبو هريرة بقوله من كفر من العرب ، والصنف الآخر فرقوا بين الصلاة والزكاة فأقروا بالصلاة وأنكروا فرض الزكاة وجوب أدائها إلى الإمام وقد كان في ضمن هؤلاء المانعين للزكاة من كان يسمح بالزكاة ولا يمنعها إلا أن رؤسائهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم في ذلك كبنى يربوع فأنهم جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وفي أمر هؤلاء عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر رضي الله عنه فراجع أبا بكر رضي الله عنه وناظره واحتج عليه بقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم نفسه وماله » وأن هذا كان من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره وتأمل شرائطه فقال له أبو بكر الزكاة حق المال يريد أن القضية قد تضمنت عصمة دم ومال معلقة بإفاء شرائطها والحكم المعلق بشرطين لا يحصل بأحدهما والآخر معدوم ، ثم قايسه بالصلاة وردوا الزكاة إليها وكان في ذلك من قوله دليل على أن قتال المعتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم ولذلك ردوا المختلف فيه إلى المتفق عليه فلما استقر عندهم صحة رأي أبي بكر رضي الله عنه وبأن لعمر صوابه تابعه على قتال القوم وهو معنى قوله « فلما رأيت الله شرح صدر أبي بكر للقتال عرفت أنه الحق » يريد انشراح صدره بالحجة التي أدلى بها والبرهان الذي أقامه نصا ودلالة انتهى .

فتأمل هذا الباب الذي ذكره النووي رحمه الله تعالى وهو إمام الشافعية على الإطلاق تجده صريحا في رد شبهتهم : أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله لا يباح دمه وماله وإن ترك الصلاة والزكاة فالترجمة نفسها صريحة في رد قولكم بأنه صرح بالأمر بالقتال على ترك الصلاة ومنع الزكاة ، وتأمل ما ذكره الخطابي أن الذين منعوا

الزكاة منهم من كان يسمح بها ولا يمنعها إلا أن رؤسائهم صدوهم عن ذلك الرأي وقبضوا على أيديهم كبنى يربوع فأنهم أرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فمنعهم مالك بن نويرة من ذلك وفرقها فيهم ، وأنه عرض الخلاف ووقعت الشبهة لعمر في هؤلاء ، ثم إن عمر وافق أبا بكر على قتالهم وتأمل قوله واحتج عمر بقول النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » وكان هذا من عمر تعلقا بظاهر الكلام قبل أن ينظر في آخره وتأمل شرائطه وتأمل قوله إن قتال المعتنع من الصلاة كان إجماعا من الصحابة ، وقد أشار الخطابي إلى أن حديث أبي هريرة مختصر ، قال النووي رحمه الله قال الخطابي ويبين لك أن حديث أبي هريرة مختصر ، أن عبد الله ابن عمر وأنس رضي الله تعالى عنهما رواية بزيادة لم يذكرها أبو هريرة ، ففي حديث ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

وفي رواية أنس « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها لهم ماله المسلمين وعليهم ماله المسلمين » انتهى . قلت : وقد ثبت في الطريق الثالث المذكور في الكتاب من طريق أبي هريرة وروايته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فإذا قالوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » .

وفي استدلال أبي بكر واعتراض عمر رضي الله عنهما دليل على أنهما لم يحفظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رواه ابن عمر وأنس وأبو هريرة وكان هؤلاء الثلاثة سمعوا الزيادة في رواياتهم في مجلس آخر فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم ، ولو سمع أبو بكر هذه الزيادة لاحتج بها ولما كان احتج بالقياس والعموم والله أعلم انتهى كلام النووي .

فتأمل ما ذكره عن الخطابي تجده صريحا في رد قولكم ، وتأمل قوله فإن عمر لو سمع ذلك لما خالف ولما كان احتج بالحديث فإن هذه الزيادة حجة عليهم .

وبالجملة حديث أبي هريرة عليكم لا لكم ولو لم يكن فيه إلا قوله إلا بحقها لكان كافيا في بطلان شبهتهم فإن الصلاة والزكاة من أعظم حقوق لا إله إلا الله بل هما أعظمها على الإطلاق . وبما يدل على بطلان قولكم وفساد فهمكم في معنى هذا الحديث أعنى حديث أبي هريرة « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » أن جميع الشراح والمحشين لم يؤولوه على هذا التأويل الذي ذهبتم إليه فإنه حديث صحيح يخرج في الصحاح وهؤلاء شراح البخاري وكذا شراح مسلم هل أحد منهم استدل به على ترك قتال من ترك الفرائض بل الذي ذكروه خلاف مذهبهم إليه ولو لم يكن إلا احتجاج عمره على أبي بكر ثم موافقته لأبي بكر على قتال مانعي الزكاة لكان كافيا . ونحن نذكر لكم كلام الشراح عذرا ونذرا قال النووي رحمه الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » من قال لا إله إلا الله فقد عصم من ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله تعالى » قال الخطابي معلوم أن المراد بهذا أهل الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون : لا إله إلا الله ثم يقتلون ولا يرفع عنهم السيف . قال ومعنى وجباة على الله تعالى أي فيما يسرونه ويخفونه قال ففيه أن من أظهر الإسلام وأسر الكفر أنه يقبل إسلامه في الظاهر وهذا قول أكثر العلماء وذهب مالك إلى أن توبة الزنديق لا تقبل ويحكي ذلك عن أحمد بن حنبل هذا كلام الخطابي . وذكر القاضي عياض رحمه الله تعالى معنى هذا وزاد عليه وأوضحه فقال اختصاص عصمة المال والنفس ممن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان وأن المراد مشركو العرب وأهل الأوثان ممن لا يوحدهم ، كانوا أول من دعى إلى الإسلام وقتلوا عليه ، فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده فلذلك في الحديث الآخر « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » هذا كلام القاضي ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما جاء في الرواية الأخرى لأبي هريرة « حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به » انتهى كلام النووي . فتأمل ما ذكره الخطابي وما ذكره القاضي عياض أن المراد بقول لا إله إلا الله التعبير عن الإجابة إلى الإيمان واستدل لذلك بالحديث الآخر الذي فيه « وأني رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة » وتأمل قوله إن المراد بحديث أبي هريرة مشركو العرب وغيرهم ممن لا يوحدون . وأما الذي يقر

بالتوحيد فلا يكتفى في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره وهي من اعتقاده وتأمل قول النووي ولا بد من الإيمان بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبالجملة فقوله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » لم نعلم أحدا من أهل العلم أجراه على ظاهره وقال إن من قال لا إله إلا الله يكف عنه ولا يجوز قتاله وإن ترك الصلاة ومنع الزكاة هذا لم يقل به أحد من العلماء ولازم قولكم أن اليهود لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الخوارج الذين قاتلهم على بن أبي طالب لا يجوز قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله وأن الصحابة مخطئون في قتالهم مانعي الزكاة لأنهم يقولون لا إله إلا الله ، ولازم قولكم إن بني حنيفة مسلمون لأنهم يقولون لا إله إلا الله . سبحان الله وما أعظم هذا الجهل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) ومن العجب أنكم تقرأون في صحيح البخاري هذا الباب في كتاب الإيمان حيث قال باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) .

حدثنا عبد الله بن محمد المسندي ، قال حدثنا شعبة عن وافر بن محمد سمعت أبي يحدث عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا أو يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله تعالى » ثم بعد ذلك هذه الآية والحديث اللذين ذكرهما البخاري وبأى شيء تدفعون به هذه الأدلة . وقال الإمام أبو عيسى الترمذي في سننه في باب « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » حدثنا هنا أنبأنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله » الحديث ثم أردفه بحديث أبي هريرة في قتال أبي بكر لما منى الزكاة وساق الحديث بتمامه ، ثم قال باب ما جاء « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة » حدثنا سعد بن يعقوب الطالقاني أن ابن المبارك أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ويستقبلوا قبلتنا ويأكلوا من بيوتنا وأن يصلوا صلاتنا ، فإذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها » ثم قال « اللهم مالك المسلمين وعليهم ما على المسلمين » وفي الباب عن معاذ بن جبل وأبي هريرة هذا

حديث حسن صحيح والقصود بيان ذم هذه الشبهة التي زعموا من يدعي أنه من العلماء على الجهالة من الناس ، أن من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فهو مسلم لا يجوز قتله ولو ترك فرائض الإسلام وهذا كلام الله وهذا كلام رسوله وهذا كلام العلماء صريحاً في رد هذه الشبهة ، بل قد دل الكتاب والسنة والإجماع على أن الطائفة الممتنعة تقاتل على ترك الصلاة ومنع الزكاة وإن أقروا بالوجوب كما تقدمت النصوص الدالة على ذلك. بل قد صرح العلماء أن أهل البلد إذا تركوا الأذان والإقامة يقاتلون وصرحوا أيضاً بأنهم لو تركوا إقامة صلاة الجماعة يقاتلون وكذا لو تركوا صلاة العيد ، وعلماء حرم الله الشريف يقولون من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ونفسه وإن لم يصل ولم يرك ، فسبحان مقلب القلوب والأبصار وهل هذا إلا معارضة لكلام الله ورسوله وكلام أئمة المذاهب وهذا كلامهم موجود في كتبهم يصرحون بأن من ترك الصلاة قتل ، وأن الطائفة الممتنعة من الصلاة والزكاة والحج تقاتل حتى يكون الدين كله لله ويحكمون عليه الإجماع كما صرح بذلك أئمة الحنابلة في كتبهم ، فإذا كانوا يصرحون أن من ترك بعض شعائر الإسلام كأهل القرية إذا تركوا الأذان أو تركوا صلاة الجماعة أو تركوا صلاة العيد فأنهم يقاتلون ، فكيف بمن ترك الصلاة رأساً وهؤلاء يقولون من قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد عصم نفسه ودمه وإن كانوا طائفة ممتنعة من فعل الصلاة والزكاة بل يصرحون بأن البوادي إسلام حرام علينا دماؤهم وأموالهم مع العلم القطعي بأنهم لا يؤذنون ولا يصلون ولا يركون بل الظاهر عندهم أنهم كافرون بالشرائع وينكرون البعث بعد الموت ، سبحان الله ما أعظم هذا الجهل ، وقد ذكرنا من كلام الله وكلام رسوله وكلام شراح المحدثين ما فيه الهدى لمن هداه الله ، وبيننا أن العصمة شرطها التوحيد وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، فمن لم يأت بهذه الثلاث لم يكف عنه ولم يخل سبيله وقد قال الله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) وقال تعالى (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله». وأما كلام الفقهاء في كتبهم فنذكره على التفصيل . أما كلام المالكية فقال

الشيخ على الأجهوري في شرح المختصر : من ترك فرضاً آخر لبقاء ركعة بسجودتها من الضروري قتل بالسيف حداً على المشهور . وقال ابن حبيب وجماعة خارج المذهب كافراً واختاره ابن عبد السلام انتهى .

وقال في فضل الأذان قال المازري في الأذان معنيان : أحدهما إظهار الشعائر والتعريف بأن الدار دار إسلام ، وهو فرض كفاية يقاتل أهل القرية حتى يفعلوه إن عجزوا عن قهرهم على إقامته إلا بالقتال .

والثاني الدعاء للصلاة والإعلام بوقتها . وقال الأبي في شرح مسلم : والمشهور أن الأذان فرض كفاية على أهل المصر لأنه شعار الإسلام ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لم يسمع الأذان أغار وإلا أمسك ، وقول المصنف يقاتلون عليه ليس القتال من خصائص القول بالوجوب لأنه نص عن عياض في قول المصنف والوتر غير واجب إلا أنهم اختلفوا في التأثر على ترك السنن هل يقاتلون عليها ؟ والصحيح قتالهم وإكراههم لأن في التأثر على تركها إمانتها انتهى .

وقال في فضل صلاة الجمعة : قال ابن رشد : صلاة الجمعة مستحبة للرجل في نفسه فرض كفاية في الجملة ، ويعني بقوله في الجملة أنها فرض كفاية على أهل المصر ولو تركوها قوتلوا كما تقدم انتهى . وبعبارة غيره وإن تركها أهل بلد قوتلوا وأهل دار أجبروا عليها انتهى كلام الشيخ رحمه الله على الأجهوري . فانظر تصريحهم أن تارك الصلاة يقتل باتفاق أصحاب مالك وإنما اختلفوا في كفره وأن ابن حبيب وابن عبد السلام اختارا أنه يقتل كافراً ، وتأمل كلامهم في الطائفة الممتنعة عن الأذان وعن إقامة الجماعة في المساجد وأنهم يقاتلون ، فأين هذا من قولكم إن من ترك الفرائض مع الإقرار بوجوبها لا يحل قتالهم لأنهم يقولون لا إله إلا الله . وأما كلام الشافعية فقال الإمام العلامة أحمد بن محمد بن أحمد الأذري رحمه الله في كتاب [قوت المحتاج في شرح المنهاج] من ترك الصلاة جاحداً وجوبها كفر إجماعاً وذلك جارياً في كل جحود مجمع عليه معلوم من الدين ضرورة فإن تركها كسلا قتل حداً على الصحيح والمشهور . أما قتله فلا أن الله تعالى أمر بقتل المشركين ، ثم قال (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) فدل على أن القتل لا يرفع إلا بالإيمان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ولما في الصحيحين «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا

الصلاة ويؤتوا الزكاة فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها » ثم قال إشارات منها قتله ردة ووجد لشريعة منهم منصور التميمي وابن خزيمة وقضية كلام الرونفق أنه كلام منصوح حيث قال : فإذا قتل في ماله ودفنه بين المسلمين قولان : أحدهما مارواه الربيع عن الشافعي أن ماله يكون فيثا ولا يدفن بين المسلمين . والثاني مارواه المازني عن الشافعي أن ماله لورثته ويدفن في مقابر المسلمين وقال في المستعمل : سألت الربيع ما يصنع بماله إذا قتله ؟ قال يكون فيثا . ومنها قال في الروضة تارك الوضوء يقتل على الصحيح جزم به الشيخ أبو حامد ، وفي البيان لو صلى عريانا مع القدرة على السترة أو الفريضة قاعدا بلا عذر قتل ، وكذلك لو ترك التشهد أو الاعتدال ، حكاه ابن الأستاذ عن البحر ، فان صح اطرده في سائر الأركان والشروط ، ويجب أن يكون محله فيما أجمع عليه . ومنها لو امتنع من الصوم والزكاة حبس ومنع من الفطر وقال إمام الحرمين . يجوز أن يكون الممتنع مما يضيق عليه كالممتنع من الصلاة يجبر عليه ، فان أبي ضربت عنقه قال المصنف والصحيح قتله بصلاة واحدة بشرط إخراجها عن وقت الضرورة انتهى كلام الأذرعى . فانظر كلامه في قتل من ترك الصلاة كسلا وأن الربيع روى عن الشافعي أن ماله يكون فيثا ولا يدفن في مقابر المسلمين . وتأمل كلام أبي حامد وكلام صاحب الروضة في قتل تارك الوضوء وكلام صاحب البيان فيمن صلى عريانا مع القدرة على السترة أو صلى الفريضة قاعدا بلا عذر إنه يقتل فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله كف عنه ولا يجوز قتاله بوجه من الوجوه ، وقال الشيخ أحمد بن حنبل الهيثمي في التحفة في باب حكم تارك الصلاة إن ترك الصلاة جاحدا وجوبها كفر بالاجماع أو تركها كسلا مع اعتقاد وجوبها قتل لآية (فان تابوا) وخبر « أمرت أن أقاتل الناس » لأنهما شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإيتاء الزكاة لأن الزكاة يمكن الإمام أخذها ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقتلوا فكانت فيها على حقيقة مخالفتها في الصلاة فانه لا يمكن فعلها بالمقاتلة وقال في باب صلاة الجماعة : وقيل هي فرض للرجل فيجب بحيث يظهر بها الشعار فان امتنعوا كلهم أو بعضهم كأهل محل من قرية كبيرة ولم يظهر الشعار إلا بهم قوتلوا يقتلهم الإمام أو نائبه لإظهار هذه الشعيرة الكبيرة وقال في باب الأذان والإقامة سنة وقيل فرض كفاية فيقاتل أهل بلد تركوها أو أحدها بحيث لم يظهر الشعار ، وقال في باب صلاة

(١٥ - تاريخ نجد - ثان)

العبد من سنة ، وقيل فرض كفاية فعليه يقاتل أهل بلد تركوها انتهى كلامه في التحفة . فانظر إلى كلامه في قتل تارك الصلاة كسلا وتأمل قوله : إن الآية والحديث شرطا في الكف عن القتل والمقاتلة بالإسلام وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وأن الإمام يأخذ الزكاة ولو بالمقاتلة ممن امتنعوا وقتلوا . وتأمل كلامه في باب صلاة الجماعة وأنها تجب بحيث يظهر الشعار في ذلك المحل حتى في البداية وأنهم يقاتلون إذا امتنعوا ، بل كلامه في الأذان والإقامة وأن الإمام يقاتل على تركهما وعلى ترك أحدهما على القول بأنهما فرض كفاية . وتأمل كلامه في الطائفة إذا امتنعوا من صلاة العبد من فأتين هذا من كلام من يقول إن أهل البلد والبوادي إذا قالوا لا إله إلا الله محمد رسول الله لم يجوز قتالهم وإن لم يصلوا ولم يزكوا ، فسبحان الله ما أعظم هذا الجهل . وأما كلام الحنابلة فقال في الاقتناع وشرحه في كتاب الصلاة : من جحد وجوبها كفر ، فإن تركها تهاونا وتكاسلا لا جحودا يهدده ، فإن أبي أن يصلبها حتى ضاق وقت الذي بعدها وجب قتله لقوله تعالى (فاقتلوا المشركين) إلى قوله (فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة غفلوا سيلهم) ففي ترك الصلاة لم يأت بشرط التخلية فيبقى على إباحة القتل ولقوله عليه الصلاة والسلام « من ترك الصلاة عمدا متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله » رواه أحمد عن مكحول وهو مرسل جيد ، ولا يقتل حتى يستتاب ثلاثة أيام كالمتردد نصا فان تاب بفعلها وإلا قتل بضرب عنقه ، لما روى جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة » رواه مسلم ، وروى بريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من تركها فقد كفر » رواه الخمسة وصححه الترمذي انتهى . وقال في باب الأذان والإقامة : فإن تركهما أي الأذان والإقامة أهل بلد قوتلوا أي قاتلهم الإمام أو نائبه حتى يفعلوها لأنهما من أعلام الدين الظاهرة فيقاتلوا على تركهما كسلا كصلاة العبد . وقال رحمه الله في باب صلاة الجماعة : وهي واجبة وجوب عين فيقاتل تاركها وإن أقامها غيره لأن وجوبها على الأعيان بخلافه .

وقال في باب صلاة العبد : وهي فرض كفاية إن تركها أهل بلد يسلطون الأربعين عذر قاتلهم الإمام كالأذان فانه من شعائر الإسلام الظاهرة وفي تركهما تهاونين وقال في باب إخراج الزكاة : ومن منعها أي الزكاة بخلافها وتهاونا أخذت منه أكدين الأذى ، وإن غيب ماله أو كتمه وأمكن أخذها بأن كان في قبضة الإمام

أخذت من غير زيادة وإن لم يكن أخذها استتيب ثلاثة أيام وجوبا ، فإن تاب وأخرج
كف عنه وإلا قتل لاتفاق الصحابة على قتال مانعها ، وإن لم يمكن أخذها إلا بالقتال
وجب على الإمام قتاله إن وضعها موضعها ، انتهى كلامه في الإقناع . وشرحه .

فتأمل كلامه فيمن ترك الصلاة كسلا من غير جحود أنه يستتاب ، فإن تاب وإلا
قتل كافرا مرتدا ، وتأمل كلامه في أهل البلدان إذا تركوا الأذان أو الإقامة أو صلاة
العيد أنهم يقاتلون بمجرد ترك ذلك ، فهذا كلام المالكية وهذا كلام الشافعية وهذا
كلام الحنابلة السكل منهم قد صرح بما ذكرناه ، فإذا كانوا مصرحين بقتال من التزم
شرائع الإسلام إلا أنهم تركوا الأذان وتركوا صلاة الجماعة وتركوا صلاة العيد فكيف
بمن ترك الصلاة رأسا كالبوادي ولا يزكون ولا يصومون بل يتكرون الشرائع
ويتكرون البعث بعد الموت ، وهذا هو الغالب عليهم إلا من شاء الله وهم القليل وإلا
فأكثرهم ليس معهم من الإسلام إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله ومع هذا يجادل علماء
مكة ويقولون إنهم مسلمون وإن دماءهم وأموالهم حرام بحرمة الإسلام وإن لم يصلوا
ولم يزكوا ولم يصوموا لأنهم يقولون لا إله إلا الله وهل هذا إلا رد على الله حيث يقول
(قاتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن
تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة سفلوا سبيلهم) وهؤلاء يقولون يخلى سبيلهم وإن لم
يصلوا ولم يزكوا ، وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس
حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ،
فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام » وهؤلاء يقولون من قال
لا إله إلا الله فقد عصموا دمه وماله وإن لم يصلوا ولم يزكوا (كذلك يطبع الله على
قلوب الذين لا يعلمون) فهذا كتاب الله وسنة رسوله وهذا إجماع الصحابة على قتال
من ترك الصلاة أو منع الزكاة . قال صديق الأمة أبو بكر رضي الله عنه « والله لأقاتلن
من فرق بين الصلاة والزكاة . والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم » وفي رواية « عناقا لقاتلتهم على منعها » وهذا إجماع العلماء ، قال في شرح
الإقناع أجمع العلماء على أن كل طائفة ممتعة من شريعة من شرائع الإسلام فإنه يجب
قتالها حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون فتنة كالحاربين وأولى انتهى .

قال أبو العباس رحمه الله تعالى : القتال واجب حتى يكون الدين كله لله وحتى لا تكون

فتنة ، فحق كان الدين لغير الله فالقتال واجب ، فأى ممتعة امتنعت عن بعض الصلوات
الفروضات أو الصيام أو الحج أو عن التزام تحريم الدماء والأموال والخمر والزنا
واليسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو ضرب الجزية على أهل
الكتاب أو غير ذلك من التزام واجبات الدين أو محرماته التي لا عذر لأحد في جحودها
أو تركها التي لا يكفر الواحد بتركها بجحودها فإن الطائفة الممتعة تقاتل عليها وإن
كانت مقرة بها وهذا مما لا أعلم فيه خلافا بين العلماء ، وإنما اختلف الفقهاء في الطائفة
الممتعة إذا أصرت على ترك بعض السنن كركعتي الفجر أو الأذان أو الإقامة عند من
لا يقول بوجوبها ونحو ذلك من الشعائر ، فهل تقاتل الطائفة الممتعة على تركها أم لا
فأما الواجبات أو المحرمات المذكورة ونحوها فلا خلاف في القتال عليها انتهى .

فتأمل كلام الحنابلة وتصريحهم بأن من امتنع عن شريعة من شرائع الإسلام
الظاهرة كالصلوات الخمس أو الصيام أو الزكاة أو الحج أو ترك المحرمات كالزنا
أو شرب الخمر أو المسكرات أو غير ذلك فإنه يجب قتال الطائفة على ذلك حتى يكون
الدين كله لله ويلتزموا جميع شرائع الإسلام وإن كانوا مع ذلك ناطقين بالشهادتين
وملتزمين ببعض شرائع الإسلام وإن ذلك مما اتفق عليه الفقهاء من سائر الطوائف
فمن بعدهم ، فأين هذا من قولكم إن من قال لا إله إلا الله فقد عصم ماله ودمه وإن
ترك الفرائض وارتكب المحرمات ؟ بل من تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة
الخلفاء الراشدين المهديين من بعده عرف أن قولكم هذا مضاد لما فعله النبي صلى الله
عليه وسلم وما فعله الخلفاء الراشدون من بعده ، فيا سبحان الله أما علمتم أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قاتل اليهود وهم يقولون لا إله إلا الله وسبوا نساءهم واستحلوا دماءهم
وأموالهم ؟ أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن ينزوي بني المصطلق عند
نوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ؟ أما علمتم أن علي بن أبي طالب
جرح الغالية مع أنهم يقولون لا إله إلا الله ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا الخوارج بأمر
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه عليه الصلاة والسلام أخبر أن الصحابة يحقرون صلاتهم مع
صيامهم وصيامهم مع قراءتهم مع قراءتهم وقال أينما قمتهم فقتلهم ؟ أما علمتم
الصحابة قاتلوا بني حنيفة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله
ويزكون ويصلون ؟ أما علمتم أن الصحابة قاتلوا بني يربوع لما منعوا الزكاة مع أنهم

مقرون بوجوبها وكانوا قد جمعوا صدقاتهم وأرادوا أن يبعثوا بها إلى أبي بكر فنعهم مالك بن نويرة، وفي أمر هؤلاء عرضت الشبهة لعمر رضي الله عنه حتى جلاها الصديق أبو بكر وقال: والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلهم على منعها، فقال عمر فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق، وقد تقدم ذلك مبسوطا وذكرنا لفظه في شرح مسلم في باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، أما علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث البراء إلى رجل تزوج امرأة أبيه كما رواه الترمذي في سننه حيث قال باب فيما جاء فيمن تزوج امرأة أبيه حدثنا أبو سعيد الأشج أخبرنا حفص بن غياث عن أشعث عن عدي بن ثابت عن البراء قال «مر بي خالد أبو بردة ومعه لواء فقلت إلى أين تريد فقال بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن آتية برأسه» حديث حسن غريب انتهى.

ولو تتبعنا الآيات والأحاديث والآثار وكلام العلماء في قتال من قال لا إله إلا الله وترك بعض حقوقها لطال الكلام جدا، فكيف بمن ترك الإسلام كله وكذب به واستهزأ على عمد، إلا أنهم يقولون لا إله إلا الله كهؤلاء البوادي، وفيما ذكرناه كفاية لمن طلب الإنصاف فقد ذكرنا الأدلة من كلام الله وكلام رسوله وإجماع الصحابة وإجماع العلماء فإن كان هذا الذي ذكرناه له معنى آخر غير ما فهمناه فبينوه لنا من كلام الله وكلام العلماء ورحم الله امرأ نظر لنفسه وعرف أنه ملاق الله الذي عنده الجنة والنار.

وأما المسألة الثالثة وهي مسألة البناء على القبور فنقول: ثبت في الصحيح والسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنه نهى عن البناء على القبور وأمر بهدمه» كما رواه مسلم في صحيحه حيث قال: حدثنا يحيى بن يحيى حدثنا وكيع عن سفيان عن خبيب ابن أبي ثليب عن أبي ليلى عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة قال حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن ابن الزبير عن جابر رضي الله عنه قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن يبنى عليه وأن يكتب عليه» وقال أيضا حدثنا هارون الأبلبي قال حدثنا ابن وهب قال حدثني عمر بن الحارث أن ثمامة بن شفي حدثه قال: كنا مع

فضالة بن عبيد بأرض الروم فتوفي صاحب لنا فأمر فضالة بقبْره أن يسوى ثم قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر بتسويتها» وقال الترمذي باب ما جاء في تسوية القبور حدثنا محمد بن بشار حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا سفيان عن حبيب عن أبي ثابت عن أبي وائل «أن عليا رضي الله عنه قال لأبي الهياج الأسدي أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تدع تمثالا إلا طمسته ولا قبرا مشرفا إلا سويته» قال وفي الباب عن جابر وقال ابن ماجه باب ما جاء في النهي عن البناء على القبور وتخصيصها والكتابة عليها حدثنا أزهر بن مروان حدثنا عبد الرزاق عن أيوب عن أبي الزبير عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تخصيص القبور» حدثنا عبد الله بن سعيد حدثنا حفص بن غياث عن أبي جريح عن سليمان بن موسى عن جابر قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب على القبر شيء» حدثنا محمد بن يحيى حدثنا محمد بن عبد الله الرقاشي بنا وهب حدثنا عبد الرحمن بن زيد عن القاسم ابن مخيمرة عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم «نهى أن يبنى على القبر» قال النووي رحمه الله في شرح مسلم قال الشافعي في الأم: رأيت الأئمة في مكة يأمرهم بهدم ما يبنى ويؤيد الهدم قوله «ولا قبرا مشرفا إلا سويته» وقال الأذري رحمه الله تعالى في قوت المحتاج: ثبت في صحيح مسلم النهي عن التخصيص والبناء، وفي الترمذي وغيره النهي عن الكتابة قال القاضي ولا يجوز أن يبنى عليها قباب ولا غيرها والوصية عليها باطلة قال الأذري ولا يبعد الجزم بالتحريم في ملكه وغيره من غير حاجة على من علم النهي بل هو القياس الحق والوجه في البناء على القبور المباهاة ومضاهاة الجبابرة والكفار والتحريم يثبت بدون ذلك. وأما بطلان الوصية بالبناء والقباب وغيرها من الأبنية العظيمة وإنفاق الأموال الكثيرة عليه فلا ريب في تحريمه، والعجب كل العجب ممن يلزم بذلك الورثة من حكام العصر ويعمل الوصية بذلك انتهى كلام الأذري رحمه الله تعالى، ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه وبين ما أتم عليه من فعلكم مع قبر أبي طالب والمحجوب وغيرها وجد أحدهما مضادا للآخر مناقضا له لا يجتمعان أبدا، فنهى رسول الله صلى الله عليه وسلم على البناء على القبور كما تقدم ذكره وأتم تبنيون عليها القباب العظيمة والذي رأيته في المعلاة أكثر من عشرين قبة، ونهى رسول الله صلى

الله عليه وسلم أن يزاد عليها غير ترابها وأنتم تزيدون عليها غير التراب التابوت الذي عليه لباس الجوخ ومن فوق ذلك القبة العظيمة المبنية بالأحجار والجص ، وقد روى أبو داود من حديث جابر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يخصص القبر أو يكتب عليه أو يزاد عليه . ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكتابة عليها » كما تقدم من صحيح مسلم . وقال أبو عيسى الترمذي باب ماجاء في تجصيص والكتابة عليها حدثنا عبد الرحمن بن الأسود أخبرنا محمد بن ربيعة عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر قال « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجصص القبور وأن يكتب عليها وأن يبنى عليها وأن توطأ » هذا حديث حسن صحيح وهذه القبور عندكم مكتوب عليها القرآن والأشعار . وقال أبو داود باب البناء على القبر حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الرزاق قال أخبرني ابن جريج قال حدثني أبو الزبير أنه سمع جابرا يقول « سمعت النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن يقعد على القبر وأن يجصص وأن يبنى عليه » انتهى « ولعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسرجها » والذي رأيته ليلة دخلنا مكة شرفها الله تعالى في المقبرة أكثر من مائة قنديل هذا مع علمكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن فاعله ، فقد روى ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لعن زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج » روى هذا أهل السنن ، وأعظم من هذا كله وأشد تحرما الشرك الذي يفعل عندها ودعوة القبور وسؤالهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات ، لكن تقولون لنا إن هذا لا يفعل عندها وليس عندنا أحد يدعوها ويسألها وتقول اللهم اجعل ماذكروا حقا وصدقا ونسأل الله أن يظهر حرمه من الشرك ، ولا ريب أن دعاء الموتى وسؤالهم جلب الفوائد وكشف الشدائد من الشرك الأكبر الذي كفر الله به المشركين كما تقدم بيانه في المسألة الأولى وقد قال الله تعالى (وأن الساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا) وقال تعالى (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا) وقال تعالى (ولا تدع من دون الله مالا ينفك ولا يضررك فإن فعلت فانك إذا من الظالمين) وقال تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) الآية وقال تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة) الآية وقال تعالى (له دعوة الحق) إلى آخره ، وقد روى الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « الدعاء مخ العبادة » وعن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

« الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : وقال ربكم ادعوني أستجب لكم » رواه أحمد وأبو داود والترمذي . قال العلقمي في شرح الجامع الصغير حديث « الدعاء مخ العبادة » قال شيخنا في النهاية : مخ الشيء خالصه وإنما كان منها لأمرين : أحدهما أنه امتثال لأمر الله تعالى حيث قال (ادعوني أستجب لكم) فهو محض العبادة وخالصها ، والثاني . إذا رأى نجاح الأمور من الله قطع عمله عما سواه ودعاه لحاجته وحده وهذا هو أصل العبادة ولأن الغرض من العبادة هو الثواب المطلوب عليها وهذا هو المطلوب من الدعاء وقوله « الدعاء هو العبادة » قال شيخنا قال الطيالسي أتى بالحبر المرف باللام ليدل على الحصر وأن العبادة ليست غير الدعاء . وقال شيخنا قال البيضاوي : لما حكم أن الدعاء هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة من حيث إن فاعلها مقبل على الله معرض عن سواه ولا يرجو ولا يخاف إلا منه . واستدل عليه بالآية يعني قوله (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم) فانها تدل على أمر مأمور به إذا أتى به المكلف قبل منه لا محالة وترتب عليه المقصود ترتب الجزاء على الشرط والسبب على السبب وما كان كذلك كان أتم العبادة وأكملها ، انتهى كلام العلقمي رحمه الله تعالى . ولكن هذا آخر الكلام على هذه المسائل الثلاث ، فإن وافقتمونا على أن هذا هو الحق فهو المطلوب ، وإن زعمتم أن الحق خلافه فأجيبونا بالكتاب والسنة فانهما بين الناس فيما تنازعوا فيه كما قال تعالى (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول) وقد ذكرنا لكم الأدلة من الكتاب والسنة وكلام الأئمة ، فإذا أجبت على هذه المسائل الثلاث أجبتكم عن بقية المسائل إن شاء الله تعالى . ولنختم الكلام بقوله تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز الدين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور) والحمد لله أولا وآخرا كما يحب ربنا ويرضى صلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

ثم دخلت السنة الثانية عشرة بعد المائتين والألف . وفيها أظهر الشريف غالب عثمان المضايقي مع كثير من العساكر والجيش وذوى السفاهة والطيش وقصد عربان الإسلام لكون جرودهم عند سعود ولم يكن عند الأهل كثير من أهل الاقدام بل كانوا غزاة حماة تلك الأقوام ، فظن أنه يحصل منهم على مرام ، فأسرع الوصول إليهم

وقدمهم وهم على ماء عقيان آل روق من قحطان وغيرهم من سائر العربان وكبيرهم
مسار بن قبيحان ، فأغارت عليهم فرسان الشريف بقوة ترعب وتخيف ، فثبتت لهم
أولئك العرب ولم يكن أحد منهم عزم على الحرب ، وصبروا على الجلالد خوفا على
الأموال والأولاد حتى أغاثهم الرحمن ، فانهزم ذوو الطغيان وتبعهم أولئك البدوان
وأنشأ منهم فوق الحسين ونار الباقي مدبرين ومات كثير منهم من الظمأ متفرقين
وأخذوا كثيرا من السلاح والركاب وخسر جميع الأحزاب .

هذا ، ولترجع إلى تمام الحديث عن توبى وإكالة وما لقي في طريقه من سوء أعماله ؛
وذلك أن الله تعالى الولي الحميد البديع العبد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه
إنقاذ الرعيد وأن يولى المسلمين من فضله المزيد ويجرى لهم عادته من النصر والتأييد
ويخلف كل رائم لهم الهوان ومزيد من كل باغ وشيطان مرید ، أقبل يقطع الفائز
وراءه كل مهمه ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها مناهز ، وعن
سوء المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، بطل بذلك نفسه إذا سجدى بالدجى
ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى في تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء
ويستأمر يدر أن الله تعالى له بمرصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأمواه
فما لم يسرع في السير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام ، لما قضى عليه
بضرب كؤوس الحما وأن الله تعالى بحكمته التي بها للسموات والأرض القيام وحسن
أن يبين بها الانتظام ، وقدرته التي قهرت جميع الأنام وإرادته التي تم بها الوجود
واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحدانية الله
ذوو العقول السليمة وسالكو للتأهيج القديمة المستقيمة ولكن الله تعالى إذا طبع
في القلوب بطابع الحجاب وسلب الإدراك والعرفة من الأبواب فلا تحس بما يصدر
من الحجاب وتتأذى فيما هي فيه من الزيف والارتباب .

هذا ، ولترجع إلى تمام الحديث عن توبى وإكالة وما لقي في طريقه من سوء أعماله ؛
وذلك أن الله تعالى الولي الحميد البديع العبد المنتقم من كل جبار عنيد لما أراد فيه
إنقاذ الرعيد وأن يولى المسلمين من فضله المزيد ويجرى لهم عادته من النصر والتأييد
ويخلف كل رائم لهم الهوان ومزيد من كل باغ وشيطان مرید ، أقبل يقطع الفائز
وراءه كل مهمه ويجاوز ويروم أنه بالحساء فائز وأنه لولايتها مناهز ، وعن
سوء المسلمين في بلدانهم بعد ذلك غير عاجز ، بطل بذلك نفسه إذا سجدى بالدجى
ويحقق له الغرور ذلك الرجا ، يولى في تلك المسامرة ويعزل ويحكم بما شاء على من شاء
ويستأمر يدر أن الله تعالى له بمرصد وأن القضاء له بمقعد فلم يطل له على تلك الأمواه
فما لم يسرع في السير والاقدام ، ولم يكن له عن أرض الشباك إحجام ، لما قضى عليه
بضرب كؤوس الحما وأن الله تعالى بحكمته التي بها للسموات والأرض القيام وحسن
أن يبين بها الانتظام ، وقدرته التي قهرت جميع الأنام وإرادته التي تم بها الوجود
واستقام ، اختار أن يبين للناس مافيه آية عظيمة يستدعى بها إذعانا لوحدانية الله
ذوو العقول السليمة وسالكو للتأهيج القديمة المستقيمة ولكن الله تعالى إذا طبع
في القلوب بطابع الحجاب وسلب الإدراك والعرفة من الأبواب فلا تحس بما يصدر
من الحجاب وتتأذى فيما هي فيه من الزيف والارتباب .

ولا يجيب (ولو ترى إذ فرغوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب) وجعل الله تعالى
منية ذلك الضرغام الذي لا استطاع بأسه ولا يرام على يد أذل وأضعف الأنام ، وذلك
أن الأسرار الغيبية والصلح التي نيط بها نظام البرية وجميع العوالم العلوية والسفلية
لاتدركها جياذ الأفهام والأذهان بل تعجم دون ذلك المسدان ولا يكون لها فيه
جولان ويقصر باعها عن ذلك ولو أطلق لها عناء فترجع حينئذ ألباب أهل العرفان
وصفوة أهل التوحيد والإيمان حين تشاهد تلك الحكم التي ظهرت في غاية البيان
وأبرزها من (كل يوم هو في شأن) في وقتها المقدر لها بحسبان إلى زيادة الإقرار
والإذعان لمكون الأكوان ومقدر الآجال والأزمان ، وعظم القناء على كل إنسان
وملك وجان ، بمصداق (كل من عليها فان) وما يفتح هذا الباب لدوى البصائر
والألباب ويحث على التوحيد وإخلاص الدعوة لرب الأرباب هذا البرهان الذي
شاهده أولو الأبصار والحكم العادل الصادر من قاصم كل جبار المبرز في مساق
النصرة والانتصار صونا لزال الشريعة عن الأكدار وقدر زعاف الأشرار ليستيقن
أهل الدين بمد التبعية والاعتبار ، ويزيد أهل الإيمان بذلك الاستبصار فلا تبدر العقول
والأفكار إلى امتطاء كاهل الإنكار ولا تدخل في ضنك القنوط فتزيع منها الأبصار ،
فما في الغيب من خفي الأسرار أجل من أن تحيط به البصائر المستضيئة بالأنوار ، فتبارك
الذي أقصى من شاء من العباد ونحاه إلى يبداء الابعاد وقسم له الطرد والحرمان ،
وأضله على علم لإرادته به الهوان ، وسبحان الذي قرب أوليائه إلى جنابه ومنح
أصفياءه ليد خطابه . وحاصل بيان هذه النقبة وتهيئة أسبابها الموجبة وإشراق أنوار
هذه الموهبة أن توبى لما ظهر للحراية وكان منه إليها تلبية وإجابة وفتح من الشر
بابه وارته من البدوان كثير من العربان كما قدمناه عن آل ظفير وكل أقبل إلى
الفتنة يسير جاء بنو خالد الذين في الشمال وأسرعوا إلى براك بن عبد المحسن ومن معه
من قومه وأعلمهم بالحال وخوفهم من توبى وما أتى من الكيد الذي لم يسبق
له مثال ، وأراد براك الامتناع فهددوه بالأسر والاعتقال فأشمل بعد ذلك هو ومن معه
وكانوا إلى لقاء توبى في استقبال وهاجر من قوم براك جماعة كثيرة وقصدوا الدرعية
بعد صدور تلك القضية ، ثم بعد ذلك خرجوا مع أهل الجهاد وكان طعيس ممن هاجر
وأبى الارتداد ، وخرج للنزوع مع تلك الأمداد وكان يكثر الدعاء لمولاه والسؤال ويديم

الشيء والابتغال ويتمنى ذلك في كل حال ويتفوه بذلك بين الرجال حتى يظن
أنه أن به وسواسا وخيال ، ويستبعد أن يكون للأسود والأشبال إلى حمى ثوبى
وحوال واتصال ، أو تدرك منه جراما أو منال ، فضلا عن مثل هذا المهان الذى لا يليق
إليه أن يحسر على هتك تلك الأبهة العديمة المثال ووطء بساط تلك الحضرة التى دون
رجلها خطوط وأهوال ، فلا يرام الوقوف عندها ولا تنال ، فأراد الله الكبير
المشال ، أنه يغزو مع مناع أبا رجلين وهم أهل أربع ركاب يريدون اختلاس بعض
الآثار ، فوافقهم أناس من آل ظفير ذوى الضلال فأخذوهم وبقي طعيس عند أولئك
الأناس وأخذت نفسه تحمده بتلك الآمال ويصمم على ذلك ويدعو بتيسيره فى البكور
والآمال ، فاستعد للإقدام وباع نفسه وأبرم الاحتيايل وأخذ حربته وقد قوى الله
من يده فجاءه وهو قاعد مع بعض الرجال فأنفذ فيه الحربة وكان منه له اغتيال ، فلما
أشهر الطعنة جرد صارمه فضرب به طعيسا وقام عليه مع غيره رجال ، فقتل بعد
بعض المال ولم يكن له ساعة إسهال ، عليه رحمة الله تعالى ، وبقي ثوبى ذلك اليوم
الذي شتم كان له إلى القبر انتقال ، فضجت تلك الأمم مما حل بهم ودمهم ، وذعرت
قلوبها بعد ما رعبت وعجت وحقا بها مدلمهم الخطب وعراها
وعراها الزمان ما أوهى قراها وضاق عليها فسيح الفجاج والرحاب وأحاط بهم رجز
من العذاب وانهمز منهم براك ونار ، وأرسل للمسلمين بالأخبار وتبعه أناس من قومه
وجدوا فى الهروب من يومه ولم يثبت لهم قوة ولا قلوب ولا قرار بعد ما صدر
من براك وجماعته ذلك القرار ، وحاول قوم ثوبى وناصر أخوه فى الثبات واجتماع
المال فلم يحصل له ما يرجوه وأبى تلك العربان وندت أسلاف البدوان وشمرت
بالانصرام والذهاب جميع طوائف الأعراب وشنت الله شمل أولئك الأحزاب
واستمر كل واحد منهم فى الهزيمة لا يلوى أحد على أحد ولا يحيب (وحيل بينهم
بشئونهم كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا فى شك منيب).

فما تحقق المسلمون ما صدر وجرى وتبين لهم صدق ما نزل بهم وعرا بادر
بشارى وجميع أهل الإسلام فى طلب أولئك الجوع العظام وشتموا فى أعقاب
الأقوام يأخذون ويقتلون والأعداء منهزمون ولا يلوون وتركوا جميع
من الغنم وما ثقل من الطعام والنعم ولم يكن لهم على جر المدافع الكبار

حيلة ولا وسيلة ولا اقتدار ، فأخذ المسلمون جميع المدافع ولم يكن دونها مدافع وغنموا
من جميع الأموال مالا يخطر على البال واستمروا فى آثارهم على ذلك المنوال إلى قريب
الجهر يجمعون الأموال ويقتلون الرجال ، فقتل منهم فى الصبيحة جماعات من تلك
البرية ورجع المسلمون بعد نيل الآمال فى أنعم عيش وبال ، وأقبل سعود بلغه الله المقصود
فى حدود ظهور أنوار تلك الآية وقد رفع طالع الإقبال على رأسه للنصر راية ، فأحاطت
به من جوانبه الألفاظ والتوفيق والعناية وحفه السعد والحفظ والرعاية ، ونوى أن
يفزو أولئك الجنود ويبدل فيهم الجهود وعزم على ذلك وصمم وأجمع عليه رأيه
وتقدم وقال لابد فى أرضهم من الوطأة والمجال حتى يكون ذلك أردع وأقمع لذوى
الضلال ، فانتدب إليه من كبار المسلمين رجال وقالوا هذا صعب المنال والركاب والجياد
لا تستطيع السير بحال ، وكفى ما وقع بهم من القتل والإذلال وما نالوا من التمر
والوبال وعسى أن يتم لك المراد على الامهال فنجح إلى قولهم وراض وكان له عن
عزمه إعراض ، وأقام سعود حرسه الله فى تلك الأرض يجمع الغنائم ويأخذ منها الخمس
الفرس ، ويقسم الباقي على المجاهدين حتى وزعت بينهم أجمعين ، وكان جميع ما حصل
من الإبل ثلاثة آلاف من غير مباغة ولا إسراف والذى جمع من الغنم فوق مائة ألف
وأكثرها عاجلة الهلاك والحنف ولم يدرك من الحيل إلا قليلا ونال أهل الإسلام
عزا جليلا ونصرا مؤيدا جميلا وثوبا عظيما وأجرا جزيلا ورجع حزب البغى ذليلا
وقد نكله الله (والله أشد بأسا وأشد تنكيلا - سنة الله فى الدين خلوا من قبل ولن
تجد لسنة الله تبديلا) وأقام سعود على تلك الأمواه أيام ، وأطال بها المقام ثم بعد ذلك
سار إلى الحساء ونزل عن البرز شمالا وقد انشرح صدره ونعم بالامكث يدبر
شؤنا وأحوالا ويعاقب من تبين فيه رعب ، وأبدى خفة عند تلك الأحزاب واعتجلا
ويؤنب من نار إلى البحر ويؤنبه مقالا ويحثهم على الاجتهاد والاجتماع والمساعدة
فى الجهاد والدفاع عند زول طوارق الفتن وحلول عوارض المحن حتى ينالوا بذلك
الدرجة العليا فى الأخرى والدنيا ويحوزوا أسمى المراتب السنية ويفوزوا بأسمى
الطالب السمية ، واجتهد بعض أهل الحساء على بعض وصار لهم فى السعاية عنده
إسراع وركض ، ولم يقفوا عند حدود الله تعالى بالترك والرفض وراموا بذلك إليه
تقريبا ووصولا ومنزلة وتمكينا لديه وحصولا ، وجمعوا له فى ذلك الميدان من قبيح

الزور والبهتان جملة وفصولا (ولا تنف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) فدأبوا في السعاية لديه بالتمائم والسكل من أهلها للحظوظ الدنيوية رائم ولم يخشوا عاقبة المآثم ومن هو يخفي جالهم عالم وكاد أن يكون ريقها قائم لولا أن من الله عليه بلطفه فزجر أهل تلك المظالم وأصبح لمنهجها يزيل عنها تلك المعالم وجميع موادها حاسم ، وينشد قول شاعر عالم :

كذبت مناكم صرحوا أو ججموا الدين أمتن والسجية أكرم
لا زدتمو تضيق صدر لم يضق والسمز في ثغر الصدور تحطم
وزحفتمو بمحالكم لمجرب ما زال يثبت للمحال فيهمز
أني رجوتم غدر من جربتمو منه الوفاء وجور من لا يظلم
ونهاهم عن تعاطي تلك الحصلة القبيحة الذميمة والسكيرة التي لا يرضاها فضلا
عن كونه يتعاطاها من له مسكة من الدين أو شيعة ، فيالها من كبيرة في الدين عظيمة
لو لم يكن فيها من الإغلاظ والإعظام إلا قوله عليه الصلاة والسلام على سبيل التهديد
والتحذير والإعلام لكافة ذوى الدين والإسلام من سائر الأنام « لا يشم عرف الجنة
تمام » وقول الله تعالى في الذكر الحكيم (ولا تطع كل حلاف مهين هازم مشاء بنميم)
لكفي عن اقتراقها وسرعة الهجوم عليها والإقدام ، وقد جاء فيها من الوعيد ما ليس
عليه مزيد من صحيح قول الأنام مما لا تحيط به الأفهام ولا تحويه الأرقام وتكل
من سرده الأرقام ، ولا يليق باستقضائه هذا المقام .

قال المصنف مهتلا للأمر سعود ولأبيه عبد العزيز

في قدوم سعود الحساء بعد قتل ثويني بهذه الآيات :

تلا نورا الحق وانصدع الفجر وديجور ليل الشوك مزقه الظهر
وشمس الأمانى أشرقت في سعودها ولاج بأفق السعد أنجمة الزهر
وجلا ظلام الخطب بيض صنائع كأن سناها في غياهبه بدر
وأسفر وجه الوقت بعد تعبس وحالت بصنع الله أحواله الكدر
فأيامه بالأنس بيض شوارق تضيء كما أضوى بديجوره فجر
وهبت رياح النصر والفوز والهنا فحق لنا منها البشار والبشر
وروح روح الأنس كل موحد ففي قلبه سكر وما مسه خمر

كان به من نشأة اللطف نشوة ترغ منها العطف واستحكم السكر
وغنت بروضات السرور بلباب يرجع ألقانا يهش لها الصخر
فأصل التهانى دانيات قطوفه وفرع اللى غصن وأوراقه خضر
ونادى منادى الحق بالخلق معانا ألا فليجل الحمد وليعظم الشكر
فما قلب ذى ظهر بفيقا أضله وفاجأه عند التوى ذلك الظهر
بأفرح منا بالبشير وقوله آنى الفتح والإقبال والعز والنصر
أذيق العدا كأس الردى فما الهدى وشأت يمين الشوك وانقص الظهر
وفلت جنود المعتدين ومزقت وزال ظلام الشوك وانحق النكر
فمن حامد منا ومثن وساجد لمولاه شكرا بعد ما انكشف الأمر
لقد أقبلوا والأرض ترجف منهمو وقد أدبروا يقفهم الذل والصخر
وساروا بأسباب المكائد والردى إلينا فما أغناهم السكيد والجر
وقد زاغت الأبصار واحتكت الفضأ علينا كأن الأرض مما بنا شبر
فآبوا وقد خابوا وما أدركوا اللى وبادوا وما سادوا وعقباهم الحسر
جنود فساد وابتداع وفتنة يقودهم الإضلال والبعى والفجر
يريدون أن يطفوا مصاييح نوره ويخفوا قوبعا لا يزام له ستر
أبى الله أن يسعى الضلال على الهدى ويطمس أعمال الخيفية الكفر
وتعلو البواغى والطواغى وحزبها على عصبة في الدين شرعهم الذكر
وينسخ آيات الكتاب وحكمه لحون الغنا والعود والطبل والزمر
لقد قل غضب الشوك بل ثل عرشه وسل حسام الدين واندرس الشر
وسالت مغانيبه وأثوت ربوعه وزالت مبانیه فساحته صفر
كأن لم تكن فيه الملاحى مرة ولم يجتمع لاهو في ساحه سمر
نعمى الشوك أحزاب الضلالة بعدما تغشاهم الإذلال والعار والوزر
وقامت نواصى الرفض يندبن أهله بحرقة قلب فيه من فقدم جمر
رمى الله أحزاب الضلال كما رعى ذوى القيل إذ أعياه عن مكة الحصر
أديرت عليهم فى الشباك رعى الردى ودارت كؤوس المنايا ولهم حمر
وحاق بهم ما أضمرنا من طوية وخاهم المغوى وخاهم السكر

فهم ماث بالصبيحة اغتدت
مرايع فيها للطيور مراتع
إذا مرها المجتاز يلقى موائدا
رب طعيس لا طعيس تقشعت
لقد حق وعبد الله واعتز جنده
تولى إله الخلق نصرة دينه
أرانا بهذا البطش ذو العرش آية
رأى جزعا منا فأبدى انتقامه
على أن مولانا أبان يصنعه
عيون القضا ليست نياما وسهمه
وحسن الرجا للعبد أقوى وسيلة
تمنى رجال أن يتالوا مناله
فهم في انتظار النجب يرجون فوزهم
فمن مبلغ عن العداة رسالة
أنتم إلينا راعين قطعة
ورمتم ذرى السمحا وجب سنامها
وناوأم الإسلام والله دونه
تقامتم الأحساء قبل منالها
أمانى من أردى العباد بمكره
تستمر فهجر دونها خطة البلا
ومن دونها يوم به يعرف القنا
بها الأسل كالآجام والأسد حولها
أنبيوا سراعا قبل أن يهتك العطا
أفيةوا فأنتم في دجى غمرة الردى
ألم ينهكم عن مهيع النى ما جرى
ألم يأن أن تأووا إلى مقل الهدى

تراوحها الأشبال والدثب والنمر
وترقص فيها النسر والحر والصقر
وليس بها إلا ككة العدا جزر
سحاب رجز بالمنايا لها شر
فمن كان ذا نذر فقد وجب النذر
فأعلى منار الحق وانشرح الصدر
وذكرى لنا في ضمنها يظهر البشر
وذكرنا للوعد إذ جاءنا الصبر
لنا أن جند الحق لم يدره الحبر
مصيب فما يغنى عن القدر الحذر
إلى قصده والعسر يتبعه اليسر
وقد عاهدوا بالبيع أن سامهم سعر
وقد صمحووا بالعمر إن حارب العمر
أنبيوا فما بأوكم السهل والوعر
غل بكم بأس وعاجلكم حذر
وهدم دعامات عليها رسى قصر
وأحزابه والسمر والبيض والبتد
فللروم شطر والبوادي لهم شطر
وما وعده إلا الأباطيل والقدر
ودون حماها يقطع الهام والنحر
وتروى الواضى والثقفة السمر
مثال الرواسى والنجيع به بحر
ويكشف عن وجه الخدرة الحذر
وأبصاركم عمى وفى سمعكم وقر
ففيه لدى الأبواب عن غيهم زجر
فقد جاءت الآيات واستتب النذر

تبين نهج الحق والرشد للورى
وقامت على الدين القويم شواهد
فآياته محفوظة عن معارض
يشيعها التسديد حيث تيممت
تشعشع من خمسين عاما ضياؤه
سقى قبر من أحياء شؤبوب رحمة
قد جاءنا يدعو إلى الدين بعد ما
جأله الأخبار فيما أتى به
ونوظر حتى ألزم الخصم عجزه
فعودى بغيا واهتظاما ونصرة
وهوا بما لم يدركوا من وقعة
نفته العدا لما جفته أقارب
نجاهد حتى أطلع الله بدره
فهم أنجم للمهتدين وصارم
لقد أحرزوا خصل الفخار وأبرزوا
فأضحت بهجر شرعة الحق غضة
بهدى إمام المسلمين ومهده
هن بهذا الفتح يابن محمد
هنيئا لك الفتح الذى فتحت له الس
هنيئا لك الفتح الذى طأطأت له
فهذا هو الفتح الذى بضياه
وهذا هو الفتح الذى جل قدره
قلله فتح طبق الأرض صيته
بك الدين يا عبد العزيز مؤيد
فراع جناب الحق فى الخلق وارعهم
وأحسن إليهم واعف عنهم ولا تطع

فليس لمن ينجوا سيل الردى عذر
يقصر عن تعدادها الضبط والحصر
وراياته لا يستطيع لها كسر
ويتبعها التأيسد والنصر والقهر
ولم تبق أرض ليس فيها له ذكر
وعم سحاب العفو من ضمه القبر
عنى رسمه والأرض من نوره قفر
من الحق والبرهان يكشفه السبر
وصار إليه الفلج والورد والصدر
لمسة آباء عليها مضى العمر
فما ناله مما أرادوا به ضر
فألواه بل سواه من خصه البر
بال سعود حين شد له الأزر
شبه بهم المعتدين له طر
من الدين مطويا فلاح له نشر
وضوح نبت الشوك وانقطع البذر
أضاءت نواحيها فأرجاؤها سفر
فقد تم للدين القويم به نخر
حوات والفردوس واقتخرت هجر
جياه الملوك الصيد واتضع الكبر
تهلك وجه الدهر وابقسم الثغر
فليس بمحص فضله النظم والنثر
وهزت به البلدان وارتعدت مصر
يعززه بالبيض أبنائك الغر
بمدل وإحسان لكى يعظم الأجر
بهم قول واش جل مقصوده التبر

يسارع في سخط الإله تقرّبا
ولا تصطفى للنصح إلا مجرّبا
فلا بد من حشر ونشر وموقف
وبالعدل والإحسان والعفو والتقى
أنايك مولاك الكرامة في الجزا
سعود بهذا الفتح هتيت فليكن
وإسبال ذيل العدل والصفح والرضى
أسماء الأعدى ظنهم فيك فاعتدوا
فظنوا سفاها أن حزمك رازم
وأناك وإن بعد إدلاجك السرى
وقد عرفوا منك الشهامة والديها
فأناسم الشيطان ما يعرفونه
وما جحدوا ما استيقنوا منك في اللقا
وما غرم إلا تأنيك عنهمو
فبرد الوغى ما لم يجد نسجه الحجا
وأصل الوغى التدبير والرأى ساقها
فلبك عن صدم الأعدى خديعة
وتالله ما اخترت المقام على اللقا
وما أنت إلا مسعر الحرب إن خبت
بربك أركان الشريعة قد رست
لئن زادت الأحسا بنصرك بهجة
وإن لم تكن زاحفتهم بعد رجفهم
وقابلهم بأس الإله ورجزه
فولوا سراعا مدبرين وخلفهم
عصابة توحيد إذا اشتبك القنا
نخوض عباب النقع والموت ناقع
(١٦ - تاريخ نجد - ثان)

أدام لهم ربى بك النصر والهنا كما للعدا منك النكاية والقسر
وأولاك مجدا يحسر الطرف دونه ويقصر عن إدراكه البدو والحضر
ولا زلت في الدنيا عزيزا مؤيدا لك النقض والإبرام والنهى والأمى
ودونك من خرد القريض خريدة يحلّ سناها أن يماثله الدرّ
نحتك وخمر التيه يهصر عطفها عسى أن يرى حسن القبول لها مهر
وأزكى صلاة يهر البدر حسنها على خير مبعوث به رفع الأصر
كذا الآل والأصحاب ماجدت الصبا على الروض مطلولا فعطرها الزهر
وفيها غزا ربيع بأهل الوادى ومن برعى فجاج تلك الأرض من سائر البوادي،
فسار حتى زل في أرض بيشة فأعد عند الجنينة والشقيقة، وكانتا للمسلمين هناك
جنده وجيشه، فاستمر يغير على أهل تلك البلد والقرايا وينالون منها عظم البلايا
ويصبحهم بالغارة كل ساعة وحين، فليسوا من مقاساة القتال بمستريحين، فأقاموا
على تلك الأحوال مدة يقاسون منه تضيقا وشدة، فلم يحسن لهم تلك الأيام في بلدانهم
سكنى ولا مقام، ولا يهشون بطعام ولا يجدون راحة منام حتى أقبلوا على القسر منهم
والإرغام إلى منهج الاستسلام، فطلبوا الدخول فيه ولا يجوز لأحد أن يبعد من أراد
ذلك وينفيه، فدخل الإسلام كثير من أولئك الأنام، وعاهد على ذلك كثير من القرى
حتى جرى عليهم من الردة ماجرى.

وسبب ذلك: أن غالبا الشريف لما تحقق عنده ماجرى على أهل بيشة تكدر
حاله وتنقصت عليه العيشة فدبر فكرته وحيلته وحقق قصده ووسيلته، فأظهر جيشا
كثيرا وجما غفيرا واستمد سائر البوادي، فكل بالاسراع أجاب ذلك المنادى، فرأس
فيهم الشريف فهيد فخرج بأعظم الكيد وسار حتى زل على الجنينة. وكانت للإسلام
سابقة، وتلك القرى بعدها لاحقة، فدعاهم إلى النزول بالأمان أوقف تلك البواسق
الحسان، فأجابوه لذلك من غير توان وظهروا عليه من ذلك المكان، فأوقع بهم الحزى
والهوان، وقتل منهم كثيرا من أهلها ممن يدعى الدين وينتسب للموحدين، وأسر
أناسا كثيرة ونهب البلاد وعابثوا أقبح الفساد، ثم بعد مضي ذلك وانقضاه وصدور
بقدر الله وقضائه على أولئك العباد وما نالوا من النمل والأنكد، سار إلى رنية عاجلا
وكان لنيل المأرب منها آملا، فأناخ على النخيل والحلل ورام أن يقطعها على مهل، وظن

أهلها إليه لا يخرجون ، وإذا رأوه يقطعها يزعمون ، ويحنون عليها حين التكلى وكفى بذلك تنكيلا ونكلا ، أن لا يدركوا منها أكلا ؛ فحين نزل قريبا منها خرجوا إليه سراعا فنعوه عنها وطال بينهم مجال القتال وصبر على البأس أولئك الرجال وطاعنوا دون الحلل والنخيل وليس عندهم سوى الرجا تأميل ، فأدهم بالنصر والظفر من علم حالهم وأعان فرسانهم ورجالهم وكبت على أعدائهم خذلانهم وإذلالهم بعد ماسول لهم الشيطان وأمل لهم ، فقتلوا منهم مائة رجل ثم انهزم فهدى ومن معه على عجل . وفيها غزا هادي ابن قرملة مع كثير من قومه قحطان وقليل من سائر العربان ، فسار حتى انقلب له ضياء الأمل وتفتح عنه قتام النصب والسكل ، فأبصرت البقوم عيونه فحققت ظنونه ؛ فعند ذلك كسا تلك الأقوام من تقع الغارة قتام ، ودجى عليهم من سنايك الجياد ظلام ، فاشتد الزحام وحانت المضاجع في الرجام فاجتلدوا لحظة ، وكل أخذ من النجدة حظه ، ثم بعد ذلك انهزم الأعداء وحامت على رؤسهم عقبان الردى ، فولوا على أعقابهم مدبرين وقتل المسلمون منهم نحو الستين وأخذوا منهم كثيرا من الإبل ورجعوا بحسن الأمل .

ثم بعد مضي شهرين عاد عليهم طائفت البين ، فأغار عليهم هادي بن قرملة فأدرك منهم فوق مائته ، وتلاحمت بعد الغارة فرسان البوادي فكان طالع الإقبال لهادي ، فصدمت أبطاله ونصحت رجاله فحسنت عند ذلك حاله ، فانهزم أعداؤه ونجح رجأؤه ، فأخذ من الغنم ألوف وجرع أربعين رجلا الختوف ، وأدرك بعض الآبال فنعى له الآبال . وفيها رأس سليمان باشة بغداد حمود بن ناصر بعد ما قتل الله ثوبى وانهزمت تلك الجيوش والعساكر ، وكذب الله عليهم التزيق والشتات فتفرقوا أيادي سبا في القلاة ولم يكن لهم بعد ظهور البراهين والآيات ، صبروا لا اجتماع ولا التفات ، وظن الباشا سليمان أن تلك الأحزاب والعربان إذ رأس حمودا على البصرة والبلدان تقبل عليه وتجتمع لديه ويكون لهم في التخريب أمر وشان ، فأرسل إليه النجب والبريد بذلك للترئيس والتأييد مصحوبا بخلة فاخرة جميلة وصلات وافرة جزيلة ، فترنح عطفه بخمرة الملك ، فاستضاءت رحابه حين انتظم واسطة لذلك السالك ، وأشرق ناديه بعد ذلك الحلك ولم يدرك أنه طوق بأطواق من الشر والهلك .

فلما أدرك الرياسة واحتوى ، وكرع في مواردها حتى تضلع وارتنوى ، وما خطر على باله ما كن في ضمنها وانطوى وتسلم كاهل السياسة وارتنى ، واختار من أعوانها

وانتقى وتقلد أعباءها وتطوق وتغلى بحلاها وتحقق أقبل إليه كل من تشتت وتفرق والتأم عليه كل من تقطع وتمزق ، وأسرع لديه كل من خاف من المسلمين وأشفق وكل من صد عن التوحيد والحق ورام للدين وأهله مغالية وأنه يدرك منهم مطالبه وسيلم من تكون له العاقبة ، وأنها كانطق به الكتاب المبين من غير شك لعباده المتقين وحزبه المؤمنين وجنده الموحدين .

وفيها غزا من أهل الحساء غزو وأميرهم أبا رجلين مناع ، فلم يكن لهم دون الكويت اقتناع ولا حيلولة ولا دفاع ، فصبخوا تلك البلد بعد حث وإسراع ، فأغار ذلك الجيش على أطراف البلاد بعد ما جعلوا لهم كميناً للجلاد فأخذوا غنما كثيرة وفزع أهل البلاد بجموع غزيرة وعدة عظيمة شهيرة ، فوقع بينهم قتال من بعيد والرمي يصيب فيهم ويحيد وكل من الفتيين ليس له على الثبات من محيد حتى طلع ذلك السكين المدود فانهزم أهل البلد وكان لهم إليها ورود وما كان لهم دون ذلك صدود ؛ فملك المسلمون أعقابهم وكانت كؤوس الردى سراهم وعجل الله تعالى لهم غدايهم فقتل منهم نيفا وعشرين وأخذ ما معهم من سلاح وولى الباقي منهم منهزمين . وفي تلك الغزوة صادف منصور ابن فضيل مع ركب معه من العمار وهو إذ ذاك للقطيف سائر ، فقتل ومن معه وجرع حمامه فجرعه . وفيها أيضا وافق مناع أبا رجلين وغزو أهل الحساء ما جلب لهم السرور والإيناس وهو ركب معهم محمد بن ديماس ، فقتل من معه وخاضت البحر بمحمد بن ديماس فرسه مسرعة فدعا عند ذلك بالأمان لكونه لم يعرفه من المسلمين إنسان ، فأقبل بعد ذلك سريعا ونال ذلا شديدا فقيده وأسر بعدما ملك وقهر ثم بعد صدور القضية أتى به مناع أمام المسلمين في الدرعية فاول على قتله حجة شرعية وطريقا يبرى ذمته عند رب البرية ، فكانه حرس الله تعالى من المكروه مهجته وأدام توفيقه ونعمته وبهجه تروع في المسارعة إلى قتله مع ما صدر من قبيل فعله ، فقد كان وقافا عند الحدود وكان يدروها بالشبه كما للنص بذلك ورود ، ولكنه ترك ابن ديماس يعانى من الأحباس . وفيها أغار مشاري بن عبد الله آل حسين على فريق من زعب فقرب الله تعالى له الهلاك والحين وكان غازيا من الكويت مع أهل عشرين مطية وبعض من الخيل ، فلم يدرك إلا الرزية ومفاجأة الحمام والنية معاقبة لأفعاله الردية وشؤم صنعه البرية ونفوته عن التوحيد وموالاته لشكل شيطان مرید وبذيل جده في مصادمة

الحق والهدى ومساعدته لأهل الضلال والردى وقيامه مع من تعدى وجار من سائر طوائف الفساق والفجار (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) . وفيها أرسل كثير من حول مكة من البدو إلى عبد العزيز يطلبون منه الإسلام والأمان وجعلوا بين الواسطة حمود بن ربيعان ، فأجابهم إلى ذلك الإمام وشرط عليهم النكال فالتزمه أولئك الأنعام وجعل على كل بيت شيئا من الدراهم وعلى كل سلف ركابا وسلاحا وخيلا جيادا كرائم لكونهم قد نزعوا حلية الدين ونزعوا إلى طريق المبتلين ، وكان التنكيل بالمال مما لاخفاء في جوازه ولا إشكال والمعاقبة بذلك جائزة واردة والنصوص عليه شاهدة ولا عبرة بمن كانت بصيرته جامدة وفكرته لذلك جاحدة ، وكانت هذه سنة عبد العزيز حرسه الله فيمن عدل عن الحق والمنهاج وركب طريق الزيغ والاعوجاج ، فراض على ذلك الاشتراط من كان له بالمسلمين ارتباط ، وفي الإسلام رغبة واغترباط وهم كثير من أولئك العربان وأعظمهم كثرة فرقان العتبان ، ولم يبق ممن يسم مواسي الآبال في تلك الشعاب والتلال سوى البقوم من أهل الضلال ، فشق ذلك على غالب وكان عليه من أعظم المصائب ، وهم ذلك وأقلقه ، وأزعجه ما جرى وأرهمه ما صدر من حالهم ودخلهم في الإسلام بعد ضلالهم وتحقق أن ذلك عليه داء عضال وأنهم يجرون عليه الهوان والإذلال ، فلم يلف بعد معاودة الفكر والبال طريقا إلى التوصل في بقائهم عنده على تلك الحال إلا الخروج والاستعداد للقتال ومصادمة الأعصاب والبادي ومكابرتهم بالجيش والعوادي ، فعند ذلك شمر في الأمر وسعى ونادى على الاغاثة ودعا وأقبل إليه أحزابه شيئا وخرجوا معه تبعا ، فجد في وجهته مسرعاً فوافي عيوننا لابن قرملة فأخذهم وتهددهم حتى دلوه على ما أرادوه وأمله ، فلم يشعر هادي إلا بغالب عليه عادي وتطاعنت الفرسان ولم يحضر من فرسان قحطان سوى ثلاثة عشر فارساً من الشجعان ، خفي بينهم سعي الوغى ولم يكن دون الجلال مبتغى ، فقتل من قوم الشريف خمسة أفراس ، وأقام ابن قرملة معهم في غاية الجلال والراس ، وهزم أكثر الإبل ، فلم يدرك منها غالب غاية الأمل ، وأخذ منها بعضاً في ذلك المجال وأخذ كثيراً من بعير الظهر ذي الأثقال ، ثم حصل بينهم المفارقة والانفصال .

ثم بعد ذلك عمد هادي ومن معه إلى رنية وأقام غالب على ماء التفصيلة ، ثم سار

إلى رنية من غير رنية فنزل عليها ليالي وأيام ، وحاصر من فيها من الأنعام ممن دان للإسلام ، وحاول نزول أهلها بلين الكلام ورغبتهم في نبد العهد والتمام ، فلم يفر منهم بسول ولا مرام ، فأخذ يقطع النخيل وزين له الشيطان أنه يفوز بتأميل ، فعند ذلك أسرع أهل البلاد إليه وصمموا في البيعة عليه ، فالتقوا ذلك اليوم وحشي القتال بين القوم وقتل بينهم رجال ثم وقع التفرق والانفصال وأقام على تلك الحال أياماً وليال ، ثم أراد الله تعالى ذله وهوانه وخزيه وأعوانه . وذلك أنه في بعض تلك المواطن وأهل البلاد يقاتلونه في بعض الأماكن ، ونار الوطيس بينهم حامية وعيون الجراح منهم دامية عدا عليهم ابن قرملة مع أناس من جماعته فوقع بينهم قتال وقتل كثير من أحزاب الشريف في ساعته ، وكان جميع من قتل من قومه قبل ذلك اليوم وفي يومه مائة وزيادة فانصرف ولم ينل منها مراده ولم يرد تعالى إسماعده ، بل سلب منه مدده وإمداده ولما أتى الخبر عبد العزيز بما صدر من غالب الشريف أرسل إلى حجيلان أن يسير مع أهل القصيم حتى يتم لابن قرملة المطالب ويسلك معه ما أراد من المذاهب ويعينه على ذلك العدو المحارب ، وكان سعود بلغه الله المقصود إذ ذاك مقبياً بالأجردي ، يريد أن يغزو أهل الشمال ويعتدي ، فأتاه الخبر اليقين بما صار من المعتدين وحزب غالب المسرفين ، فأرسل ربيعا أمير الوادي مع جميع من المسلمين ممن كانوا معه مجتمعين وللغزو في تلك الأيام صريدين فأمرهم أن يعجلوا السير ويساعدوا ابن قرملة حتى يحصل بهم له الفرج والتيسير ويشعروا مساعد الهمة والعزيمة أتم التشهير ، فساروا منه وهو في ذلك المكان ، فصار والله الحمد له شأن ولهم شأن وحصل لكل منهم بهجة وسرور وانتصار واستعلاء وتمكين من الكفار ، فقصدهم سعود السهي وجعله أمامه ، وقصد ربيع ومن معه أهل تهامة فنال كل من المسلمين مراده وأدرك العز والكرامة وبعد ما صار من غالب تلك الأفعال جر من الفخر الأذيال ، فشمروا إلى بيضة سائرا وعلى من بها من المسلمين غائرا ولئن له فيها من الجماعة معينا وناصر ، فرجعه الله تعالى ذليلا خاسرا مهانا مشتتا والله الحمد عاترا ، وذلك أنه لما أتى إليها وأنار بجمعه عليها هرب من فيها من المسلمين ولم يكونوا في تلك البلدان مقيمين وقد هاجر قبل قدومه إليهم ووفوده عليهم ناس من أهل بيضة كثيرة كان لهم في الدين بعض بصيرة فتفرقوا في رنية والوادي وكان الله تعالى لهم مرشدا وهادي ، وحملهم على الهجرة والحرب والفرار عن المسكن

الذي هو النفوس مطلب سبب هو أعظم السبب . وذلك أن غالب تلك البلاد يرغبون في منهج النقي والفساد وأنهم أنفوا من أهل الدين وكانوا لعداوتهم مضميرين ، وتبين وظهر وتحقق واشتهر أنهم أرسلوا إلى غالب الشريف يأتي إليهم بلا توقف ولا توقف ، ويقتل من دان بالتوحيد حتى يرجف غيرهم ويخيف ، فأتاهم سريعا لذلك الحال فأقام عندهم أياما وليال يرتب ما أراد من الأحوال . ثم لما عزم على السير والارتحال أخذ أناسا معه في الاعتقال وقادهم معه في السلاسل والأغلال فشمروا عن ساعد السير لما يريد من الحزم والعزم والتدبير ، فقال أعظم الهلاك والإذلال والتدمير ، فالحمد لله العلي الكبير وذلك أنه أسرع في تسياره يريد قضاء بعض أوطاره حتى يرجع متبججا عند رعيته وأنصاره ويدخل متبججا بحضرة بلده وأهل داره ، فنزل على قرية يقال لها الحرم وفيها سكن قليل من الناس مسلمة ، فلما علموا بقدمه لتلك القرية هربوا وندوا وطلبوا النجاة لأنفسهم وشدوا فتعلقوا البدون وساروا مع العربان ، فساعة أنأخ بها ركابه ومد بها أطنابه وقر له بها القرار أشعل في تلك القرية النار وعجل الله لها بالدمار ، وكانت عقباه في يومه ذلك البوار وأظهر الملك القهار والمنتقم الجبار فيه للمسلمين آية الانتصار وعلمنا من أعلام الأقدار وبرهانا على الوحدانية لا يعرف له مقدار ولا يحاط بكنهه في الفكر والاعتبار ، يحل عن القيام بحق حمده وشكره وتقصر الألسنة عن الثناء عليه وذكره ، ففواهبه سبحانه لأهل الدين وفواضله على كافة الخلق أجمعين ونصرته إيمانه المؤمنين وإعزازه لأوليائه المفلحين ، ودفعه عنهم ظروف الحوادث والنوب وتفريجه عنهم الشدائد والكرب أكثر من أن يعد ويحصر وأشهر من أن يحصى ويذكر ، ولكن أين الألباب التي تعي ذلك وتفهم وتخلص التوحيد وتسلم وتحزن على ماجرى منها وتندم وتذكر ذلك الضلال الأعظم والنقي الأقيس الأقدم في ذلك الزمان الذي مضى وتقدم . فنسأله أن يوزعنا شكر نعمائه ويوالي علينا فيض بره وآلائه وأن يصرف عنا مضلات فتنه وابتلائه ويحقق لنا سؤلنا ومأمولنا في حسن رجائه .

وتحقيق الحديث والخبر عما جرى على غالب وجنده بمن شاهد الأمر وحضر ، أنه لما نزل بذلك المكان والمحل وفعل بالأحرار له ما فعل لم يكمل له أنس ولم تغب له فيه شمس حتى دهاه فيها ما أزهق الروح والنفس . وذلك أنه لما عمد إلى ذلك المكان وسار أقصد ذلك الشأن

أتى خبره ربيعا أمير الوادي وابن قرملة أمير قحطان فاستعانوا بالرحيم الرحمن في الغزو عليه بأثره حتى ينالوا بذلك الثواب من الله والإحسان ويوقعوا به بعض الدل والهوان ، ولم يقع في روعهم أنهم لجنده منازلون ولجيشه مصارون ومقاتلون ولكن كما قال تعالى (وإن جنودنا لهم الغالبون) جندوا السير بأثره يطلبون ولبعض النصرة عليه من مولاهم مملون ، فلم يفجؤهم إلا وفرسانهم عليه مشرفون وذكر له أن هؤلاء ربيعا وهادي وقومهم متبعون ، فركض برجله الأرض وخض وقال الآن افترس الضمغام واقتنص ولكن لا تروم السنابير الأشبال ولا يروم السرحان على الرئبال ولا تحوم بغاث الطيور على العقيان والنسور ، أيحاكي طنين الذباب زئير ليث الغاب ولئن حكمت صولة الأسود في الانتفاض الهرة والقروء ، فلا تناظرها في البأس والورود والإقدام والهود :

ومن رام في الهيجا لقاء جحافل وخوض لظى بأسى يوم التنازل
فقد ضل في قعر السفاهة والردى وألقى في قعر الظنون السوافل
وأضحى ينادى بالحماقة جهرة ويرفل في ثوب من الجهل نافل
أسمو إلى مجدى وذروة مفخرى جميع الورى أو يدركون منازل
مجاز غنى دون ذاك مناله فأين الشريا من يد المتناول
أمان كلع اللال لم يرو صادئا ويحسبه الظمان عذب المناهل
أفقد عدمتى اليكمت يوم مجاهلها ولا وسطت بي الجمع يوم التنازل
ولا أروت الأسلى الظما

هذا آخر ما وجد من التاريخ والحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا .

بسم الله الرحمن الرحيم

بلغ مقابله على عدة نسخ وقد صححناها على نسخة مقروءة على حجة نحمد الشيخ
الثبت صاحب الفضيلة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله ومتع المسلمين
بمؤلفاته ونفعهم بإفادته آمين

الناشر

عبد المحسن أبا بطين

١٣٦٨ / ٥ / ٢٠

الجزء الثاني من تاريخ نجد

المسمى : روضة الأفكار والأفهام

الصفحة	الموضوع
٢	كتاب الغزوات البيانية ، والفتوحات الربانية ، وذكر السبب الذي حمل على ذلك .
١١	بيان الحوادث التي وقعت في سنة إحدى وستين بعد المائة والألف .
٢٠	فصل في ذكر أحاديث صحيحة .
٢٨	بيان الشرك الأصغر .
٣٧	باب وجوب عداوة أعداء الله من الكفار والمرتدين والمنافقين .
٥٢	الحوادث التي حدثت في السنة الحادية والسبعين بعد المائة والألف .
٥٤	التي حدثت في السنة الثانية .
٥٦	التي حدثت في السنة الثالثة .
٥٧	التي حدثت في السنة الرابعة .
٥٩	التي حدثت في السنة الخامسة .
٦١	التي حدثت في السنة السادسة .
٦٣	التي حدثت في السنة السابعة .
٦٤	التي حدثت في السنة الثامنة .
٧١	قصيدة للمصنف .
٧٣	الحوادث التي حدثت في السنة التاسعة والسبعين بعد المائة والألف .
(١٧ - تاريخ نجد - ثان)	

الصفحة	الموضوع
٧٥	الحوادث التي حدثت في السنة الثمانين بعد المائة والألف .
٧٦	التي حدثت في السنة الحادية والثمانين .
٧٧	التي حدثت في السنة الثانية .
٧٨	التي حدثت في السنة الثالثة .
٨٠	التي حدثت في السنة الرابعة .
٨٠	التي حدثت في السنة الخامسة .
٨٢	التي حدثت في السنة السادسة .
٨٣	التي حدثت في السنة السابعة .
٨٦	خاتمة يحتاج لها كل طالب وتتشوق إليها نفس كل راغب : في التوحيد وفي قصيدة قالها المصنف .
٨٨	الحوادث التي حدثت في السنة الثامنة والثمانين بعد المائة والألف ٧٥١
٩٠	التي حدثت في السنة التاسعة .
٩٥	التي حدثت في السنة التسعين .
٩٩	التي حدثت في السنة الحادية والتسعين .
١٠٢	التي حدثت في السنة الثانية .
١٠٣	التي حدثت في السنة الثالثة .
١٠٦	التي حدثت في السنة الرابعة .
١٠٧	التي حدثت في السنة الخامسة .
١١١	التي حدثت في السنة السادسة .
١١٨	التي حدثت في السنة السابعة .
١٢٠	التي حدثت في السنة الثامنة .
١٢١	التي حدثت في السنة التاسعة .

١٢٤	الحوادث التي حدثت في السنة المكملية للمائتين والآلاف
١٢٦	الحادية بعد المائتين والآلاف
١٣١	الثانية
١٣٨	الثالثة
١٤٢	الرابعة
١٤٥	الخامسة
١٥٢	السادسة
١٥٥	رثاء للرحوم الشيخ محمد بن عبد الوهاب
١٥٧	الحوادث التي حدثت في السنة السابعة بعد المائتين والآلاف
١٦٤	الثامنة
١٦٩	التاسعة
١٧١	العاشرة
١٨٥	الحادية عشرة
٢٠٣	المسائل التي سئل فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأجاب عنها
٢٣٧	القضية التي قالها المصنف مهنتاً بها الأمير شعردا وأباه عبد الله

